مجدي كامل

عندما يكونُ الهوى شريكُ العمَى

غلطة الشاطر بألف!!

أكبر الأخطاء السياسية في التاريخ



دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



اسم الكتاب: غلطة الشاطر بألف!!
اسم المؤلف: مجدي كامل
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٣١٢/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-425-7
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٩



دمشق - القاهرة
سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
www.darketab.com - info@darketab.com
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - darkitab-nassif@hotmail.com

غلطة الشاطر بِأَلْفِ !!

غلطة الشاطر بألْفٍ!!

أكبر الأخطاء السياسية في التاريخ

اسقطت إمبراطوريات .. خربت حضارات
اغتالت مصائر شعوب واستنزفت ثروات أمم

◆

مجدى كامل

◆

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

تقديم

غلطة الشاطر بألف .. هكذا يقول المثل الشعبي .. و المقصود بـ " الشاطر" هنا هو الشخص المُحَنَّك الذي يفترض أنه تعلم من تجاربه السابقة، وكذلك تجارب الآخرين، كيف يتخذ القرار المناسب في اللحظة المناسبة، بحكمة وعقلانية، أو بشجاعة وجرأة .

الشاطر أيضًا هو من يحسن تقدير الأمور، فيحسن التعامل معها دون عصبية أو انفعال، ودون مغالاة أو شطط، ودون الانسياق وراء عواطفه، مع حسن توقعه أو تنبؤه بتبعات كل قرار يتخذه وعواقبه .

ومن هنا يكون الشاطر " شاطرا " لأنه يستطيع أن يفرق وهو يتخذ قراراته – في تعامله مع ما يقابله من مشكلات أو قضايا – بين الصواب والخطأ، بين الغث والثمين، بين المُنْقِذِ والمُهلِكِ، بين ما يحمل له طوق النجاة، وما يهوي به إلى أسفل القاع .

وإذا كان " الشاطر " من عامة الناس فإن تبعات ما يتخذه من قرارات تكون محدودة، حيث تحمل السعادة أو التعاسة لدائرته المحيطة و غالبًا ما تكون محدودة، أما إذا كان الشخص ممن يشغلون منصبًا سياسيًّا أو عسكريًّا كبيرا فإن قراراته تمس عشرات أو ربما مئات الملايين من شعبه والشعوب المجاورة، وربما العالم أجمع إذا كان زعيمًا أو حاكمًا لدولة عظمى، أو دولة حتى صغرى أقدم على خطوة غير محسوبة أشعلت حربًا، أو وَلَّدَت أزمة دولية .

فغلطة الشاطر في عالم السياسة غالبًا ما يكون ثمنها فضيحة سياسية مُدَوِّية، أو هزيمة عسكرية مروِّعة، أو حربًا عالمية أو إقليمية مدمرة تنتهي بتدمير بلاده وتدميره .

غلطة الشاطر كبيرة إذا كان كبيرًا قد تغير أيضًا مسار التاريخ فتسقط بسببها إمبراطوريات، أو تفنى بسببها ثروات، أو تذهب بسببها منجزات و مكتسبات لطالما قدمت الشعوب- من أجل بلوغها- الغالي والنفيس .

وقد تؤدي غلطة الشاطر إذا كان سياسيًّا إلى تجريده من ألقاب خلعها عليه شعبه عرفانًا له وتقديرًا قبل أن يزل ويسقط، لتحل محلها ألقاب جديدة مهينة ومذلة !!

وقد لا تتوقف الأمور عند هذا الحد، فقد علمنا التاريخ أن هناك من الكبار من يدفعون حياتهم ثمنًا لغلطة كبيرة ارتكبوها في لحظة سقوط صاحبها أسيرًا لغطرسة القوة في تعامله مع جيرانه، أو سلوك إجرامي تجاه خصومه ومعارضيه، أو انفلات أخلاقي في لحظة طيش، أو نزوة عابرة !!

وفي عالم السياسة يقدم لنا التاريخ نماذج لأخطاء كبرى لزعماء و حكام و قادة سياسيين و عسكريين وصل بعضها إلى مرتبة " الخطيئة "، بسبب الإقدام عليها في لحظة سقوط أو انفلات، و ربما انفعال أو جنون، أو طيش أو مجون، فتمخض عنها كارثة أو كوارث لا قِبَلَ لهم أو لشعوبهم أو ربما شعوب العالم بها .

وأسوأ ما في هذه الأخطاء أو الخطايا هو ما يحمله بعضها من تغيير لمسار التاريخ إلى الأسوأ، وغالبًا ما تكون مقدمة لعهود جديدة تفقد فيها البشرية الكثير والكثير من أبنائها، وثرواتها، ومنجزاتها ومكتسباتها، وتعود عشرات أو مئات السنين للوراء !!

وفي هذا الكتاب، نتعرف سويًّا عزيزي القارئ على أكثر الأخطاء التاريخية التي ارتكبها سياسيون كان يفترض فيهم ألا يفكروا حتى في الإقدام عليها نظرًا لخبراتهم و تجاربهم و دروس التاريخ المستقاة من حصيلة تجارب من سبقوهم .

سنجد مثلا في هذا الكتاب أخطاء جسيمة ارتكبها إمبراطور فرنسا نابليون بونابرت، و زعيم ألمانيا النازية أدولف هتلر، وإمبراطور اليابان "هيروهيتو"، و"الرئيسان الأمريكيان" ليندون جونسون"، و" ريتشارد نيكسون"، و من قبلهم "شجرة الدر" ملكة مصر، و"لويس التاسع" ملك فرنسا، و" عبد الله بن بني الأحمر" آخر ملوك غرناطة المسلمين.

وفي هذا الكتاب أيضًا سنتعرف على أخطاء كبرى ارتكبتها شعوب ما كان يفترض فيها الإقدام عليها كانتخاب الأمريكيين لجورج بوش - صاحب أكبر رصيد من الخطايا - رئيسًا، و أيضًا انحراف معظم زعماء ثورات العالم الثالث بالسلطة، و استخدامهم لما أسموه بـ" الشرعية الثورية" أسوأ استخدام لتأمين بقائهم في الحكم للأبد، لتبدأ أسهمهم الشعبية تتهاوى رويدًا رويدًا، وتبدأ المطالبات برحيلهم، ومن ثَم تكون النهايات المؤسفة للبدايات الرائعة.

ومن الزعماء الذين سنطالعهم أيضًا في هذا الكتاب وارتكبوا جرائم كبرى بقرارات حملت الدمار والخراب والموت لشعوبهم و جيرانهم وأنفسهم في النهاية الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بغزوه الكويت!

وفي الكتاب أيضًا أخطاء كبرى ارتكبها زعماء في حق أنفسهم بترك مصائرهم في أيدي خونة قربوهم منهم، وأسندوا إليهم مناصب حساسة فانقلبوا عليهم وأطاحوا بهم أو أعدموهم ومنهم الرئيس الشيلي سلفادور الليندي والعراقيان عبد الكريم قاسم وأحمد حسن البكر.

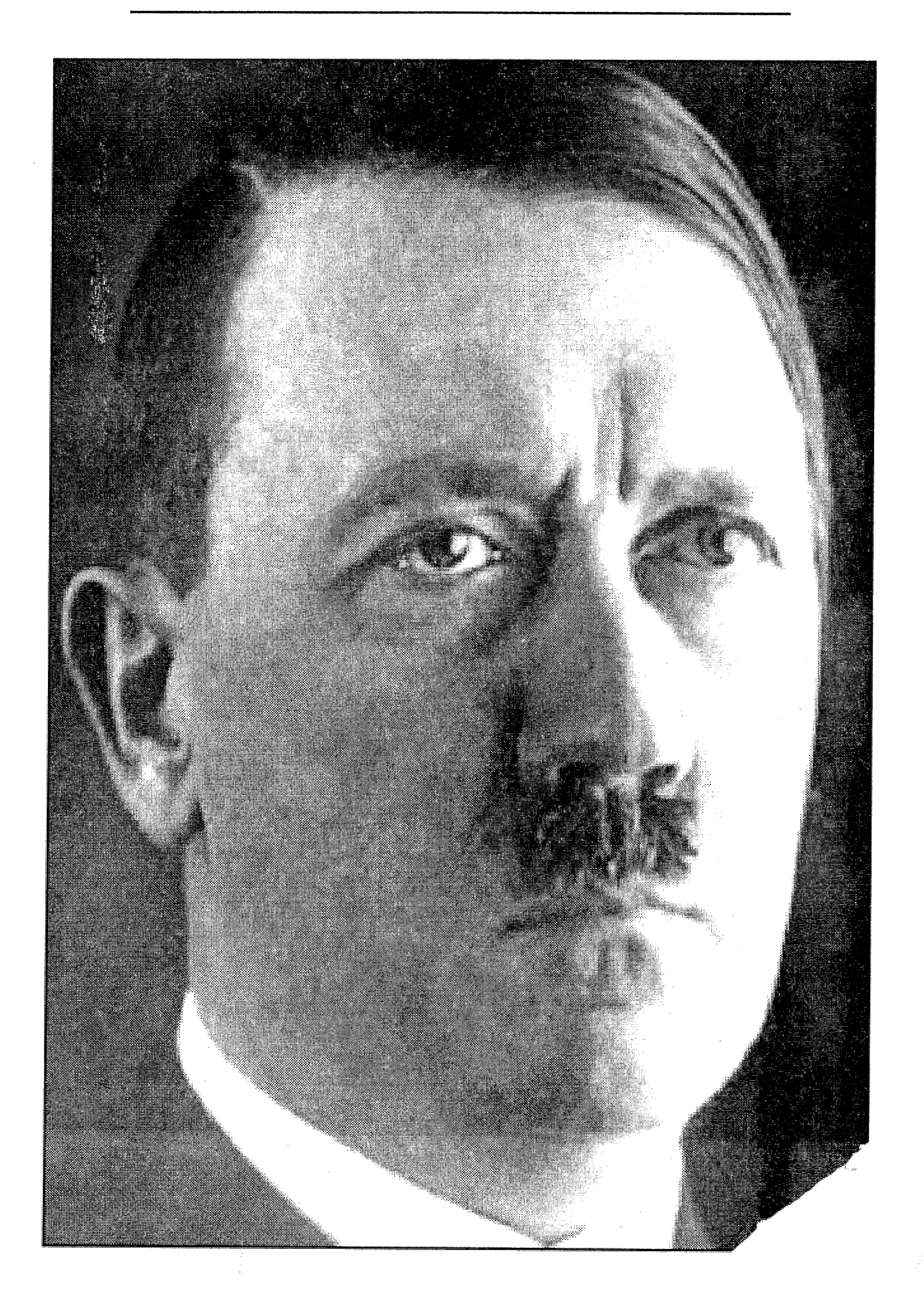
و في الكتاب نماذج لزعماء راهنوا على حلفائهم الأمريكيين، بدلا من أن يراهنوا على شعوبهم، فدفعوا الثمن غاليًا، وأدركوا بعد فوات الأوان أن كل من يراهن على أمريكا أو أية قوى خارجية لتأمين حكمه يخسر، ومن هؤلاء – كما سنرى – شاه إيران والرئيس الفلبيني الراحل فرديناندو ماركوس.

وهناك أيضًا أخطاء ارتكبها زعماء عرب آخرون كالرئيس المصري الراحل أنور السادات و الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة بعد كل ما حظيا به من شعبية جارفة .. كما سنطالع خطأ جسيمًا ارتكبه اثنان من رموز الحركة الوطنية الفلسطينية هما الرئيس الفتحاوي محمود عباس أبو مازن و رئيس حكومة حماس إسماعيل هنية بالدخول في صراع واقتتال على سلطة لا تزال بعد وليدة، بدلا من اللَّحِمَة من أجل قيام الدولة في أكبر خطأ يمكن أن يقدم عليه زعماء أية حركه وطنية في مرحلة حاسمة من نضالها لتحقيق حلم شعبها الكبير !!

شخصيات وشخصيات في هذا الكتاب كل منها كان يحمل لقب " شاطر " و لكن بغلطة واحدة كبرى، و ربما بخطية من العيار الثقيل أضاع من يده كل شيء، أو طمس كل ما سطره من تاريخ أو سمعة !!

مجدي حسين كامل

١ - نابليون .. وهتلر .. والجنرال " شتاء " !!



يُذكر قول مأثور "أن من لا يتعلم من أحطاء التاريخ يكررها" وقد أثبت نابليون وهتلر من بعده هذا القول.

حينما توقف نابليون عند أبواب مدينة موسكو عام ١٨١٢ بان للعيان أول التصدعات الحقيقية-التي حدثت في نظامه الإمبراطوري. وبعد أكثر من قرن على ذلك لا يبدو أن هتلر قد تعلم من درس نابليون القاسي فتوقف هو الآخر عند مشارف موسكو في ديسمبر ١٩٤١ ثم انتهى أمر الجيش الألماني بسبب نفس بسالة الروس، و من قبلهم " الجنرال شتاء " !!

نهاية نابليون وهتلر كانت نهاية مشتركة ومتشابهة لكلا القائدين والدولتين. فكلاهما نجح في غزو أوروبا بسرعة مدهشة بفضل تكتيكات عسكرية جديدة، وجيش حديث منظم، وتستمر لديهما مسيرة الفتوحات والمعارك الناجحة حتى يأخذهما الغرور والصلف، و يقرران غزو روسيا . ومن هنا تكتب لهما بداية النهاية .

فأوروبا قارة صغيرة يمكن لجيش متفوق احتلالها بسرعة كبيرة، وفي المقابل تتجاوز مساحة روسيا قارة أفريقيا وأوروبا وأستراليا مجتمعة - ضمن بيئة برية خالية لا تتمتع بمواصلات حديثة.. ومساحة هائلة كهذه تتطلب جيشاً أكثر ضخامة وتنظيماً - وقدرة لوجستية - تفوق قدرة أوربا مجتمعة على تحمله.

وبالإضافة إلى عامل المساحة الهائل (الكفيل بتشتيت أي جيش غازٍ) هناك "الجنرال شتاء" الذي طالما مزق جيوش الغزاة وحَمَى روسيا بطريقة طبيعية وغير مكلفة.

فحين قرر القائد الفرنسي نابليون غزو روسيا عام (١٨١٢) كان يملك أقوى وأفضل جيش في أور وبا. وفي البداية اقتحم روسيا بسهولة كبيرة (كما فعل هتلر بعده بـ ١٢٩عاماً - وقبلهما الملك السويدي تشارلز عام ١٧٠٩) غير أن الروس استغلوا العمق الجغرافي لبلادهم فانسحبوا أمام الجيوش الفرنسية ولم يشتبكوا معها.

وحين دخل نابليون موسكو لم يجد فيها إنساناً واحداً (حيث انتقلت الحكومة والأهالي إلى سيبيريا الباردة) فأحبط وقرر العودة لفرنسا. غير أن الشتاء كان قد حل أثناء عودته (ونزلت درجة الحرارة إلى ٤٠تحت الصفر) فمات معظم جيشه من الجوع والبرد. ومن أصل ٦٠٠,٠٠٠رجل لم يخوضوا معركة حقيقية قضى زمهرير روسيا على ٥٥٠,٠٠٠منهم، وهي خسارة لم يستطع نابليون تعويضها أبداً وكانت سبباً في نهايته .. و هذه هي قصة نابليون مع الروس و غلطته القاتلة أو خطيئته الكبرى!

في عام عام ١٨٠٠ كان نابليون بونابرت جنرالاً شابًّا حير بدهائه الحربي رجالات أوروبا. وُلد نابليون ابنًا لمحام من كورسيكا، نشأ من بين حطام الثورة الفرنسية حاكمًا لفرنسا، وعندما بلغ الخامسة والثلاثين نصب نفسه إمبراطورًا.

عام ١٨٠٤ انطلقت نخبة جيشه الإمبراطوري من باريس، وسرعان ما سيطر على مساحات شاسعة ما كان لأحد من الفرنسيين أن يحكمها غيره. و تمتع نابليون بأعصاب من حديد وهو جندي بعد، وتميز بتكتيك عسكري جريء.كان يحلم بإمبراطورية أوروبية لنفسه، فيها حكومة واحدة .. وعملة واحدة .. وقانون مدني واحد يضمن حماية حقوق المواطن العادي.

عندما تحقق حلمه، ألغى العائلات الملكية في أوروبا وسلطاتها المتوارثة. وفي عام ١٨٠٧ كانت روسيا وإنجلترا وحدهما تقاومان سيطرته على أوروبا، ثم هُزمت روسيا في معركة "فريد لاند" بعد انتصاره دعا نابليون القيصر الروسي ألكسندر

الأول إلى محادثات سلمية في تلسيت.كان متشوقًا لمفاجأة ألكسندر فبنى رمسًا جميلاً فوق نهر "ميمن".

وتأكد لنابليون أنه بحاجة إلى حليف صلب لاستقرار إمبراطوريته الجديدة، شعر بأن ألكسندر قد يكون الصديق الذي يبحث عنه، كان ألكسندر أرستقراطيًا وسيمًا يبلغ الثلاثين من العمر، وكان دبلوماسيًا فذًا، مكنته أفكاره الليبرالية من أن يصبح زعيمًا شعبيًا.

حكم قيصر روسيا الإمبراطورية الواسعة في الشرق، مع تقدم المفاوضات أوضح نابليون كيف يريد مساعدة ألكسندر، إذا ما توحدت فرنسا وروسيا ستصاب إنجلترا العدو الوحيد الباقي لنابليون بالعزلة التامة، فتصبح سيطرة نابليون على أوروبا كاملة.

ما كان لألكسندر أن يرفض ذلك سرعان ما تم توقيع معاهدة سلام بين أكبر إمبراطورتين في العالم، التحالف بين نابليون وألكسندر ألغى كل التعامل التجاري بين روسيا والإمبراطورية البريطانية كان الهدف من ذلك إفلاس قوتها.

في باريس لاحظت "جوزفين" تغيرًا في تصرفات زوجها، بعد لقائه مع القيصر الروسي أراد نابليون أن يتوجه بالصداقة مع ألكسندر إلى ما هو أبعد من ذلك أراد تعزيز التحالف بالزواج.

وكان كذلك يريد ابنًا إذا ما أراد لسلالته البقاء والاستمرار، ولكن نابليون يعلم بأن "جوزفين" عاجزة عن الإنجاب، وهكذا طلب من ألكسندر الزواج من شقيقته الصغرى "آن".

كان نابليون مستعدًا بالتضحية بزوجته أو بغيرها في سبيل مستقبل فرنسا، قال لجوزفين: لا مكان للقلوب في السياسة بل للعقول وحدها، ثم طلقها يوم الخامس عشر من كانون أول-ديسمبر سنة ١٨٠٩ بعد أربعة عشر عامًا من الزواج.

ولكن والدة ألكسندر ارتأت أن نابليون مجرد طاغية، وأنها لن تسمح لابنتها بالزواج منه، فصعق نابليون بالخبر.

وبعد أربعة أشهر تزوج نابليون من "ماري لويس" ابنة الإمبراطور النمساوي، أثمر زواجه منها الابن الذي أراده أن يكون وليًّا للعهد "فرانسوا جوزيف".

استمر التحالف الفرنسي الروسي لثلاثة أعوام أخرى، حتى أصيبت روسيا بالإفلاس، فأُجبر ألكسندر على التجارة مع أعداء فرنسا الإنجليز، شعر نابليون بالخيانة فقد كانت الصداقة بالنسبة له تعني كل شيء.

تردد نابليون في إعلان الحرب على ألكسندر، لم يسبق لأحد أن غزا روسيا، ونجح فهل له أن ينتصر حيث هُزم الآخرون؟ لكنه كان بحاجة للتحالف مع روسيا، ولا بد لانتصار حاسم أن يجبر ألكسندر على الدخول في محادثات سلام.

بالحرارة التي تميزه بدأ نابليون يخطط للهجوم، كان يوجه الأوامر بلا توقف لثلاث وزارات مختلفة في وقت واحد، في دماغه كان يحسب التمويل الذي سيحتاجه لاجتياح بلد هائل مثل روسيا.

فكر نابليون بكل الاحتمالات في حرب مهمة ومصيرية كهذه الحرب التي يوشك على ولوج نفقها.

في مايو من عام ١٨١٢ كان نابليون قد جهز نصف مليون جندي، كان واحدًا من أكبر الجيوش التي شهدها العالم، نصفه فقط من الفرنسيين.

حذره مستشاروه أن في اجتياح روسيا مجازفة مخيفة، لكن خطة نابليون كانت جاهزة، فتخلص من جميع الشكوك التي لديه .. ألم يكن هو الجنرال الأشد رعبًا في أوروبا ؟!!

وفي الطريق إلى روسيا أعلن نابليون : "سوف نرى من منا سيتعب أولاً، هل سيتعب جيشي على حساب روسيا أم القيصر من إطعام جيشي على حساب دولته، أصبح الأمر مسألة وقت فقط ".

عندما اجتاح نابليون روسيا أخذ معه نسخة من كتاب حياة الملك تشارلز عشر بقلم الفيلسوف الفرنسي فولتير، قبل قرن كان تشارلز ملك السويد قد سبق نابليون إلى روسيا حدث ذلك عام ألف وسبعمائة وسبع عشرة خلال حرب الشمال العظمى التي صورت أهم المراحل التي كان سيجتاحها نابليون، تشارلز أيضاً ترك جنوده يتوغلون عميقا في روسيا مما مدد طرق الاتصالات والدعم والتعزيزات حتى كادت تنقطع، ومثل نابليون علق تشارلز في براثن الشتاء وفقد الكثيرين من رجاله بسبب الجليد والثلج، وفي النهاية وبعد معركة دامت ثلاثة أيام في يوليو عام ألف وسبعمائة وتسعة اضطر معظم الجيش السويدي للاستسلام، والملك تشارلز مع ألف وخمسمائة فقط من رجاله الذين كانوا أصلاً سبعة عشر ألفا تمكنوا من الفرار، عام ألف وثمانمائة واثني عشر كان نابليون واثقاً من أنه لن يكرر الأخطاء التي كان ارتكبها الملك تشارلز لكن هذا كان افتراضا متعجرفاً، يذكر قول مأثور "أن من لا يتعلم من أخطاء التاريخ يكررها" وقد أثبت نابليون وهتلر بعده عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين صحة هذا القول.

وفي الرابع والعشرين من يونيو أطلق نابليون هجومه على روسيا، كان يتوقع معركة سريعة على الحدود يجبر فيها ألكسندر على المجيء لاستجداء السلام، على أن يعود إلى الوطن قبل نهاية الصيف.

لكن وحدات ألكسندر لم تكن هناك، انقسمت إلى مجموعتين وأخذت تعمل على تفادي مواجهة نابليون.

توجه الجنرال "باركلي ديتولي" قائد الجيش الروسي الأول نحو الشرق ليلتقي بـ"بيبليشن" قائد الجيش الروسي الثاني.

تابع نابليون مسيرته متعجلاً المعركة الحاسمة، ولكن ديتولي رفض القتال واستدرج الفرنسيين عميقًا إلى داخل روسيا، لم يتوقع نابليون الدخول إلى هذا العمق.

وبعد أربعة أسابيع من المسير أبعد جيشه أكثر من مائتي ميل عن منطقة الحدود، بدأ التمويل يتضاءل، ونسور نابليون تزداد جشعًا.

كتب أحد الجنود في ذلك يقول : " كنا نترك خلفنا بيوتًا خاوية، وحقولاً وغابات أسيرة النهب والسلب، كان نتائج الحرب مخيفة لاسيما بأنها اندلعت بهذه الأعداد الهائلة من الرجال ".

أخذ الجيش الفرنسي يزداد ضعفًا مع كل خطوة يتجه فيها نحو موسكو، أحرق الروس القرى التي تترامى على الطريق، كي لا يجد الفرنسيون مأوى، فأخذت جيادهم تموت بعد تعرضها للمطر والرياح.

بعد سبعة أسابيع من المسير قتل التعب ما يزيد عن مائة ألف جندي فرنسي. وأخيرًا اجتمعت الجيوش الروسية في "سمولينسكي"، وتجهزت لمحاربة نابليون الذي أنهكه التعب.

أصبح عداد جيش نابليون مائة وخمسة وستين ألف رجل بعد أن تُرك الباقون لحراسة طرق التموين، أما الجيش الروسي فبلغ تعداده مائة ألف رجل، رغم ذلك جرت معارك طاحنة بين كر وفر على مدار ثلاثة أيام دون أن يكون لأي منهما اليد العليا، ودون أن يتمكن أيهما من ادعاء النصر.

صُعق الروس وهربوا باتجاه الشرق، ثم عاودوا مرة أخرى اتباع سياسة الأرض المحروقة أثناء انسحابهم فدمروا وأحرقوا القرى ومستودعات الغذاء بكاملها، عند انسحابهم كانوا يخططون لتجويع الفرنسيين خلفهم.

تزايد الشعور بالإحباط لدى نابليون فكلما كان يطارد الروس نحو الشرق يتزايد تعرض جيوشه للخطر، لكن العودة إلى باريس قد توحي بالفشل.

أصبحت موسكو على مسافة أسبوعين فقط، لا بد أنه إذا استولى على العاصمة الروسية سيسعى ألكسندر لقبول السلام.

اعتياد نابليون على المغامرة جعله يتابع المسير، انسحب ألكسندر من موسكو إلى سان بطرسبرج، وكان يواجه الكارثة، فانسحاب قواته الجبان ترك آثارًا مدمرة على المعنويات، على الجيش أن يقف ويدافع عن موسكو، لهذا أصدر أوامر بإقالة "ديتولي" وعين محله الجنرال "كوتوسوف".

"كوتوسوف" كان داهية من المحاربين القدامى يبلغ من العمر سبعة وستين عامًا، أمر على الفور بوقف الانسحاب ودعا القوات الروسية للمواجهة والحرب.

اختار قرية "برودينو" موقعًا للدفاع عن موسكو، كانت تلك هي الفرصة التي ينتظرها نابليون معركة شكلية يمكنه الانتصار فيها، وصول صورة لابنه الصغير عززت من معنوياته، قال لحراسه: (لو كان ابني راشدًا لكان اليوم هنا بلا شك).

شاهد نابليون كل ما يجري في ساحات القتال من مرتفعات برودينو، يوم السابع من سبتمبر عام ١٨١٢.

كان الجنرالات في مواقعهم أكثر من مائة وثلاثين ألفا من أفضل رجاله في مواجهة مائة وعشرين ألف روسي، كل ما عليه أن يفعله الآن هو الترقب والانتظار.

في تمام السادسة صباحًا انطلقت عيارات نارية من خمسمائة بندقية فرنسية نحو الجيش الروسي، ولكن لدهشة نابليون قام الروس بالرد على مصادر النيران بشدة وعزم، كلما حاول الفرنسيون دفع الروس إلى الخلف كانوا يواجهون ردًا شديدًا من قبل الروس.

كتب أحد الجنود في تلك المناسبة يقول: (هدير المدافع وصراخ الرفاق المصابين من حولي هذا كله أثر في كثيرًا).

ومع حلول الظلام بدأت أصوات المعركة تهدأ وتموت، قال أحد الضباط: (الرمايات والقتل المتبادل جعل من ساحة برودينو نموذجًا لا يُطاق).

قال نابليون: " كانت أشد المعارك التي شاركت فيها، أثبت الفرنسيون فيها أنهم يستحقون النصر، وأثبت الروس أنهم لن يهزموا ".

أُصيب الفرنسيون بالرعب من حجم خسائرهم حيث قُتل أكثر من ثلاثين ألف جندي وخمس وثلاثون ألف جواد، صمدوا في ساحات القتال، ولكن نابليون لم يكن بحاجة إلى النصر.

في وقت متأخر من تلك الليلة سمع نابليون نبأ انسحاب الجيش الروسي مرة أخرى، تاركًا موسكو من دون دفاعات، فرصته الوحيدة هي احتلال المدينة وإجبار ألكسندر على القبول بالسلام.

بعد ثلاثة أشهر من المسير .. كان نابليون على مسافة خمسة وسبعين ميلاً من عرش الإمبراطورية الروسية.وهرب سكان موسكو من شدة الخوف والجزع.

و في يوم الرابع عشر سبتمبر من العام نفسه كان باستطاعة نابليون أن يشاهد ضواحي موسكو، القبب الذهبية لقصور الأثرياء كانت تلمع أمامه.

لكن لم يحتشد المستقبلون لتحية الإمبراطور، شعر نابليون بالخيبة والغضب .. لم يأته أحد بمفاتيح المدينة، ولم يصل طلب السلام من ألكسندر.

استولى نابليون على الكريملين قصر الإمبراطورية، وبعث بسفير إلى ألكسندر يعرض عليه السلام، ثم جلس هناك بانتظار الجواب.

في الليلة الأولى أيقظ الحرس نابليون يبلغونه بأن النيران تشتعل في أنحاء موسكو. واكتشف الفرنسيون أن الهاربين الروس فتحوا أبواب السجون، وأخلوا سبيل جميع المحكوم عليهم .. عقدوا العزم على حرق مدينة موسكو، علق أحد

رجال الإطفاء على ذلك بالقول: " كنا نسير على أرض مشتعلة تحت سماء من لهيب، وبين جدران حارقة ". و بعد أيام احترق السواد الأعظم من المدينة.

صُعق نابليون .. أحرق الروس عاصمتهم بأيديهم، ولم يصله بعد أي رد من القيصر، كان نابليون على قناعة بأن التحالف بينه وبين القيصر مازال واردًا، ولكنه بدأ يشك بذلك للمرة الأولى.

كان يريد عملاً؛ لهذا بعث مرة أخرى برسالة يائسة إلى بطرسبرج، لكن ألكسندر لم يكن راغبًا في السلام، كان يعلم أن قسوة الشتاء الروسي ستتولى تصفية الفرنسيين بنجاح أكبر مما يمكن للجيش الروسي أن يحققه، الصبر سيؤدي إلى النصر.

أصبح نابليون على شفير الهاوية وهو يجلس في موسكو بانتظار جواب من ألكسندر، كان التمويل في المدينة يتضاءل يومًا بعد يوم، كانت عصابات الروس تهاجم خطوط الاتصالات الفرنسية كل يوم.

أطل فصل الشتاء الروسي القارص برأسه المخيف، أراد نابليون أن يتوجه إلى سان بطرسبرج، ولكن جنرالاته نصحوه بألا يفعل، فالمسافة بعيدة جدًّا.

وفي يوم الخامس عشر من أكتوبر سقطت الثلوج على أطلال موسكو، تأكد لنابليون أنه لا يستطيع الاستمرار في انتظار ألكسندر حتى يستسلم، عليه أن يغادر موسكو فورًا.

بعد خمسة أسابيع فقط من الاحتلال أُجبر جيش نابليون على مغادرة موسكو دون معاهدة سلام، وُضعت المؤن والغنائم في العربات، كتب أحد الجنود عن ذلك اليوم قائلاً: (بدا الأمر وكأن أحد الجيوش القديمة يعود محملاً بالأسرى والغنائم).

توجه نابليون أولاً نحو جنوبي غربي روسيا الأكثر دفئًا، ولكن الروس دفعوه نحو الخلف إلى "برودينو".

بعد أيام كان الجيش يمشي على جثث القتلى ممن سقطوا هناك في المعارك التي وقعت قبيل شهر من ذلك.

بعد أن أحاط به الجليد أخذ الجيش ينسحب عبر ساحات المعارك، لم يجد مأوًى من قسوة المناخ، لم تكفه المؤن المتضائلة.

استمر الثلج بالهطول، كان الجنود الفرنسيون يفتقرون للملابس الدافئة والأحذية، لم يكونوا مستعدين لفصل الشتاء، وما إن بدأت الحرارة تهبط إلى ثلاثين درجة تحت الصفر حتى بدأ الرجال يتجمدون.

حانت ساعة ألكسندر .. قام الجيش الروسي بمهاجمة نابليون سعيًا للانتقام، أقفل الشتاء الروسي طريق عودته إلى الوطن.

وصل البرد إلى عظام جنود نابليون، فأخذوا يتجهون غربًا عبر مناطق لا حدود للثلج فيها، أصبحوا على مسافة ألف وخمسمائة ميل من باريس.

كتب أحد الجنود عن تلك المسيرة قائلاً: (كان الرجال يتمايلون على طول الطريق ثم يسقطون دون حراك، خرجت أقدام بعضهم من الأحذية بلونها الأحمر أولاً لتنتهي بالزرقة والسواد).

تخلى الفرنسيون عن أسلحتهم فوضعوها جانبًا كي لا يأخذها الروس، دُفنت غنائم موسكو الثمينة في الخنادق، مع توجه الجيش نحو الغرب أخذ من تبقى من الجنود الفرنسيين يأكلون جيادهم.

في هذه الأثناء كانت جيوش ألكسندر تطعن في خاصرة الفرنسيين وهم كالمخرز في العين، قرر الروس اعتراض انسحاب نابليون عند نهر بريزينا.

وزع الروس رسمًا لنابليون وهم على ثقة بأنتهم سيتمكنون من أسره، دمروا الجسر الوحيد الذي يعبر نهر بريزينا، حين وصل نابليون إلى النهر واجه تيارا من المياه الجليدية بعرض ثلاثمائة ياردة، وقع في المصيدة.

أحرق جميع ما لديه من أوراق شخصية خوفًا من الوقوع في الأسر، فجأة وكأنه استعاد لهيب النيران التي في عروقه رسم نابليون خطة جريئة، بأن يضع جسرًا على النهر وينقذ كل جيشه.

بعث بأشد رجاله جرأة للعمل على تحويل النهر، فوجه أربعمائة من جنود الهندسة لتدمير أقرب مجموعة من المنازل باستخدام الأخشاب بذلوا ما في وسعهم في المياه الجليدية لبناء جسرين كبيرين، بعد أربع وعشرين ساعة كان الرجال المتعبون يعبرون النهر.

تنبه الروس إلى خطئهم، وأخذوا يقصفون الجسرين، فقد النظام وتراكم الرجال فوق بعضهم البعض لعبور النهر، سقط الجسران مرتين ثم أعيد بناؤهما، وقع الآلاف في المياه الباردة وغرقوا، سُد نهر بريزينا لعدة أسابيع بالجثث المتجمدة.

لكن تم إنقاذ خمسة وعشرين ألف جندي، وعندما اصطف الباقون على قيد الحياة توقف الروس عن مطاردتهم.

نجا نابليون من بريزينا وخرج من المصيدة الروسية، لكن مشاكله لم تنتهِ بعد، وصلت أنباء من باريس عن محاولة انقلاب لإسقاط الإمبراطور، نصحه الجنرالات بالتوجه فورًا إلى فرنسا، فانطلق في رحلة تسعمائة ميل إلى باريس، كان يعلم بأهمية وصوله إلى هناك قبل أن تُشاع في أوروبا أنباء عن هزيمته النكراء.

قد يستغرق الأمر أربعة أشهر قبل أن يتمكن خمسة وعشرون ألفًا من فتح طريق العودة إلى فرنسا عبر روسيا، تكبدت فرنسا ثمنًا باهظًا لاعتقاد نابليون بأنه يستطيع غزو روسيا، وقد اعترف بذلك فيما بعد فقال: (لقد خُذلت وخَذلت نفسي).

شكلت الحملة الروسية الفاشلة بداية النهاية لنابليون، لقد تحطم حلمه في أن يصبح إمبراطورًا على أوروبا الموحدة، أما القيصر الروسي ألكسندر الذي لم يعد صديقه فقد هاجم فرنسا ودمر إمبراطورية نابليون.

حشدت روسيا وانجلترا قواتهما مرة أخرى مع باقي أوروبا، وأخيرًا هُزم نابليون في معركة "ووترلو" عام ١٨١٥.

تم نفيه إلى جزيرة "سانتا إيلينا" في جنوب الأطلسي بعيدًا عن أوروبا، لم ير عائلته أو بلاده مرة أخرى إلى أن مات وحيدًا عام ١٨٢١.

والآن سنتعرف على قصة هتلر مع الروس لنرى كيف كرر نفس غلطة نابليون بطريقة مشابهة، فكانت نهايته كما نهاية نابليون !!

نعم .. في سبتمبر ١٩٤١ كرر هتلر نفس الغلطة حين انقلب على روسيا وقرر غزوها واحتلال حقول النفط فيها. فحتى ذلك التاريخ كانت ألمانيا تملك "أقوى جيش في العالم" نجح في احتلال روسيا بجيش قوامه ثلاثة ملايين رجل.. غير أن ستالين - الذي أدرك عجز روسيا عن مواجهة ألمانيا - قرر استغلال عامل المساحة وانتظار فصل الشتاء، وهكذا اعتمد سياسة الانسحاب والأرض المحروقة والتمركز في المدن والمواقع الحيوية. ورغم أن الألمان وصلوا إلى مشارف موسكو، ورغم أنهم حاصروا ستالينجراد لعشرة أشهر، إلا أن تشتتهم ومعاناتهم من الجوع والبرد حد من اندفاعهم نحو الشرق.

وفي المقابل انتقل الروس (المعتادون على البرد والزمهرير) إلى خلف جبال الأورال الشرقية وانشأوا مصانع عسكرية ضخمة (ظلت تنتج ٢٠٠٠دبابة و١٨٢٢طائرة كل شهر). وحين حل فصل الشتاء القارس بدأ الروس هجوماً معاكساً مدعوماً بأسلحة حديثة وجنود من سيبيريا (يأكلون الجليد ويستحمون في برك المياه المثلجة).. وشيئاً فشيئاً بدأ الروس بتكبيد النازيين خسائر هائلة وقرروا مطاردتهم حتى برلين.. وبالفعل اخرجوا الألمان من روسيا ثم أوكرانيا والبلطيق- وتمكنوا من احتلال بولونيا ورومانيا وهنغاريا والنسما وشرق ألمانيا.

وكان تقدم الروس السريع واستيلاؤهم على شرق أوروبا سببا في تعجيل الحلفاء حملتهم على ألمانيا من جهة الغرب (وكان تشرشل بالذات يخشى من سقوط كامل أوروبا في قبضة الروس).. ورغم أن الحلفاء استدركوا نصيبهم من الانتصار إلا أن الروس كانوا أول من دخل برلين من الشرق ودمروا مبنى الرايخشتاخ على رأس هتلر!!

لقد حدثت تغييرات هائلة في القرن العشرين فكما أن تشارلز الثاني عشر ونابليون عرفا المبادئ العمومية للطقس غير أنهما ما كانا يملكان أرقاماً؛ لأن الأرقام لم تكن موجودة وما كانا يفكران فيها البتة، كل ما عرفا أن الطقس يكون بارداً جداً في الشتاء بالمقابل كان هتلر يملك معرفة علمية بأحوال الطقس، كان لديه قسم متطور جداً للرصد الجوي؛ ولذلك كان بإمكانهم أن يحسنوا استخدام المعلومات عن أحوال الطقس بشكل أفضل بكثير من كل الذين سبقوهم، لكنهم لم يفعلوا !!

ظن هتلر أن بإمكانه أن يحتل روسيا في سنة واحدة حتى إنه لم يفكر مطلقاً بتزويد رجاله بملابس شتوية، لم نكن نلبس من الملابس إلا ما يتناسب مع الصيف والفترات الحارة من السنة لا شيء غير ذلك، ثم حدث أسوأ ما يمكن أن يحدث؛ لأنه في شتاء واحد وأربعين واثنين وأربعين وثلاثة وأربعين وصلت درجات الحراة في روسيا إلى خمس وأربعين درجة تحت الصفر، وفي الصيف كانت ترتفع إلى أربعين درجة وكان على الألمان أن يتكيفوا مع هذا الفارق.

وقد تبين فيما بعد أن العدد الأكبر من القتلى في الجبهات مات بسبب تعرض أطرافهم للبرد وأن عدداً أقل قتلهم البرد أو ماتوا إثر جراح تسببت بها نيران العدو.

وسوف نتوقف هنا عند معركة ستالينجراد أكبر شاهد على غلطة هتلر الكبرى، التي عجلت بسقوطه، ثم انتحاره، لنرى كيف أساء هتلر تقدير عدد من الأمور، كتصميم السوفييت وعزمهم، وقدرتهم على القتال خلال صيف عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين تمكن ستالين ورجاله من الاستفادة من الموارد الضخمة

للاتحاد السوفيتي، ومعدات ومواد أولية، وقد عملوا على توفير الطاقة الكافية بغية الاستمرار في إشغال الألمان في حرب استنزافية.

معركة ستالينغراد هى معركة حدثت بين ألمانيا النازية وحلفائها، والاتحاد السوفييتي حدثت في مدينة ستالينجراد (المعروفة اليوم فولجوجراد) التي وقعت بين ٢١ أغسطس ١٩٤٢ و ٢ فبراير ١٩٤٣، كجزء من معارك الحرب العالمية الثانية و تعتبر نقطة تحول من الحرب العالمية الثانية على الساحة الأوروبية و يمكن القول أنها المعركة الأكثر دموية في التاريخ البشري نتيجة لعدد القتلى الكبير الذي فاق ١,٥ مليون قتيل.

وتمتد مدينة ستالينغراد بمحاذاة الضفة اليمنى لنهر الفولغا ويبلغ طولها ٣٠ كم ولها أهمية صناعية خاصة وتعتبر المنطقة من الأراضي المنبسطة التي تكثر فيها المستنقعات والسبخات وهي امتداد للسهل الأوروبي وهي من أغنى مناطق الاتحاد السوفيتي من حيث الثروات.

وعودة للمعركة، سنجد أنه بعد أن طرد الألمان القسم الأكبر من القوات الروسية المدافعة عن ستالينجراد توغلوا في المدينة نفسها يوم ١٢ سبتمبر ١٩٤٢ فوجدوا أنفسهم يخوضون قتالاً مريراً من شارع إلى شارع ومن بيت إلى آخر وتحمل المشاة الألمان بطبيعة الحال وطأة ذلك القتال المرير متكبدين خسائر فادحة .

وفي يوم ١٣ سبتمبر ١٩٤٢ وصلت قوات الجيش المدرع الرابع الألماني مع بعض التشكيلات الرومانية إلى ضفة نهر الفولغا جنوب المدينة إلا أنها لم تستطع رغم الهجمات المتعاقبة التي شنتها الوصول إلى المنطقة الصناعية الكائنة شمال المدينة بسبب كثرة القوات وشدة مقاومة السوفييت.

المقاومة الروسية المقابلة :

دافعت عن المدينة في أول الأمر الجبهة الجنوبية الغربية وقررت القيادة السوفيتية العليا تدمير الجناح الجنوبي للقوات الألمانية بالقضاء على الجيشين ٦ والمدرع ٤، وكلف المشير جوكوف والفريقان فاسيليفسي وفورونوف بمهمة تنسيق تحركات الجبهات الثلاث المذكورة، ونقل إلى منطقة ستالينغراد أكبر حشد من احتياطات القوات المسلحة السوفيتية بصورة مكتومة لتحقيق النصر الساحق معاً وقد جرى توقيت الهجوم باعتناء بحيث يتواءم مع إنزال الحلفاء الغربيين في المغرب والجزائر.

وفي الساعة ٧,٣٠ من يوم ١٩ أكتوبر فتح ٧٠٠٠ مدفع روسي نيرانها على القوات الألمانية في منطقة ستالينغراد تمهيداً للهجوم الروسي المضاد، وتوخت قطعات الموجة الروسية الأولى المهاجمة قاطع الجيش الثالث الروماني وأحدثت خرقين واسعين في جبهتي فيلقيه الثاني والرابع عند رأسي الجسرين في كليتسايا وبولشوي على نهر الدون .

عندئذ تجمعت تشكيلات الفرقتين الخامسة والسادسة وأجزاء من الفرقتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة الرومانية بإمرة الفريق لاسكار وأخذت تقاوم الهجمات الروسية من موضع مدافع عنه من جميع الجهات، فزجت مجموعة الجيوش الألمانية باحتياطها المؤلف من الفيلق المدرع ٤٨ بقيادة الفريق هايم لإزالة الخرق الروسي إلا أن الفيلق المذكور لم يتمكن من إحباط الهجمات الروسية لعدم كفاية قواته الضعيفة إزاء الهجمات الشديدة المتعاقبة .

في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٢ شرع الروس بالموجة الثانية من الهجوم المضاد الواسع فشن الجيش ٥١ هجوماً عنيفاً على مواضع الفيلق السادس الروماني (ضمن قطاع الجيش المدرع الرابع الألماني) وتمكن من خرق جبهته خلال ثلاث ساعات فقط، كما هاجم الروس الفرقة ٢٠ الرومانية (ضمن قاطع الفيلق الرابع الألماني)

فانهزم الجيش الروماني مما تسبب في خرق مواضع الجيش المدرع الرابع إلى قاطعين منفصلين .

وقد أدى هذا الخرق إلى انهيار دفاعات الفيلق السادس الروماني فأدى ذلك إلى انفساح المجال لاندفاع القوات الروسية وراء الجيش السادس الألماني من جهة الجنوب .

وفي ٢٢ أكتوبر ١٩٤٢ استولى الفيلقان المدرعان الرابع والسادس والعشرون الروسيان من الجبهة الجنوبية الغربية في صولة سريعة على جسر الدون قرب كالاتش وفي عصر يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ التقت أرتالها الأمامية القادمة من الشمال الغربي بالفيلق المدرع الرابع الروسي من تشكيلات جبهة ستالينغراد والقادم من الجنوب الشرقي عند سوفيتسكي فحقق الروس بذلك الاتصال تطويق الجيش السادس الألماني .

وأدركت قيادة مجموعة الجيوش (ب) الألمانية بأن تطويق الجيش السادس وخرق مواضيع الجيشين الرومانيين يتطلب منها جبهة جديدة إلى الغرب وكذلك تغيير عناصر قيادة التشكيلات الرومانية فتم نقل العقيد الركن الألماني فينك من منصب رئيس أركان الفيلق المدرع ٥٧ إلى منصب رئيس أركان الفيلق الثالث الروماني .

وصدرت الأوامر للجيش الثالث الروماني بمنعه من القيام بأية حركة انسحاب، واستقر الموقف نسبياً في قاطع مجموعة الجيوش ب الألمانية بعد أن ركزت التشكيلات الروسية ضغطها الشديد على تشكيلات الجيش السادس الألماني التي تم تطويقها في ستالينغراد، وكان الجيش السادس الألماني قد تعرض لخسائر فادحة من جراء معارك الاشتباك القريب التي دارت في الضواحي الشمالية لمدينة ستالينغراد مما أثر على معنويات رجاله، أضف إلى ذلك أن شتاء ١٩٤٢- ١٩٤٣ كان شديد البرودة وقد صادف التعرض الروسي الكبير هطول أمطار غزيرة جعلت التنقل على الطرق الموحلة متعذراً .

عندئذ أصدر هتلر أوامر مشددة للجيش السادس بوجوب الصمود حتى آخر طلقة وآخر جندي، وأمر بتشكيل مجموعة جيوش الدون في ٢٧ أكتوبر ١٩٤٢ من الجيش السادس المحاصر والجيش المدرع الرابع وبقايا الجيشين الرومانيين الثالث والرابع وجعلها تحت قيادة المشير أريش فون مانشتاين الذي استقدم مع جيشه (الجيش الحادي عشر) من جبهة لينينغراد على عجل حيث أبدلت تسمية ذلك المقر إلى (مقر مجموعة جيوش الدون) التي كلفت بمهمة التعرض لكسر التطويق ولكن دون إخلاء ستالينغراد، فأقام فون مانشتاين جبهة جديدة امتدت من شمال ايلستا إلى شمال كوتلنيكوفو .

حرصت القيادة السوفيتية في أول الأمر على منع عمليات كسر التطويق الألمانية سواء من ستالينغراد بخروج الجيش السادس أو الاندفاع من خارجها بتشكيلات الجيش المدرع الرابع وكلفت بهذه المهمة جيش الحرس الثاني بقيادة الفريق الأول مالينوفسكي والجيش ٥١ بقيادة الفريق الأول تروفانون

عرض باولوس حالة جيشه المنهك الذي تكبد خسائر فادحة على القيادة الألمانية مؤملا موافقة هتلر على سحب الجيش السادس من ستالينغراد ببرقية أرسلها ليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ يطلب فيها السماح له بكسر التطويق والقيام بعملية خروج قبل فوات الأوان لا سيما وأن عملية التطويق تضطره بطبيعة الحال إلى الدفاع من جميع الجهات أي مضاعفة طول جبهة الجيش، كما وأن الجيش تكبد في الأيام الأخيرة خسائر فادحة في الأفراد لدرجة أصبحت معها تشكيلاته ضعيفة القوة، وقد أيده في طلبه رئيس أركان القوات البرية الفريق كورت زايتسلر خلال عرض الموقف اليومي .

تفهم هتلر موقف الجيش في أول الأمر وأبدى ميلا لقبول وجهة نظر الفريق زايتسلر فسأل عن مدى إمكانية تموين الجيش السادس المحاصر عن طريق الجو فأبدى قائد القوات الجوية المشير هرمان غورنغ استعداده لتموين تشكيلات الجيش

السادس جوًّا، فكانت إجابته هذه وبالا على الجيش السادس المحاصر، ذلك لأن متطلبات إدامته اليومية تبلغ ٧٥٠ طناً وقد تعهدت القوة الجوية الألمانية بنقل نصف هذه الكمية ثم رفع قائدها المقدار المذكور إلى ٥٠٠ طن في اليوم خلال مناقشات صباح ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢ .

وعندئذ أصدر هتلر قراره بوجوب صمود الجيش السادس في ستالينغراد رغم تحذيرات الفريق زايتسلر الذي اختتم مناقشاته لهتلر بقوله : "إنك تريد الاحتفاظ بستالينغراد يا سيدي ولكنك ستفقد ستالينغراد والجيش السادس معاً" .

أعاد الفريق الأول باولوس ترتيب تشكيلاته ضمن المنطقة المطوقة التي بلغ طولها من الشرق إلى الغرب ٤٠ كم ومن الشمال إلى الجنوب ٢٠ كم وكانت هذه منطقة كافية لإدارة معارك الدفاع السيار بمرونة كما كان مطار بيتومنك الكائن في وسط المنطقة محمياً من تأثيرات النيران المصوبة .

في خلال هذه الفترة كانت هناك قوة مختلطة قوامها ٤٠٠٠ ألماني و١٢٠٠٠ إيطالي مطوقة شمال ميليروفو فاستطاعت الخروج عنوة في إحدى الليالي وقد اعتمدت على إسناد بضعة مدافع صولة ثم تنقلت بمسيرة على الجليد لمسافة ٢٠ كم حتى وصلت إلى الخطوط الألمانية ولم تفقد من موجودها سوى أقل من ١٠٪ .

شن الروس بتشكيلات الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة فورونيش الموجه الثانية من هجومهم الواسع على جبهة الجيش الثامن الإيطالي المؤلف من ٧ فرق إيطالية وفرقة ألمانية واحدة في قاطع الدون الأوسط وبعد يومين حقق الروس انتصارا كبيرا.

وسع الروس ثغرات الخرق التي أحدثوها في جبهة الجيش الثامن الإيطالي حتى جعلوها خرقاً واسعاً واحداً بلغ اتساعه ١٠٠ كم وكان هذا كارثة أحدقت بمجموعة جيوش الدون الألمانية التي تعرضت هي الأخرى لهجمات عنيفة لإبعاد تشكيلات

المحور عن ستالينغراد تمهيداً لابادة الجيش السادس وتحقيق هدف آخر هو القضاء على الجناح الجنوبي للتشكيلات الألمانية برمته بالوصول إلى روستوف وعزل القوات الألمانية الباقية في القفقاس .

وفي ليلة عيد الميلاد ٢٥/٢٤ ديسمبر ١٩٤٢ واليومين اللذين أعقباها شددت تشكيلات جبهة ستالينغراد السوفيتية هجماتها بقوات متفوقة عدديًّا على الجيش المدرع الرابع الألماني والجيش الرابع الروماني، وفي ٢٩ ديسمبر ١٩٤٢ احتل الفيلق المدرع السابع الروسي مدينة كوتلنيكوفو .

وعندئذ اضطر المشير فون مانشتاين على إيقاف الهجوم الذي شرع به الجيش المدرع الرابع بقصد الوصول إلى ستالينغراد وتحقيق الاتصال مع الجيش السادس لكي يرأب التصدع الذي طرا على جبهة مجموعة الجيوش وبقي الجيش المدرع الرابع يقاتل ثلاثة فيالق آلية روسية في القاطع الجنوبي، بينما كان جيش هوليدت من مجموعة الجيوش ب يقاتل ثلاثة جيوش في قاطع تسيميليا .

وأصبح موقف الجيش السادس ميئوساً منه في ستالينغراد بعد النجاح الذي حققه الجيش الروسي في إبعاد الجبهة الجديدة عنه إلى هذه المسافة وتكثيف الاحتياطات لتشديد الضغط عليه بصورة منظمة .

وقد آمنت القيادة العليا الألمانية بان الجيش السادس لم يعد بمقدوره القيام بعملية خروج وتصورت أن بإمكانها إنقاذ الجيش بهجوم جديد تشنه في ربيع ١٩٤٣ لكنها لم تتمكن من إدامته في ذلك الطقس الشديد البرودة وكذلك لقلة العتاد الذي بقيت لديه منه مقادير ضئيلة .

وكان بإمكان الطائرات القيام بثلاث رحلات يومياً إلى منطقة الحصار ولكن ابتعاد الجبهة الألمانية عن ستالينغراد جعل تنقلها محدوداً بعد أن ضاعف الروس الدفاعات ضد الجو لمقاومة طائرات النقل ففقد الألمان في شهر ديسمبر ١٩٤٢ وحده ٢٤٦ طائرة خلال عملية نقل المعدات إلى ستالينغراد .

وفي ٨ يناير ١٩٤٣ عرض المشير السوفيتي روكو سوفسكي على الفريق الأول باولوس الاستسلام إلا أن القائد الألماني رفض الطلب وواصل القتال .

وفي ٩ يناير ١٩٤٣ تلقى باولوس نداء من برلين بترقيته إلى رتبة مشير وما لبث أن وصلته شارات الرتبة وعصا المشير التقليدية، وقد شرع الروس بهجومهم النهائي لتحطيم الجيش السادس في ستالينغراد يوم ١٠ يناير ١٩٤٣ بعد أن أحاطت بالمدينة سبعة جيوش سوفيتية من الجبهات الثلاثة (جبهة ستالينغراد وجبهة الدون والجبهة الجنوبية الغربية)

في ١٤ يناير ١٩٤٣ استولى الجيش ٢١ على مطار بيتومنكوهو أهم قاعدة جوية يتمون الجيش السادس عن طريقها وفي ٢٢ يناير ١٩٤٣ فقد الالمان مطار غومراك أيضا وبذلك انقطع التصال الجوي مع ألمانيا تماماً، وفي ٢٥ يناير ١٩٤٣ استطاع الروس خرق دفاعات الجيش السادس في ستالينغراد وعزلوا الفيلق ١١ في الشمال عن التشكيلات المحاصرة الأخرى .

في ٣١ يناير ١٩٤٣ استسلم القسم الأكبر من الجيش السادس للسوفيت ووقع المشير باولوس وثيقة استسلام جيشه للمشير السوفيتي روكوسوفسكي لكن الفيلق ١١ بقي يقاتل بقيادة الفريق شتريكر في أطلال الأحياء الشمالية من المدينة لتوفر مقادير ضئيلة من المؤن ولما نفدت استسلم هو الآخر عصر يوم ٢ فبراير ١٩٤٣.

لقد اختفت تحت ظلال معركة ستالينغراد مظاهر قوة النازية، و سقطت عبقرية هتلر الشيطانية . و كما يقول رودريك بريثويت : يمكن اعتبار ستالينجراد أكبر معركة في التاريخ من حيث عدد المشاركين فيها والذي بلغ اكثر من سبعة ملايين إنسان وعلى مساحة تقدر بمساحة الأرض الفرنسية .

بريثويت هو مؤلف كتاب : " موسكو ١٩٤١ "، وكان يحتل منصب سفير بريطانيا في موسكو خلال مرحلة انطلاق الشيوعية في الستينيات، ومرة أخرى خلال فترة

الـ «بيريسترويكا» لذلك فإن فترة بقائه الطويل في روسيا ومعايشته للحياة فيها انعكست في هذا الكتاب الذي يصور تصويراً حيوياً وجه مدينة موسكو أمام عدو مرعب وشرس.

يبدأ كتاب بريثويت بوصف جميل لمدينة موسكو: تاريخها، الريف المحيط بها وفصول السنة التي ستلعب أدواراً مهمة في صفحات الكتاب. في دراسته هذه يشير المؤلف إلى أن معركة موسكو استغرقت ستة أشهر: من سبتمبر ١٩٤١ وحتي أبريل ١٩٤٢ كلفت الروس من القتلى أكثر مما فقد البريطانيون والأميركيون معاً على مدار الحرب كلها. ويعتقد بريثويت أن معركة ستالينغراد التي حدثت نهاية عام ١٩٤٢ اعتبرها الكثيرون المعركة الحاسمة على الجبهة الشرقية، إلا أن المعركة الحاسمة الحقيقية هي معركة موسكو.

وقد جرت معركة موسكو خارج العاصمة، وحوصرت القوات الألمانية بعد اجتياحها الكبير للأراضي الروسية، لكنها أخيرا دحرت من خلال مواجهات عسكرية عنيفة فحينما بدأ الهجوم الألماني اتخذ ستالين قرارات استراتيجية انتحارية في الأسابيع التي تلت الهجوم، حيث أخذ يزج أفواجا من المقاتلين في طريق الألمان الذين دمروها واحدا بعد الآخر.

كان انتصار الجيش الأحمر واحدا من أكثر النتائج غير المتوقعة في الحرب العالمية الثانية، فقد كانت روسيا غير مهيأة لأشياء كثيرة وكانت القوات على وشك أن تدحر.

فخلال صيف ١٩٤١ تقدم الجيش الألماني مسافة أربعمائة ميل باتجاه موسكو وذلك خلال ثلاثة أسابيع فقط، وعند نهاية العام أصبح على بعد خمسة عشر ميلا من الكرملين، لكن خلال بضعة أيام تراجع مندحراً تحت هجمات الروس الانتحارية.

وأخيرا تم تقدير خسائر الألمان بخمسة ملايين إنسان فقدوا في روسيا. يعتقد المؤلف بان موسكو ما كانت لتهدد لو أن ستالين أخذ في الاعتبار التحذيرات التي كانت تنذر بهجوم ألماني وشيك بداية صيف ١٩٤١، فقد التصق بفكرة أن هتلر سوف لا يهاجم طالما بريطانيا لم تزل غير مهزومة، فقبل ساعات من بدء هجوم القوات الألمانية كان ستالين مقتنعا بأن لا دلائل هناك على هجوم ألماني، بل وأنه هدد بإعدام أي جنرال يبدي استعدادا للحرب.

معركة موسكو تمثل تاريخا عسكريا يعيد مرده بريثويت كتاريخ اجتماعي وثقافي. المؤلف هنا يعيد خلق الصورة السايكولوجية المعقدة من خلال مئات المقابلات الجديدة التي أجريت للسجناء الروس وكذلك اليوميات والرسائل والصحف.

ويبدو هذا الكتاب اقل تناولا للمواضع الأستراتيجية مما أدى لرسم صور حية لشخصيات عاشت ذلك الحدث وما جرى للناس العاديين ودورهم في الدفاع عن العاصمة إضافة إلى الكتب والوثائق والمقابلات الشاملة مع من شارك في تلك المعركة وممن بقي على قيد الحياة حتى الآن .

والحقيقة أن وراء الغزو النازي لروسيا، وعملية التخطيط له، جذور سجل أدولف هتلر نفسه بعض أسرارها الخفية في كتابه " كفاحي " الذي يعتبر برنامجا للحركة الفاشية الألمانية العبارات التالية . (وإذا كانت القضية موضوع أراض وتربة زراعية في أوروبا فإن هذا لا يتحقق على نطاق واسع إلا على حساب روسيا. وعلى الرايخ الثالث أن يسير من جديد على نفس الطريق الذي سار فيه من قبل فرسان التيوتون الأشداء) .

وكان النازيون يذيعون مخططاتهم المعادية للسوفيات ليكسبوا بذلك ثقة الاحتكاريين الأمريكان والإنجليز وليحصلوا منهم على المزيد من المعونة، وراح هتلر يزهو في جلسة خاصة مع المقربين إليه بقوله : (على أن ألعب الكرة مع الرأسمالية وأن أبقي على دول فرساي في صفي برفع الشعار المعادي للبلشفية

لأحملها على الاعتقاد بأن ألمانيا النازية هي الحصن المنيع الأخير في وجه الطوفان الأحمر وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من فترة الخطر ومن شروط فرساي والتمكن من إعادة التسلح) .

وحقق هتلر الغاية التي عمل لها . فقد سارعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا إلى القيام بلعبة سياسية ماكرة وتوقعت هذه الدول أن تمكر بألمانيا وتستخدمها لتحقيق أهدافها وخيل إليها أن في وسعها الاحتيال على الدكتاتورية الفاشية بمنتهى السهولة، ونقل الدبلوماسيون الألمان في الخارج إلى حكومتهم في برلين أن الحكومات الغربية مقتنعة كل الاقتناع بأن ألمانيا ستحصر عدوانها في الشرق وستتقبل العون الغربي . وراح القادة العسكريون الأمريكان والإنجليز يقدمون النصائح الودية لأدولف هتلر، ويشيرون عليه بالأسلوب الذي يتبعه في عملياته الاغتصابية . وأوصى كبار القادة البريطانيين على سبيل المثال هتلر بأن يبادر إلى غزو تشيكوسلوفاكيا ثم يمضي منها لغزو النمسا فبولندة فالاتحاد السوفياتي .

وقد اعتمد برنامج هتلر للسيطرة على العالم على النظرية العنصرية التي تكره الإنسان وتتصور إبادة الشعب الألماني (المختار) !! للشعوب الأخرى واستعبادها وأعد الألمان خطة شاملة لإخضاع الشعوب السوفياتية وإبادتها من الوجود . وكانوا يبشرون أيضا بالكره العنصري للشعب الفرنسي وغيره من شعوب أوروبا الغربية أو أمريكا .

وكان تأكيد النازيين من الناحية العسكرية على عنصري المفاجأة والحركة لضمان سرعة الغزو والاحتلال وكان هتلر يقول لقادته العسكريين إنه لو قدر له أن يهاجم العدو لما فعل كما يفعل موسوليني فهو لن يعقد المحادثات التي تستغرق شهورا طويلة ويقوم باستعدادت بطيئة ومتدرجة، وإنما سيتصرف كما يفعل دائما كالبرق الخاطف في جنح الدُّجَى .

وكان الأمريكان وخدامهم المخلصون من النازيين يعملون على استخدام الخونة الذين كان جهاز المخابرات الألماني قد نشرهم في البلاد الأخرى وكان هتلر يعلق آمالا ضخمة عليهم، إذ كان يتبجح دائما ... (وسيكون لنا أصدقاء يقدمون لنا يد العون في جميع بلاد العدو . وسنعرف طريقة الحصول على مثل هؤلاء الأصدقاء. أما أسلحتنا فستكون نشر الاضطراب الفكري وتناقضات المشاعر والتخاذل والتردد) .. وكان يفكر في مخططاته عن حرب الصاعقة والطابور الخامس فيضيف بحماس قائلا ... (وستفقد فرنسا وبولندة والنمسا وتشيكوسلوفاكيا كبار قادتها في غضون دقائق قليلة . وتصبح هذه البلاد كلها أشبه بالجيش الذي لا هيئة أركان حرب لديه . وهكذا تتم إزالة جميع الزعماء السياسيين من الطريق ويعم الاضطراب الذي يفوق حدود التصور . ولكنني أكون منذ أمد طويل قد أقمت العلاقات مع أولئك الرجال الذين سيؤلفون الحكومات الجديدة من الطراز الذي يناسبني) .

ورفع النازيون وهم يطبقون خطتهم الإرهابية شعار (الحرب الشاملة) . فلم تكن الحرب التي خططوا لها مجرد حرب للاستيلاء على العالم وإنما كانت من النوع الذي لا يميز بين المقدمة والمؤخرة، وبين الجيش والسكان والمدنيين .

وبينما كانت ألمانيا تدفع بآلتها الحربية في أقصى سرعتها كانت الدول الغربية لا تزال تعيش بسخف على أحلامها في استخدام تلك البلاد في تحقيق أهدافها. وكانت التناقضات الإمبريالية تتفجر ولا شك بين الآونة والأخرى، فتنفذ إلى السطح فقد ذكرت الصحف البريطانية المحافظة (ذي فورتنايتلي ريفيو) على سبيل المثال منذ عام ١٩٣٣ . وقد سيطر عليها الفزع تقول : (أصبحت ألمانيا حتى في هذه الأيام أقوى دولة في أوروبا من الناحية الاقتصادية . فهي تملك أحسن الصناعات معدات وأكثرها كفاية وهي على استعداد لإغراق العالم كله بالصناعات الرخيصة . فهي منافس جاد وخطر اقتصادي لا على دول أوروبا الوسطى وحدها وإنما على جميع الدول الأوروبية دون استثناء ولاسيما على ممونتها الرئيسية ومنافستها الصناعية بريطانيا العظمى) .

ولكن أصوات العقلاء من الناس ضاعت في خضم أصوات الكورال المنظم التي تصدر عن العناصر الحاكمة في بريطانيا وأمريكا والمنادية بإقامة العلاقات الطيبة مع ألمانية هتلر .

ولا شك في أنه لم يكن من حق الإمبرياليين الألمان أن يشكوا من افتقار الاحتكاريين الأمريكان والبريطانيين إلى مشاعر العطف الإنساني تجاههم .فقد اتسعت الوشائج المالية والاقتصادية بين الاحتكاريين الألمان والأمريكيين اتساعا كبيرا بعد الانقلاب الفاشي في ألمانيا . وقد بذل الإمبرياليون الألمان قصارى جهدهم لتقوية طاقات ألمانيا الفاشية العسكرية وبعث مؤسساتها الحربية العملاقة.

وكانت المصالح الأمريكية في ألمانيا مشغولة بإنتاج الأسلحة الحربية والمعدات والمحركات . وكان هناك سيل دافق من الأسلحة والذخائر ينساب من الولايات المتحدة إلى ألمانيا . وحصلت الشركات الأمريكية على موافقة حكومتها على بيع النازيين اختراعاتها وترخيصاتها للسماح لهم بتصميم أحدث طرز الأسلحة ومحركات الطائرات والطائرات الحربية وأجهزة اللاسلكي وصناعتها ووفرت لألمانيا علاماتها التجارية وابتكاراتها لصناعة المطاط الصناعي والزيت الصناعي والمتفجرات الجديدة كما ساعدتها على تنظيم إنتاج الألمونيوم والمغنيسيوم والبريليوم وغير ذلك من المواد الاستراتيجية الهامة .

وبذل البريطان قصارى جهدهم لمجاراة الأمريكان . وكانت الخطوة الخطيرة والمهمة التي خطوها عقد اتفاق مع ألمانيا عام ١٩٣٥ .

ولم يكن هذا الاتفاق إلا خرقا ثنائيا لمعاهدة فرساي إذ سمح لألمانيا بتشييد أسطول لها يضم عددا كبيرا من الغواصات ونص على أن تقدم بريطانيا لألمانيا كل عون مالي واقتصادي وعلمي وتقني لتحقيق هذه الغاية . وقام الفرنسيون بدورهم في إعادة بناء ألمانيا العسكرية .

وقدمت الدوائر الحكومية في بريطانيا وفرنسا وأمريكا بالإضافة لما سبق كل دعم وعون سياسي ودبلوماسي وكانت تهدف إلى عزل الاتحاد السوفياتي على المسرح الدولي .

ولكن قوات الاتحاد السوفياتي وحده وهو الدولة الوحيدة الاشتراكية في العالم آنذاك لم تكن كافية بالرغم من دعم الدول الصديقة لها لإحباط المخططات العسكرية التي وضعتها البلاد الإمبريالية المعتدية . واقترح الاتحاد السوفياتي إقامة جبهة متحدة تضم الحكومات والشعوب للحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة .

ولكن المعتدين ردوا على هذه الاقتراحات بكثير من الاستخفاف الذي لم يحاولوا إخفاءه وأعلنت حكومة هتلر أنها لا تقر الفكرة وتعارض كل اتفاقات للعون المتبادل ضد الاعتداء وكان هذا أمرا متوقعا . فقد نبعت معارضتها للأمن الجماعي من نياتها العدوانية . ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا أيضا وبصراحة فكرة الأمن .

وقام السير جون سيمون وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في شهر مارس من عام ١٩٣٥ بزيارة هتلر في برلين وأثمرت المحادثات التي أجرياها قيام جبهة ألمانية انجليزية مشتركة ضد الأمن الجماعي .

وقدم السير جون بعد عودته إلى لندن تقريرا أعرب فيه عن رضاه عن آراء هتلر إذ قال : (أوضح الهر هتلر بصورة لا تقبل الشك أن ألمانيا ليست على استعداد لتوقيع ميثاق شرقي يربط ألمانيا بنص على العون المتبادل وليست ألمانيا على استعداد بوجه خاص للاشتراك في ميثاق للعون المتبادل مع روسيا) .

وراح هتلر في مناسبة أخرى يؤكد صعوبة تحديد المعتدي في أي نزاع وسئل هتلر عن رأيه فيما إذ قام الفرقاء الآخرون في مثل هذا الميثاق المقترح بتوقيع اتفاق للعون المتبادل بينهم، فرد بأنه يعتبر هذه الفكرة في منتهى الخطورة) .

وأرغم الضغط الألماني البريطاني الأمريكي المشترك الدول الأوروبية واحدة تلو الأخرى على رفض الاقتراحات السوفيتية للأمن . ولكن الضغط الشعبي أجبر حكومتي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٥ على توقيع معاهدات العون المتبادل مع الاتحاد السوفياتي . ولو أن هاتين الحكومتين أخلصتا فيما بعد لهذه الالتزامات لعملت كحاجز أمام العدوان النازي . ولكنهما منذ البداية لم تخلصا للمعاهدات التي عقدتاها مع الاتحاد السوفياتي .

وبذل الاتحاد السوفياتي جهدا مضنيا لإقناع عصبة الأمم بأن تمثل دور الحارس الجماعي للسلام وأن تتخذ الإجراءات الفعالة ضد الاعتداء الذي كان قد بدأ بالفعل ولكن هذه الجهود ضاعت هباء فقد كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية اللتان تلعبان الدور الأول في عصبة الأمم مشغولتين بتمهيد الطريق للمعتدين .

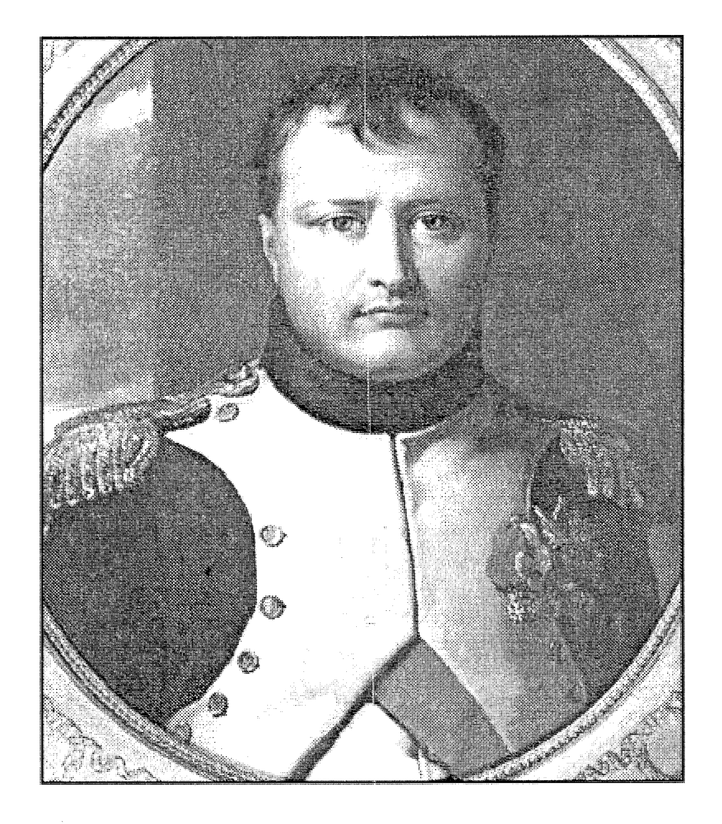
وهذا هو السبب الذي دفع العصبة لرفض اقتراحات الاتحاد السوفياتي . وإظهار عجزه بصورة متعمدة، ووصمت العصبة طوال الوقت نفسها بوصمة تشجيعها للعدوان وكان هذا سببا في موتها الحتمي .

ولم يكن في الإمكان أيضا تحقيق وحدة الطبقة العاملة . فقد مزقت القيادات اليمينية في الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية في البلاد الرأسمالية الحركات العمالية ورفضت بإصرار جميع العروض الشيوعية لإقامة عمل مشترك ضد الحرب. وقد وقع هذا في وقت كان العمال إبانه يضجون بإصرار مطالبين بالوحدة .

وكانت المساعدات التي قدمتها جماعة العمال لأسبانيا الجمهورية نموذجا للتضامن البروليتاري العمالي على الصعيد العالمي . وحارب الوطنيون من أربع وخمسين دولة منهم الشيوعيون الاشتراكيون والكاثوليك وأعضاء الأحزاب البورجوازية الصغيرة والمستقلون جنبا إلى جنب ضد القوى الفاشية في ميادين أسبانيا وكانوا جميعا يعرفون أنه بمحاربتهم لإيطاليا وألمانيا الفاشيتين أنهم يدافعون عن بلادهم أيضا وعن شعوبهم ضد الغزو الإمبريالي .

وكان الشعب السوفياتي منسجما مع أهدافه السلمية وهو يقدم الدعم لشعوب الحبشة وإسبانيا والصين .

وترك نضال السوفيات أثرا دوليا ضخما ولكن محاولاته لم تحل دون الشعار الذي رفعته القوات السوفياتية المسلحة والشعب السوفياتي كله الاستعداد الحربي الكامل لدفع العدوان الإمبريالي وصده .



نابليون بونابرت .. ارتكب غلطة عمره بغزو روسيا .. وعاد هتلر ليكرر نفس الغلطة ويلقَى نفس الهزيمة التي حملت انكساره ووضعت نهاية أحلامه وكان ثمنها في النهاية حياته !!



خريطة تبين الطريق الذي قطعه نابليون بقواته حتى موسكو قبل اندحارها بسبب الجنرال شتاء !!

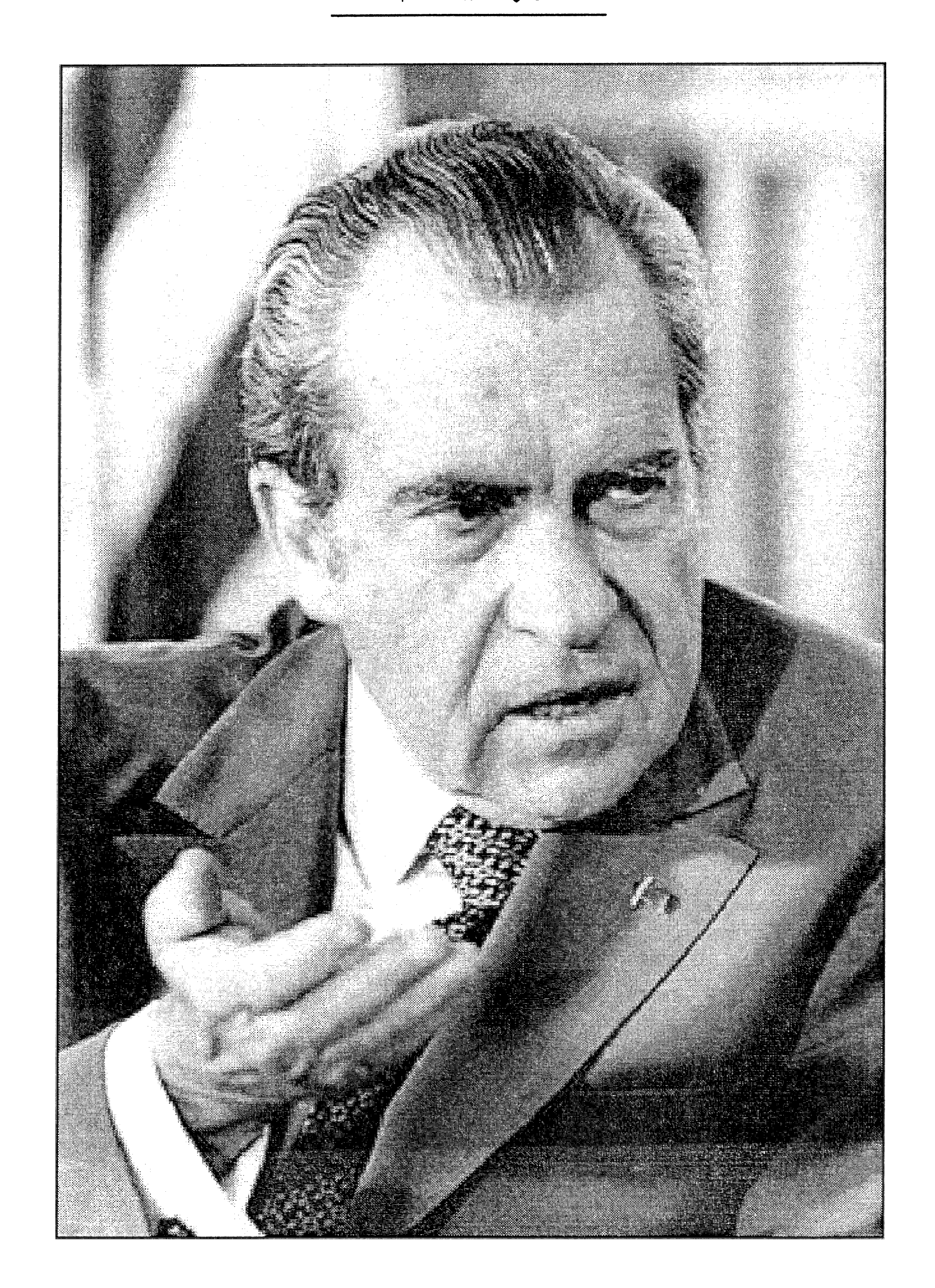


نابليون مع فصيل من جنوده في روسيا قبل هطول الجليد ليشل حركة جيشه و يقضي على جنوده و أطماعه التوسعية !!



جنود هتلر في طابور الأسرى بعد أن هزمهم الجنرال شتاء رحاصرتهم القوات الروسية فكانت الهزيمة !!

٢- جونسون .... نيكسون وخطيئة كبرى اسمها "حرب فيتنام" !!



"سوف نصمد بثبات في فيتنام، ولنتذكر أننا مجربون من قبل، وأن أمريكا لم تكن يومًا ضعيفة، أعرف أننا سنثابر وأننا سوف ننتصر"!! .. هكذا قال الرئيس الأمريكي الراحل ليندون جونسون، الذي اصطبغ بلون حرب أصر عليها فدمرت تجربته السياسية . وبعده بدأت مرحلة جديدة، عرفت بعصر نيكسون، الذي انسحب من فيتنام بعد أربعة أعوام أخرى من الحرب و السقوط !!

يحتفل الفيتناميون في الثلاثين من أبريل من كل عام بذكرى تحرير بلادهم من الاحتلال الأمريكي، واستعادة حريتهم وسيادتهم على أراضيهم، بعد طرد المحتل الغاصب شر طردة، يجر وراءه أذيال الهزيمة، وتخضب جبينه وصمة عار لا يمحوها الزمن !

وفي نفس اليوم من كل عام أيضًا يستعيد الأمريكيون أسوأ ذكرى في تاريخهم كله، ذكرى إراقة كرامتهم، و معها دماء جنودهم، و سحل كبريائهم، و معه سمعتهم في أوحال فيتنام، لينسى الأمريكيون و معهم العالم أمريكا التي لا تقهر، و التي أصبحت القوة العالمية العظمى، بعد انتشالها الحلفاء الأوربيين من الحضيض، الذي دفعهم إليه النازي هتلر، ورحمتهم من الجحيم الذي كان ينتظرهم على يديه، بدخولها الحرب إلى جانبهم، ودحر النازيين، و تحقيق النصر في الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من أن الرؤساء الأمريكيين الراحلين الذين تورطوا في هذه الحرب، أو أداروها، و هم دوايت أيزنهاور، جون كيندي، وليندون جونسون، الذي

أمر بضرب الفيتناميين بقنابل النابالم، و رتشارد نيكسون الذي أوشك أن يضرب فيتنام بقنبلة ذرية خلال حربها مع أميركا.، كانوا يعدون في زمانهم من عباقرة الساسة، ومن القلائل الذين يتمتعون بعقلية سياسية من طراز رفيع، وقدرة على المناورة، وكسب المعارك دون حرب، إلا أن ذكاءهم خانهم، فراحوا يغيبون عقولهم، و يقدمون على قرارات دون الحسابات المعروفة، فأساءوا تقدير الظروف السياسية والعسكرية و حتى المناخية المحيطة بمغامرتهم .

وراحوا يندفعوا منتفخين بقوتهم العسكرية، مسقطين من معادلة القوة أهم عنصر من عناصر أي حرب، و هو " الطرف المستهدف " أو " العدو " .

والعدو هنا ليس الطرف الذي تحاربه وحده، و إنما هذا الطرف زائد حلفائه، وأصدقائه والمستفيدين من صموده و عدم انكساره .. هكذا الحسبة التي لم يتوخها هؤلاء الرؤساء الذين تناوبوا على منصب الرئاسة، و إدارة الحرب ، رغم دهائهم وذكائهم وألمعيتهم، فتجاوزوا بما فعلوه "الخطأ" ، وراحوا يدخلون في باب "الخطيئة التاريخية الكبرى " التي لم يغفرها لهم الأمريكيون ولا الفيتناميون ولا العالم، حتى يومنا هذا، وكما يقولون في المثل " غلطة الشاطر بألف " !!

كان أساس المشكلة هو أن الغالبية العظمى من الشعب الفيتنامي ترغب في التخلص من الاحتلال الأجنبي الذي بدأ بالفرنسيين، وقاتل الفيتناميون بضراوة وقدموا التضحيات الجسيمة لإخراجه. وهنا خشيت أمريكا من امتداد النفوذ الشيوعي لملء الفراغ الذي خلفه خروج الفرنسيين .

واغتراراً من نيكسون بجبروت بلاده العسكري وقوتها الاقتصادية ذهب بأمريكا إلى فيتنام لفرض سيطرة الكاثوليك على غالبية الشعب البوذي، ومكافحة الشيوعية، وفي نفس الوقت دعم حملات التبشير بين البوذيين.

ومما ضاعف من سوء تقديره أن حلفاءه الفيتناميين كانوا طبقة من العسكريين الفاسدي الذمم، الميالين إلى البذخ واستغلال النفوذ والاعتماد على الأمريكيين

في قمع خصومهم، فكان من الطبيعي أن يكتسبوا عداء وكراهية الغالبية الساحقة من شعب فيتنام، الذي كان يرى بساطة وطهارة المقاومين وزعيمهم الزاهد (هو شي منه) وهو يعيش في الكهوف والأدغال ويتقاسم شظف العيش مع أتباعه من المقاومين.

في نفس الوقت، كانت الصين تتطير من شرور وجود قاعدة أمريكية أخرى على حدودها بعد تايوان وكوريا الجنوبية فقرر ماوتسي تونغ أن يعرقل خطط الأمريكيين بكل ما أوتي من استطاعة واقتنع الاتحاد السوفيتي أيضاً بأن مصالحه تقتضي إرهاب الأمريكيين واستنزافهم في الهند الصينية انتقاماً لرفضهم الاعتراف بهيمنته على أوروبا الشرقية ومحاربتهم للآخرين الشيوعيين من أوروبا الغربية .

وهكذا ابتسم القدر للمقاتلين الفيتناميين بتوافر الدعم الخارجي السخي وإرادة القتال والإصرار على المقاومة بين أبناء الشعب فانطلقت أطول حرب عصابات اتسمت بطول النفس والاعتماد على المفاهيم والعلوم العسكرية المجربة وطبيعة الأرض في مواجهة أعتى دولة بكل تفوقها التقني والعسكري.

وقد بدأ تورط الأمريكيين في المستنقع الفيتنامي بإرسال المدربين والمستشارين لتقوية جيش فيتنام الجنوبية وتسهيل استيعابه للأسلحة الأمريكية المتطورة. لكن قلوب الفيتناميين لم تكن متعاطفة مع الخطط الأمريكية فقرر الأمريكيون أن يباشروا القتال بأنفسهم فبدؤوا بالغرق في وحول الهزائم. وأمام تصاعد الخسائر الموجعة بدأ الأمريكيون في عمليات القصف الوحشي للمدن وخطوط الإمداد ورش الغابات بالأسلحة الكيميائية التي تسببت في إصابة عدد كبير من الأمريكيين والفيتناميين على حد سواء بأمراض سرطانية.

قاتل الفيتناميون بضراوة وتحملوا الخسائر المفجعة بجلد، وامتدت خطوط الإمداد من الصين وروسيا إلى فيتنام لتمكين المقاومين من الاستمرار في الحرب وكانت تلك الخطوط تقصف نهاراً لتدمير الجسور ومخانق الطرق فيقوم

الفيتناميون بإعادة بنائها في الليل، وفتحت الصين باب التطوع سرًّا للانضمام للمقاومة الفيتنامية، كما أرسل الاتحاد السوفيتي أيضاً سرًّا بطاريات صواريخ متطورة بقيادة أطقم سوفياتية وطائرات اعتراضية حديثة من طراز ميج - ٢١ بأطقم سوفياتية أيضاً.

وبدأت خسائر الأمريكيين في الطيران ترتفع، وعرض الفيتناميون أسراهم من الطيارين الأمريكيين في أقفاص الحيوانات في شوارع المدن التي أحرقوها ودمروها بالقصف الجوي فكان لها تأثير معنوي ونفسي موجع.

ومع استمرار وتصاعد الخسائر البشرية في صفوف الأمريكيين بدأت المعارضة الداخلية للحرب تنتشر بين شباب الجامعات الذين كانوا يُستدعون للتجنيد الإجباري وبدأت الصحف الأمريكية تنقل أخبار الجرائم والمجازر التي ترتكبها القوات الأمريكية في فيتنام وإبادة القرى وقصف المناطق المدنية.

وهكذا تحول المقاتلون الأمريكيون في نظر مواطنيهم إلى قتلة وسفاحين ومجرمين، وتلقفت وسائل الإعلام الشيوعية في جميع أنحاء العالم صور تلك الفظائع وعممتها، وحركت جماهير بمسيرات حاشدة تدين أمريكا وتدخلها في فيتنام.

وكان المسؤولون الأمريكيون يواجَهون في كل مكان يزورونه بالمتظاهرين الساخطين من واشنطن وحتى باريس ولندن وألمانيا وسقطت ورقة التوت عن فروسية وشهامة الجيش الأمريكي واكتشف الأوروبيون أن الأمريكيين قتلة ومجرمون يمارسون في فيتنام ما مارسه هتلر في أوروبا.

وبدأت أمريكا تبحث عن مخرج مشرف من المأزق العسكري والسياسي والأدبي الذي تكشفت ذيوله داخليا وخارجيا، وخاض الرئيس ريتشارد نيكسون حملته الانتخابية على أساس وعود إرجاع الجنود إلى أهاليهم وإنهاء الصراع في فيتنام

بالأساليب الدبلوماسية. وهنا أدرك الفيتناميون أن مسألة انسحاب الأمريكيين لم تعد سوى مسألة وقت، وبدأ حلفاء أمريكا هناك في تهيئة أنفسهم لمرحلة ما بعد رحيل الغزاة، وبدؤوا في خيانتهم وانضموا سرًّا إلى الفيتكونج وبدأت المناطق الموالية للأمريكيين في انحسار والانضواء تحت قيادة المقاومة وبدأت القوات الأمريكية وحلفاؤها يتقوقعون في العاصمة سايجون وضواحيها القريبة، فيما يتفاوض وزير الخارجية الجديد هنري كيسنجر على مخرج مشرّف يسمح بالرحيل والحفاظ على حكومة فيتنام الجنوبية لبعض الوقت لإنقاذ ماء الوجه.

ولكن الفيتكونج قبلوا برحيل الأمريكيين ورفضوا التعهد بأي شيء تجاه بقاء النظام في الجنوب.

وفيما كانوا يواصلون التفاوض كانت قواتهم تواصل تقدمها وتحكم الحصار على سايجون إلى أن استيقظ الشعب الأمريكي والعالم أجمع يوم ٣٠ إبريل عام ١٩٧٥ على تلك المشاهد التي ستبقى تمرغ كبرياء العسكرية الأمريكية في مستنقع الخجل إذ كانت شوارع سايجون مغطاة ببناطير وملابس الجنود الذين خلعوها وهربوا إلى منازلهم بعد أن تخلصوا من كل أثر يشير إلى أنهم كانوا جنوداً في جيش فيتنام الجنوبية، بينما كانت الطائرات العمودية في حركة نشطة لنقل فلول الأمريكيين والفيتناميين العاملين في السفارة الأمريكية إلى حاملات الطائرات. ووقف الفيتكونج يراقبون الموقف بهدوء ويعطون الفارّين فرصة الرحيل الآمن تحت ضغط الخوف والرعب والارتباك الذي سيطر على تصرفاتهم.

ولم تغرب الشمس حتى كانت أصداء تلك الهزيمة التاريخية الأولى ترسخ جذورها في كبرياء الأمريكيين وتطلق سلسلة من ردود الأفعال الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وبقيت فيتنام شبحاً يطارد العسكرية الأمريكية حتى اليوم .

قدم الفيتناميون ثلاثة ملايين رجل وتدمير معظم مدنهم ثمناً لانتصارهم، وخسر الأمريكيون في تلك المغامرة العابثة ثمانية وخمسين ألف جندي ولازالوا حتى اليوم يجرون الدراسات والأبحاث لتبرير هزيمتهم وتجميلها في التاريخ.

وهناك بالطبع أسباب لنجاح الفيتناميين في إلحاق الهزيمة المذلة للأمريكيين و رؤسائهم و خاصة رئيسهم المنتفخ الأوداج نيكسون . فقد توفرت للشعب الفيتنامي عدة عوامل لم تتوفر لأي صراع آخر، إلا الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان الذي انتهى هو أيضا بهزيمة قوة عظمى على يد شعب بائس مصمم على المقاومة. وتمثلت– كما يرى خبراء الاستراتيجية و العسكرية **أهم الأسباب في:**

- **طبيعة الأرض:** فقد ساهمت كثافة الغطاء النباتي والغابات والأحراش والأنهار والجداول في تسهيل حركة رجال الفيتكونج بين مختلف المناطق وكذلك حرمان الأمريكيين من إمكانيات الاستطلاع الجوي والقصف الجوي المباشر للوحدات الفتينامية المقاتلة، مما حد كثيراً من تأثير التفوق الجوي الأمريكي الكاسح.

أيضاً كان الفيتناميون يتحركون كالأشباح التي تظهر فجأة وتشن هجماتها الموجعة ثم تختفي وسط الأدغال قبل أن يتمكن الأمريكيون من معاقبتها ولذلك فقد بقي عنصر المفاجأة والمبادأة بيد الفيتناميين في غالبية معارك الاشتباك المباشر التي تكبد فيها الأمريكيون خسائر بشرية فادحة.

- **انتظام ووفرة الدعم اللوجستي:** فقد كان كل من الاتحاد السوفيتي والصين يريان أن تحول جزء من فيتنام إلى كوريا جنوبية جديدة يشكل تهديدا مباشر لحلفائه ثم مصدر قلق لسلامة أراضيه في الصراعات المستقبلية، فأغدقا العطاء وقدما السلاح والإمدادات التموينية والذخائر والمحروقات لقوات الفيتكونج بسخاء، وكانت خطوط الإمدادات مفتوحة بلا توقف (إلا في حالات تعرضها للقصف الأمريكي)، وقدم الروس دعماً قتالياً مباشراً بإرسال مستشارين وبطاريات دفاع جوي، كما وصل إلى فيتنام طيارون صينيون متحمسون لتحدي الإمبرياليين الأمريكيين في أجواء فيتنام بطائرات ميج ١٥ و ١٧ الرخيصة الثمن التي تعترض الغارات الأمريكية بكثافة ويسقط الأمريكيون فيها الكثير، ولكن القليل الباقي كان يسبب خسائر موجعة، ولم يكن الفيتناميون يدفعون ثمن ما يستهلكونه من عتاد

وذخائر في الحرب فقد كان كل ذلك يأتي على شكل هبات ومساعدات وكان الروس يقدمون كل جديد لديهم بلا تحفظ لإرهاق الأمريكيين، فيما كان السيل البشري من المتطوعين الفيتناميين لا يتوقف.

- **التعاطف الدولي:** حظيت فيتنام بتغطية إخبارية واسعة من قبل وسائل الإعلام الشيوعية وكل حلفائها في الغرب والشرق وأمريكا اللاتينية، ونجحت وسائل الإعلام الشرقية في إقناع شعوب العالم بعدالة قضية الكفاح الفيتنامي والنوايا الأمريكية والتسلطية تجاهه، ووقوعه فريسة لعدوان دولة عظمى لا يتورع جيشها عن ارتكاب المجازر الوحشية بلا سبب سوى فرض إرادته على الآخرين.

وكانت الصور المتدفقة من ميادين القتال بمآسيها ومحتوياتها المؤثرة عن المعاناة الإنسانية للضحايا الأبرياء من أقوى مغذيات التعاطف الدولي مع المقاومة، وقد كان لهذا التفهم الدولي أثره في استمرار المقاومة وانضمام المزيد من المتطوعين.

وأخيراً السبب الأهم والأول وهو إصرار الشعب الفيتنامي على المقاومة بصرف النظر عن فداحة التضحيات .

أما عن أسباب السقوط الأمريكي، فيمكن القول إنه ومنذ نهاية الحرب وحتى الآن كانت هزيمة فيتنام - وهي الأقسى والأكثر إذلالا في التاريخ العسكري الأمريكي- مجال بحث ودراسات أدت إلى إعادة هيكلة القوات المسلحة الأمريكية وأولوياتها وكذلك القواعد التي تخوض القتال على أسسها في المستقبل، وكان من أهمها مبادئ (واينبرجر) التي ركزت على عنصرين رئيسيين، الأول: هو التدريب في أوقات السلم، والثاني: وضوح الهدف السياسي في وقت الحرب وإجماع الأمريكيين على أنه يستحق خوض الحرب لتحقيقه.

وكان من أهم أسباب الهزيمة في فيتنام حسب رؤية القادة العسكريين الأمريكيين :

- **عدم تجانس القرارات السياسية مع مسار العمليات الميدانية :** فقد فرضت القرارات السياسية الصادرة من الرؤساء الذين تورطوا في الحرب منذ بدايتها وحتى النهاية (وهُم كل من: دوايت أيزنهاور، وجون كيندي وليندون جونسون ورتشارد نيكسون) إدخال تعديلات في الخطط وسير العمليات حرمت القادة الميدانيين من إحراز النجاحات التي كانوا على وشك تحقيقها، كما أن القيود التي فرضت على القصف الجوي في المراحل الأخيرة جعلت الفيتناميين يحصلون على إمدادات ضخمة كان يمكن تدميرها قبل دخولها إلى المعركة، لولا الأوامر الصادرة من واشنطن .

ولذلك فإن كثيراً من القادة الكبار أنحوا باللائمة على التدخل السياسي المستمر في سير العمليات وعلى جهل القيادة السياسية بطبيعة وخطورة التحدي العسكري الذي كانت القوات الأمريكية تواجهه في الميدان، ولجوئها لأسباب سياسية إلى فرض القيود المحبطة على استخدام القوة النارية المتوفرة بشكل كامل وكاسح لتحطيم معنويات الفيتناميين، وكان الموقف في عام ١٩٧٠ مثيرا للتفاؤل بحسم خلال عامين، لولا تغير اتجاه الرياح السياسية، بسبب الضغوط الشعبية ومظاهرات التذمر الطلابية ورضوخ السياسيين لمشاعر معارضة الحرب.

- **نظام التجنيد الإجباري :** الغالبية العظمى من الجنود الأمريكيين في فيتنام لم يكونوا متطوعين أو حتى من محترفي العسكرية، بل كانوا من الشباب والطلبة الذين استدعتهم قيادة القوات المسلحة لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية، ولذلك فقد انضموا إلى القوات المسلحة على مضض وليس بدافع الحماس الوطني وكان تدريبهم يتم على عجل لتلبية حاجة الوحدات الميدانية المتزايدة للمقاتلين.

وزاد الطين بلة أن غالبيتهم لم تكن مقتنعة بأسباب الحرب واستحقاقها للتضحية بالنفس في سبيلها. وقد كان أبناء الميسورين والنافذين يتهربون من الذهاب إلى فيتنام بالتطوع في الحرس الوطني داخل الولايات المتحدة (كما فعل الرئيس جورج بوش الابن) أو يهربون إلى خارج البلاد بذريعة أو بأخرى كما فعل الرئيس (بل كلينتون) الذي قضى فترة الحرب في بعثة دراسية في بريطانيا ولذلك، فإن السواد الأعظم كانوا يساقون إلى فييتنام للقتال وهم عديمو الخبرة وفاترو الحماس تجاه بذل التضحيات، لكن الحرب لم تلبث أن فرضت نفسها عليهم وأجبرتهم على النضج السريع.

- **تغير أهداف الحرب مع مرور الوقت:** عندما بدأ الأمريكيون التورط في فيتنام كان هدف الحرب هو مساعدة الجيش الفيتنامي الجنوبي ضد أعدائه الشماليين. وهكذا كانت البداية مجرد تسليح وإرسال مدربين ومستشارين، وعندما اكتشف المستشارون عجز حلفائهم عن تحقيق ذلك الهدف وصلت بعض القوات لمساندتهم في أعمال البحث والتدمير، أي البحث عن القوات العدوة وتدميرها بقوة النيران بهدف إضعافها وجعلها في متناول الفيتناميين الجنوبيين.

ومع فشل ذلك أيضاً أصبح الأمريكيون يقومون بقيادة القوات الحليفة في عملياتها، ثم لم يلبثوا أن طلبوا قوات أمريكية لأداء المهمة، وخلال ذلك الانزلاق السريع إلى مزيد من التورط لم يجرؤ أحد على طرح السؤال الأهم: لماذا جئنا؟ هل جئنا لمساعدة الجنوب؟ أما جئنا لنخوض الحرب بدلا عنه؟

- **تأثير الإعلام الهدّام على المعنويات:** هناك إجماع، ليس فقط بين القادة ولكن أيضاً بين المقاتلين بأن صور المراسلين الأمريكيين التي كانت تتصدر الصحف والمجلات وتنقل مآسي الحرب وفظاعتها إلى داخل المنازل الأمريكية على شاشات التلفزيون كل مساء، قد أحدثت صدمة وهلعاً ودفعت الأمريكيين إلى مطالبة السياسيين بإيقاف الحرب وإعادة أبنائهم إليهم وإنقاذهم من مصير التحول إلى

قتلة وسفاحين أو الموت في مجاهل فيتنام التي لم تكن غالبية الأمريكيين تعيرها أي اهتمام أو ترغب في الموت دفاعا عنها .

كما أن الإعلام جعل المقاتلين العائدين من فيتنام (وبعضهم فقد أطرافه أو أصيب بعاهة) يفقدون الاحترام والتقدير الذي ناله العائدون من الحروب الأخرى، فقد شاهد المواطنون نماذج للمجازر والتجاوزات التي ارتكبتها بعض الوحدات الأمريكية في فيتنام والتي تجاوزت الخطوط التي يقبل بها الضمير الانساني، حتى لو أنها ارتكبت خلال حرب دامية. بل إن بعض المحاربين في فيتنام تعرض للبصق عليه والإهانة وإطلاق لقب " قاتل الأطفال" عليه من قبل شباب الجامعات عند عودته من الحرب وهي لاتزال مندلعة، ولذا لم يكن في إمكان أي سياسي ذي طموح مستقبلي أن يغامر بالتصريح بدعمه للحرب أو الاستمرار فيها.

أما عن نتائج الحرب الفيتنامية فيمكن القول بأنها أرست الحدود السياسية الصينية بشكل نهائي. وفي نفس الوقت كانت خسائر الحرب وفظائعها رادعاً حال دون وقوع المزيد من المغامرات العسكرية والتصعيد السياسي، واقتنع قطبا الحرب الباردة: الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بأن على حلفائهم في المستقبل أن يخوضوا معاركهم بأنفسهم وأن العالم نجا بأعجوبة من الانزلاق إلى هاوية حرب عالمية ثالثة بسبب فيتنام.

ومن هنا كان هناك حرص من الجانبين على تجنب المواجهة وعلى تطوير التفاهم، وهكذا بدأت مرحلة جديدة من العلاقات الدولية عرفت باسم " عصر الوئام " تعهد بموجب مفاهيمها الطرفان الدوليان بألّا يسمحا لتحالفاتهما أن تجرهما إلى المواجهة المسلحة، وأن يتم ذلك من خلال الزيارات المتبادلة بين كبار المسؤولين لمناقشة وبحث القضايا الهامة بصورة دورية، وأن يفرض كل منهما من جانبه قيوداً على تسليح حلفائه بما يضمن استمرار توازن القوات في العالم وتفادي المفاجآت المزعجة. وبقيت فيتنام مثالاً للشعوب الصغيرة المستضعفة في الاستمرار في الكفاح والمقاومة لرفض الهيمنة الخارجية.

وتفاقمت المعضلات الاجتماعية مع اكتمال عودة القوات الأمريكية إلى وطنها الذي لم يكن يحمل كثيراً من التقدير لدورها فى الحرب.

وعلى الصعيد التاريخي كانت نتائج الهزيمة في فيتنام نكسة في مسيرة تكوين "إمبراطورية أميركية" عالميا .

ومما يُنسَّب لرؤساء الأزمة، دوايت أيزنهاور الذي أدخل أميركا في دوامة الحرب الباردة والسباق نحو امتلاك أسلحة الدمار الشامل، كما زج بجيوشها في حرب فيتنام. وليندون جونسون الذي واصل الكارثة، و ريتشارد نيكسون الذي رفض الاعتراف بالفشل وواصل فكانت الطامة الكبرى، و الهزيمة المذلة، أنهم تسببوا بمغامرتهم في فيتنام في " ثغرة قاتلة " في مكونات الأمن القومي الأمريكي اسمها "عقدة فيتنام "، خلاصتها هي أن العسكري الأمريكي يفتقر للمعنويات عند خوض الحروب الخارجية، وهو لذلك يهرب ويهزم أمام مقاومين ينتمون لحركات تحرر تقوم أمريكا بغزو بلدانهم .

وقد أقر القادة العسكريون والمفكرون الاستراتيجيون في الولايات المتحدة الأمريكية على الاعتراف بوجود هذه الثغرة القاتلة في مكونات الأمن القومي الأمريكي، وهي ثغرة ضعف المعنويات، ولذلك تميزت الستراتيجيات العسكرية الأمريكية بتجنب خوض قتال جبهي مع العدو قبل تدمير قواه الأساسية تماما بواسطة القوة الجوية والصاروخية، وبالاعتماد على منظومة أقمار صناعية لتسهيل القيادة والسيطرة من جهة، وضمان سحق القوة الأساسية للعدو .

من جهة ثانية، وهذا هو السبب في تطوير منظومات أسلحة متطورة جدا وتعتمد على التفوق التكنولوجي المطلق على العدو، بما في ذلك تلك التي تتميز بالقدرة على تدمير العدو قبل أن يرى الطائرة أو الصاروخ الأمريكي .

وفي هذا الإطار أصبحت إحدى أهم قواعد بناء القوات المسلحة الأمريكية هي سد ثغرة المعنويات بالاختراعات التكنولوجية التي تؤمن إحلال الآلة المعقدة

محل الإنسان في تنفيذ أوامر سحق العدو، وهذا النوع من الحروب يتميز بأنه خاطف وسريع يستغرق أياما أو أسبوعين تقريبا، وهي فترة لا تسمح للعدو بإعادة تنظيم صفوفه ومعالجة الأضرار الناجمة عن القصف الجوي الكثيف والشديد واستخدام أقصى القوة وأشدها وحشية في الأيام الأولى للحرب، فتتقلص الحاجة لخوض معارك جبهية رئيسية وتقتصر المعارك الأرضية على تمشيط (بقايا) العدو المهزومة، وبذلك يتم إبقاء عقدة فيتنام خامدة . ونظرية(الحرب الجوية الكثيفة) هذه ستراتيجية قائمة بذاتها وهي تختلف عن استخدام القوة الجوية لإضعاف العدو قبل الاشتباك المباشر معه، لأن القوة الجوية في هذه الحالة تقوم فقط باضعاف العدو وليس تدمير قوته الأساسية الضاربة، في إطار ستراتيجية تقوم على حسم الحرب بواسطة الدروع والمشاة والمدفعية ..الخ .

لقد اتسم رد الفعل الأمريكي على هزيمة فيتنام بالحزن والتشاؤم من المستقبل، وطفحت أحاديث هنري كيسنجر، وزير خارجية نيكسون - آنذاك - بالمرارة والياس والتلميح إلى العودة إلى " سياسة العزلة "، وهو أمر أيده كتاب أميركيون وأوربيون كبار .

وقد حاولت إدارة الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريجان بعد حوالي ست سنوات من هزيمة فيتنام(١٩٨١) ترميم الحالة النفسية وإخفاء عقدة فيتنام عبر عمليات عسكرية استعراضية محدودة ضد بلدان مجهرية، مثل غرينادا وبنما، كان النصر فيها حتميا، ثم شرعت بالتخطيط لحرب رئيسية تطبق فيها نظرية الحرب الجوية الكثيفة، وكان العنصر الحاسم في التخطيط هو ضمان التفوق المطلق على العدو وتدمير قوته الأساسية قبل الإقدام على خوض اشتباك جبهي معه.

كيسنجر حذر نيكسون من الانسحاب من فيتنام، بخطاب أرسله إليه في يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٦٩ قال فيه: «تعرف، يا سيادة الرئيس، أن الأميركيين يحبون الفول السوداني. كلما ننسحب من فيتنام، جنديا بعد جندي، كأننا نقدم للأميركيين الفول السوداني، حبة بعد حبة. سيطلبون المزيد».

وكما حذر كسينجر نيكسون عاد و حذر بوش ونائبه من تكرار ما أسماه «خطأ الانسحاب» .

كما زار كيسنجر البيت الأبيض، في عام ٢٠٠٧، وأعطى نسخة من خطابه إلى الرئيس نيكسون إلى واحد من مساعدي الرئيس بوش. وحذره: «لا تكرروا خطأ فيتنام في العراق !!

ويرى بعض الباحثين أنه لا يمكن الولايات المتحدة الأمريكية التى تأسست على العنف والإرهاب والحروب واشتدعضدهابالدم وفرض القرارمن خلال اصطناع الحرب واحتلال أرض الغيرلسلب الثروات والسيطرة على العالم، وذلك منذ عهد الرئيس إبراهام لينكولن الذي وحدشمال وجنوب أمريكا بقوة السلاح حتى عهد جورج بوش الابن الذي غزا العراق بلامسوغ قانوني أو شرعي أو دولي !

فقد اعتمدت الاستراتيجية الأمريكية منذ ولادتها على معيارين اثنين المعيار الأول: تجاهل الماضي بكل خلفياته والانقطاع عن التاريخ والانفصال عن مجرياته سعياً وراء جغرافية أوسع تحقق هذا الفصل من خلال تجاهل أي قضية ساخنة أو مطروحة على بساط البحث ذات صلة بالتاريخ والماضي.

والمعيار الثاني: مقاسات الربح والخسارة وهذان المعياران المدعومان بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية استنبطا لكي تكون الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دولة في العالم تتحكم بمقدرات وإرادة الشعوب .

وقد تم الكشف عن وثيقة سرية في غاية الأهمية كتبت على الورق عام ١٩٩٢ في عهد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون جاء فيها : " إن الولايات المتحدة الأمريكية عليها أن تعمل بكل جهدها حتى تتأكد من أن أي قوة منافسة أو "صديقة" في أي مكان من العالم لن تبلغ مكانة توازي مكانتها في القوة وعواملها " .

وفي المعيار الأول تتغاضى الولايات المتحدة الأمريكية عن تاريخ وارث وحضارات وماضي الشعوب وتتجاهل عبر التاريخ وتحاول فرض ثقافة جديدة تنعزل

عن روح التاريخ تعتمد على التبريرات والشعارات باستغلال نزعة الإنسان للحرية والديمقراطية واستثمار معاناة الإنسان من ظلم وحيف لتمرير ثقافة تستجيب للعواطف والأحاسيس بشكل مبطن أما المعيار الثاني فإن هذه الاستراتيجية الأمريكية تتنازل عن كل شيء حتى كرامة الجندية أمام معيار الربح والخسارة .

ففي فيتنام أمر ريتشارد نيكسون قواته بالانسحاب من فيتنام الجنوبية بعد أن تكبدت قواته خسائر فادحة بعد هجوم "تيت" الشهير في قلب سايجون عاصمة ڤيتنام الجنوبية.

وفي عهد رونالد ريجان انسحب المارينز الأمريكي من لبنان عندما قتل معظمهم في تفجير واحد، .

وحدث مثل هذا في عهد كلينتون حينما تمكن الجنرال محمد عيدي من محاصرة سرية من المارينز الأمريكي في قلب مقاديشو بعد أن قتل معظمهم . وتم سحل وقطع رؤوس هؤلاء القتلى وراح يُلعَب ويعبث بها الناس على شكل كرة قدم في ساحات مقاديشو.

ومن هنا يأتي دخول الولايات المتحدة الأمريكية في مسلسل الحروب والعنف والقتل، ولكل حرب تخلق هذه الدولة العظمى مبررات وغطاء إعلاميا ولوجستيا يسوغ الحرب .

كما لكل حرب ميزات قد تختلف أو تلتقي مع بعضها في الأغراض والأهداف والتكتيك والخطط الحربية والتعبئة العسكرية والعدة والعدد، وذلك يعتمد على مؤشرات يعدها خبراء عسكريون ومستشارون اختصاصيون يختارهم الرؤساء الذين يتربعون على منصة البيت الأبيض فضلا عن محددات وخطط وهواجس يدلي بها كبار المسؤولين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومن تلك:

أولاً : إن معظم الحروب التي دخلتها الولايات المتحدة الأمريكية حروب تخضع للديباجات التي أشرنا إليها .

ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية تأنت هذه الدولة الكبيرة في دخول هذين الحربين، ولم تدخلهما على عجالة كما يقول المؤرخون بانتظار ما تسفر عنه نتائج المعارك التي يحققها الحلفاء بادئ ذي بدء على وفق معيار الخسارة والربح.

ويقول المؤرخون إن هذه الدولة دخلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ بعد ما يقارب من ثلاث سنوات من نشوبها وتكرر مثل ذلك في الحرب العالمية الثانية التي نشبت عام ١٩٣٩ .

كما يعتقد بعض المؤرخين ودخلت في الحرب عام ١٩٤١ لكي تتقاسم الأرباح والخسائر مع الحلفاء وتستثمر النصر لصالح نفوذها وسيطرتها بأقل الخسائر، بعد أن تلوح في الأفق مؤشرات الانتصار، والمفارقة في حروب الولايات المتحدة الأمريكية أنها استخدمت السلاح الذري في الحرب العالمية الثانية، ودمرت مدينة هوريشيما وأزهقت الأرواح ويقول المحللون العسكريون كانت الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانها أن تحقق الانتصاربالسلاح التقليدي ولكنها لجأت إلى ذلك لإرهاب العالم وتخويف الاتحاد السوفيتي الذي ظهر كقوة عظمى أمام التوسع الأمريكي.

ثانياً : وعلى مدى أكثر من نصف قرن ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تمارس الحرب والعنف والقتل مباشرة أو بالواسطة، ففي أفغانستان مثلا وابان الاحتلال الروسي لأفغانستان جندت الولايات المتحدة الأمريكية من تسميهم الآن بالمتطرفين لمحاربة الاتحاد السوفيتي يوم كان جيمي كارتر يجلس على كرسي الحكم في البيت الأبيض والذي أدى إلى هزيمة الاتحاد السوفيتي وسيطرة طالبان على الحكم في أفغانستان .

ثم ينقلب السحر على الساحر لتظل قضية أفغانستان أنموذجا للتخبط الأمريكي حيث العنف والفوضى والاقتتال الدامي لايزال يهيمن على أفغانستان، أما الولايات المتحدة الأمريكية فلا تزال تحارب مع حلفائها التقليديين في أفغانستان تحت شعار محاربة الإرهاب ونشر الحرية والديمقراطية بعد أن نصبت حكومة موالية لها على غرار ما فعلت في فيتنام ودول أخرى.

ثالثاً: وفي زمن هاري ترومان دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في حرب مدمرة في كوريا واليابان وإيران ومن الملفت للنظر أن هذه الحروب الثلاث كانت جميعها بقيادة الجنرال الأمريكي المتعنت فان فليت .

وفي زمن حكم الرئيس الأمريكي جون كيندي حارب الولايات المتحدة الأمريكية في خليج الخنازيرضد كوبا وحاصرت البحر الكاريبي ويقول المؤرخون إن ذلك كاد أن يشعل فتيل حرب نووية مع الاتحاد السوفيتي كما أنه مارس ضغطا عسكريا ضد فيتنام وتوسع في حربه.

وتشير قراءة سريعة في سجل الرئيس الأمريكي ليندون جونسون إلى أنه واصل حرب فيتنام حتى النهاية، وتعمد مهاجمة فيتنام الشمالية، ويعتبر جونسون مهندس حرب الشرق الأوسط عام ١٩٦٧ حيث قادت هذه الدولة الكبيرة حربا ضد العرب داعمة التوسع الصهيوني في محاولة لإجهاض وإفشال المد الثوري الوطني التحرري الذي كان يقوده الرئيس جمال عبد الناصر، أما الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون فكانت له اليد الطولى في توسيع نطاق الحرب الفيتنامية لتشمل كلاً من لاوس وكمبوديا .

وفي عهد هذا الرجل يوم كان كيسنجر وزيرا لخارجيته خاضت الولايات المتحدة الأمريكية حروبا طاحنة في أفريقيا وفي أمريكا اللاتينية،في محاولة لإسقاط حكومة شيلي الشرعية، أما وزير الخارجية الأمريكي كيسنجر فهو الذي أدار حرب عام ١٩٧٣ ضد العرب .

وقبل بوقف إطلاق النار بعث الرئيس السادات برسالة اليه يقول فبها: (انني استطيع أن أحارب اسرائيل لكني لاأستطيع أن أحارب الولايات المتحدة الأمريكية). ولقد تولى الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب حرب الخليج الثانية تحت شعار تحرير الكويت.

رابعاً: أما جورج بوش الابن فقد تبنى إسقاط نظام صدام حسين، تحت مبررات امتلاك أسلحة التدمير الشامل والتي ايقن الكونكرس الأمريكي بطلانها، ودخلت قواته العراق تحت مسميات التحرير، والحرية والديمقراطية وحرقت الأخضر واليابس ولايزال العراق أرضا وشعبا يعاني من تعسف الاحتلال.

ويبدو أن بوش الابن أراد أن يثأر ضد صدام حسين ثأراً شخصيا فسوغ وافترى وحاول أن يحصل على إذن من الأمم المتحدة وفشل واحتل العراق وسط معارضة بعض حلفائه والآن لاتزال الحرب هذه تشعل فتيل الفتنة الطائفية وتدمر البنى التحتية وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية إيجاد مخرج يحافظ على ماء الوجه دون جدوى من خلال طروحات الانتخابات الديمقراطية والمصالحة الوطنية والاعتراف ببعض أخطاء وهفوات الاحتلال وتغيير بعض مفردات الاستراتيجية الأمريكية وتبديل القادة العسكريين الميدانيين وتكثير المارينز الأمريكي على أرض العراق في أجواء الفوضى والفساد المالي والإدارى الشائع في العراق ولحد الآن لاتزال الولايات المتحدة الأمريكية تخفي خسائرها الحقيقية في هذه الحرب بالأفراد والأموال بعد أن انعكس ذلك على خلافات داخل المجتمع الأمريكي وبدأ الشارع الأمريكي بقيادة الحزب الديمقراطي الذي يضغط على بوش الابن من أجل انسحاب سريع وعاجل من العراق.

ومن المعتقد أن انتهاء ولاية بوش في عام ٢٠٠٨ شهدت التلويح بوجود انفراج في المعضلة العراقية والذي صرح عنه الأمريكيون و ما هو إلا مقدمة لأزمة خانقة ستعصف بالوجود الأجنبي بالعراق ومسكنات تحاول امتصاص غضب الشعب الأمريكي وتهدئة المعارضة العراقية.

خامساً : استراتيجية الانقلابات الداخلية : لقد لجأت الولايات المتحدة الأمركية إلى تدبير انقلابات داخلية في محاولة للإطاحة بالحكومات التي لا ترضى بالاحتلال ولا توالي نوايا وسترتيجيات الولايات المتحدة الأمريكية والتي يقودها رجال وطنييون يرفضون التبعية والهيمنة الامبريالية ثم تنصيب حكام جدد يدينون بالولاء والتبعية الأمريكية، فهذا ماحدث فعلاً في كواتيمالا للإطاحة بحكومة اربينز، وفي إيران لإسقاط حكومة مصدق، ويعتبر بعض المحللين السياسيين الرئيس الأمريكي أيزنهاور صاحب نظرية الانقلابات الداخلية ففي عهد وزير خارجيته هنري كيسنجردبرت انقلابات داخلية في أفريقيا، وأمريكا اللاتينية . وقبل غزو العراق جرى التخطيط لإسقاط حكومة صدام حسين .

سادساً: استراتيجية القتل والاغتيال الشخصي: عولت الاستراتيجية الأمريكية على مسلسل الاغتيال الشخصي لرووساءدول ورموز وطنية للتخلص من أعدائها كما عولت على اغتيال غيرهم من الرموز الوطنية في العالم الذين يعتنقون مبادئ الحرية والتحرر والثورية، ولقد تعلمت إسرائيل هذا المنهج من الأمريكان، وإسرائيل تعتمد على التصفية الجسدية كطريق لفرض القرار والتسلط .

ويقول التاريخ إن الرئيس الأمريكي جون كيندي أمر باعتقال وقتل رئيس جمهورية فيتنام الجنوبية نجوديم عام ١٩٦٣، والرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أمر بقتل الليندي رئيس شيلي الشرعي في أمريكا اللاتينية .

وهناك وثائق سرية كشف عنها محللون سياسيون تؤكد أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تخطط لاغتيال الرئيس جمال عبدالناصر بإيعاز مباشر من الرئيس الأمريكي أيزنهاور لكونه يشكل مداً جماهيرياً وطنياً وتحررياً .

ويقول بعض المؤرخين إنه ولغاية عام ١٩٧٤ كان القانون الأمريكي يعطي الرؤساء سلطة قتل واغتيال أي رئيس دولة أو أي رمز وطني في العالم إذا ثبت عداؤه للامبريالية العالمية أو كان يحمل حساً وطنياً ثورياً تحررياً، غير أن الرئيس

الامريكي جيرالد فورد تنحى عن هذا المنهج الإرهابي واعتمد على وسائل إرهابية أخرى تحقق ماتريده الاستراتيجية الأمريكية، غير أن الرؤوساء الذين تربعوا على منصة البيت الأبيض تباينوا في طريقة الاغتيال والتصفية الجسدية اعتماداً على وجهات نظر تجسدها المخابرات المركزية أو تبعاً لمستجدات تحدث على الأرض وتقتضي استخدام أسلوب آخر يأتي بنفس النتيجة، لكن هناك إجماع أمريكي على اعتماد سياسة الاغتيال، وآخر حلقة من حلقات الاغتيال الشخصي وليست الاخيرة هو ادعاء الرئيس الفنزويلي هوجو شافيز الذي نقلته وكالة الاسوشيتد برس بأن عناصر الاستخبارات الأمريكيةCIA تخطط لاغتياله ويربط بين محاولة الاغتيال وتعيين جون نيغرو بوتين نائباً لوزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس والذي كان يشغل منصب مدير الأمن القومي الأمريكي، وتتهم فنزويلا بوتين في وقت سابق بدور أساسي في الحرب التي خاضتها قوات الكونترا المعارضة لحكومة الساندستيين اليسارية في نيكاراغوا عندما كان سفيرا لبلاده في هندوراس (١٩٨١ـ ١٩٨٥) .

وتعول الاستراتيجية الأمريكية دائمًا على الغطاء الاعلامي في سياق يتزامن مع حركة وكالة المخابرات الأمريكية في محاولة لصنع ثقافة وتوجهات تبرر الحرب والاحتلال ولكن سرعان ماتتعرى هذه المحاولة وتنكشف الحقيقة ، فالرئيس الأمريكي ليندون جونسون برر هجومه على فيتنام الشمالية بحجة وقوع اعتداء على الأسطول الأمريكي في خليج تونكين ثم أقر الكونكرس الأمريكي بعدم صحة هذه الحجة .

وجورج بوش الأب في آخر أيام حكمه أمر قواته باحتلال شواطئ الصومال وحدث ذلك دون قتال وتحت ذريعة المساعدات الإنسانية .

وفي الحرب العالمية الأولى قالت الولايات المتحدة الأمريكية إنها دخلت الحرب بذريعة الحرية وفي الحرب العالمية الثانية ادعوا محاربة النازية .

وفي كوريا حارب الأمريكيون تحت علم الأمم المتحدة . وأخر المطاف غزت الولايات المتحدة العراق تحت ذريعة امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل والتي أقر الكونجرس الأمريكي بطلانه، ولكن بعد فوات الأوان، وذلك بنزوة افتعلها بوش، جاءت على عجالة وبدون إذن من الأمم المتحدة ومعارضة بعض حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية . و الثابت تاريخيًا أن المعلومات الاستخبارية التي استند عليها بوش الابن في غزوه العراق كانت مفبركة وغير دقيقة وتستند إلى طابع سياسي وانتقامي .

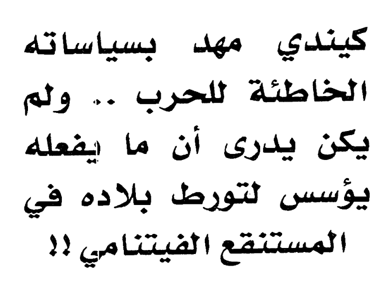
وعودة الحرب الباردة وفي عهد الرئيس الأمريكي هاري ترومان، سنجد أن هذه الحرب اشتدت في الفترة من ١٩٤٥ لغاية ١٩٥٩ اي بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لوجود قوتين كبيرتين تتنافسان في الاستراتيجيات والنفوذ والمصالح والرؤى السياسية .

ويبدو أن هذه الحرب بدأت من جديد من خلال الهواجس والشكوك التي أثارها الدرع الصاروخي التي تنوي الولايات المتحدة إقامته في أوربا الشرقية أمام معارضة روسيا الشديدة لهذا المشروع فضلاً عن تصريحات أدلى بها بوش الابن ووزيرة خارجيته تتركز في انتقاد سياسة بوتين على اعتبار أنها تتنافى مع القيم الديمقراطية وأن الحكم الروسي الحالي يحمل بوادر الدكتاتورية .

وربما ستكون هذه عودة للحرب الباردة ومنفذاً للدب الروسي للوصول إلى المياه الدافئة وظهوره على الساحة كقوة موازية لقوة الولايات المتحدة الأمريكية .

وهكذا تحاول الولايات المتحدة الأمريكية الانفراد بالعالم وخلق مزيد من الفوضى والعنف وتجزئة الدول إلى دويلات متصارعة وفرض قيود إضافية على الحرية تحت شعار الديمقراطية والمضي قدمًا في الاستحواذ على منصة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لمحاصرة الدول الرافضة للهيمنة الأمريكية.





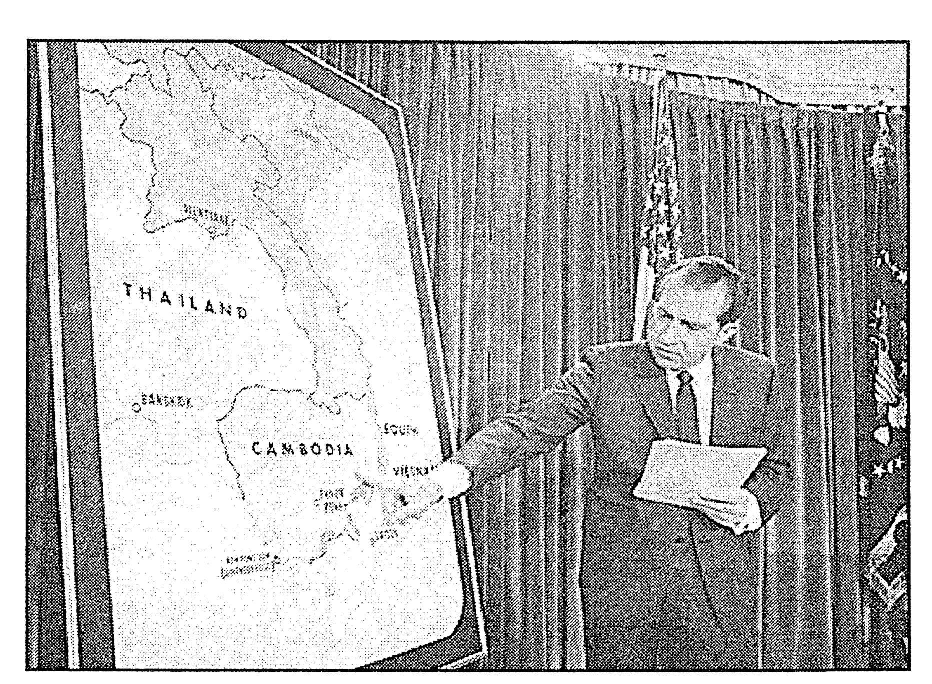
كيندي مهد بسياساته الخاطئة للحرب .. ولم يكن يدرى أن ما يفعله يؤسس لتورط بلاده في المستنقع الفيتنامي !!



كيندي مع نائبه جونسون الذي خلفه بعد اغتياله وبعث بالأمريكيين إلى فيتنام في أسوأ وأخطر القرارات في تاريخ بلاده والعالم !!



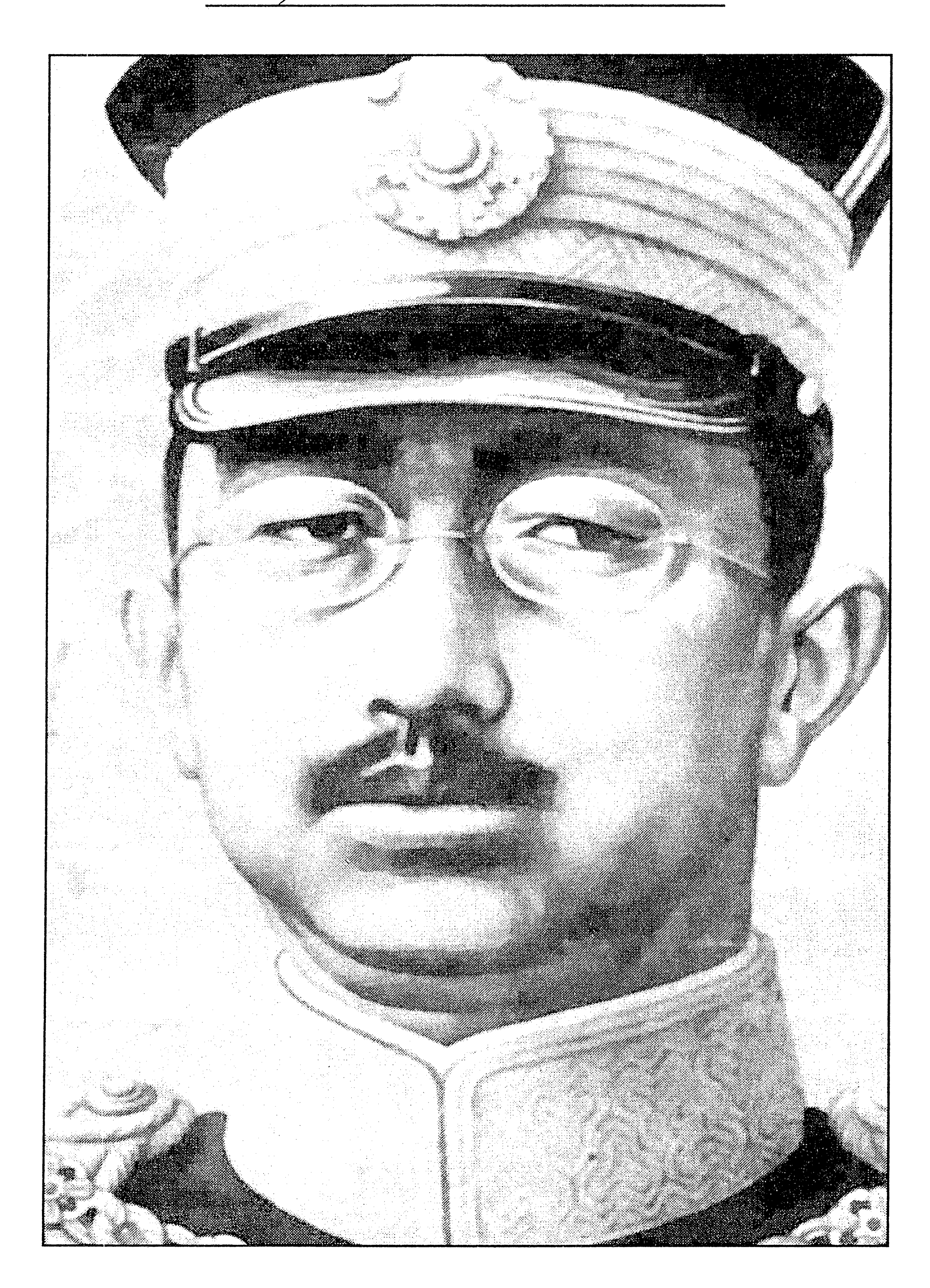
طوابير الأسرى الأمريكيين في فيتنام حملت سطور أسوأ هزيمة عسكرية لقوى عظمى في التاريخ وكانت ثمن اندفاع نيكسون لمواصلتها على أمل تحقيق نصر فكانت الكارثة !!



نيكسون يبين على الخريطة خطة انسحاب قواته من فيتنام بعد الاعتراف بالهزيمة والانكسار !!

٣- غلطة هيروهيتو..

حَضَّر العفريت وفشل في صرفِه !!



عندما يحاول خصومك استمالة طرفٍ قويٍ لكي ينضم إليهم في حربهم معك، فإن المطلوب منك أن تحول دون تمكنهم من ذلك، بدلا من أن تستفزه، فتمنحه الدافع لكي يخوض معهم حربًا مدمرة لا قبل لك بها، فإن فعلت ذلك فستكون قد ارتكبت إذن "غلطة عمرك " !!

كان الاستراتيجيون الأميركيون، قبل هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ضد واشنطون ونيويورك، يقسمون التاريخ الأميركي إلى ما قبل حادثة " بيرل هاربر " وما بعدها، ويعتبرون غارات الهجوم الانتحاري الياباني على الأسطول الأميركي في " بيرل هاربر " وتدميره عن بكرة أبيه مقدمة، ليس لدخول الولايات المتحدة الحرب الثانية، واستخدام القنابل النووية ضد المدن اليابانية، وإنما لإعادة إنتاج العالم على مقاس المصالح والسيطرة الأميركية.

وبعد يوم واحد على " الثلاثاء الأسود " الأميركي كتب كيسنجر في صحيفة "واشنطن بوست : على الولايات المتحدة أن تجعل من هذا اليوم انطلاقة جديدة للهيمنة والسيطرة كما حدث بعد بيرل هاربر " .

والحقيقة أن ضرب ميناء بيرل هاربر هو أحد أكبر الأخطاء التاريخية، التي غيرت وجه العالم، و لولا تخلي إمبراطور اليابان عن عقله، و اتخاذ نظامه مثل هذا القرار الكارثي، و ارتكابه مثل هذه " الغلطة " أو " السقطة " لما قدم لخصومه هو وحلفاؤه " دول المحور " أعظم هدية للإجهاز عيهم جميعًا، و إنهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة نكراء لهم !

وقبل أن نروي تفاصيل الهجوم الكارثي على بيرل هاربر سنتوقف عند الظروف والملابسات التي سبقته، لفهم إرهاصات تلك المواجهة الدامية بين اليابان والولايات المتحدة، التي انتهت بضرب الثانية للأولى بالقنابل النووية، و استسلام الأولى وركوع إمبراطورها ثمناً لغلطته الكبرى !!

ففي سبتمبر ١٩٤٠ وقعت اليابان مع ألمانيا وإيطاليا على ميثاق ينص على أن تساعد كل منهما الاخرى بكافة الوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية ، إذا هاجمتها دولة غير مشتركة آنذاك في الحرب الأوروبية أو في الصراع الصيني الياباني .

وكان القصد الرئيسي من هذا الميثاق تحذير الولايات المتحدة من مد يد المساعدة للدول الغربية. وفي الوقت نفسه فإنه لا يجبر اليابان على مساعدة ألمانيا في حالة عدوانها على الاتحاد السوفيتي .

وفي أبريل سنة ١٩٤١ ، وقع اليابانيون والروس ميثاقا بوقوف كل من حكومتيهما على الحياد، وإن دخلت إحداهما حربا مع دولة أو دول أخرى .

لذلك لم تكن اليابان مضطرة إلى مد يد المساعدة المباشرة للألمان في عملياتهم العسكرية التي بدأت في يونيه ١٩٤١، ومع ذلك فإنها بعد ستة أشهر من ذلك التاريخ، قدمت مساعدة غير مباشرة للألمان عندما بدأت هجومها على أملاك الولايات المتحدة وبريطانيا في المحيط الهادي وشغلتها عن مد يد المعونة الفعالة للاتحاد السوفيتي .

والواقع أن الأطماع التوسعية لليابان ازدادت قوة وشراسة عند قيام الحرب في أوروبا، فقد شجعها سقوط دولة هولنده وفرنسا وإنهاك بريطانيا في الميادين الأروبية وحوض البحر المتوسط على وضع يدها على الأملاك الفرنسية والهولندية والإيطالية في المحيط الهادي .

ومنذ يونيو ١٩٤٠، كانت حكومة طوكيو تعمل على كسب حقوق خاصة في شبه جزيرة الهند الصينية واضطرت حكومة فيشي إلى منح اليابانيين قواعد جوية في تونكين . ولم تقف الأطماع اليابانية عند هذا الحد، فقد أنزلت اليابان بعض قواتها في أراضي الهند الصينية وسيام وبدأت تتحرك نحو بورما ونحو الأملاك الهولندية في أندونيسيا والقاعدة البحرية البريطانية في سنغافورة .

وقد أزعجت تلك التحركات اليابانية حكومة الولايات المتحدة التى كانت تعارض الأطماع اليابانبة منذ عام ١٩٣١ وطالما قدمت ما استطاعت من معونات إلى حكومة " تشانج كاي شيك " في الصين وخصوصا عندما وقع العدوان الياباني على أرضها عام ١٩٣٧، ولكنها كانت تتردد في اتخاذ خطوات فعالة لمساعدة حلفائها الغربيين حتى إنها لم تستجب لاقتراح تقدمت به الحكومة البريطانية إلى حكومة روزفلت بإرسال الأسطول الأمريكي إلى سنغافورة، واكتفت بمحاولة الضغط الاقتصادي كحظر التعامل التجاري مع اليابان، وتجميد أموالها في الولايات المتحدة ، ولم تجد هذه السياسة ولم تحد من تصميم اليابانيين على المضي في تنفيذ المخطط الذي رسموه للتوسع وطرد الأوروبيين من الشرق الأقصى .

وظلت الاتصالات الدبلوماسية بين الحكومتين الأمريكية واليابانية منذ أوائل عام ١٩٤١، ولكنها كانت تنطوي على مفاوضات عقيمة بين الطرفين لا يثق أحدهما في الآخر، وتتعارض مصالحهما على طول الخط، فالولايات المتحدة تصر على عودة سياسة الباب المفتوح في الصين وعودة الأمور في الشرق الأقصى إلى الموقف الذي كانت عليه من قبل حادث سبتمبر ١٩٣٦ وأخيرا تصر على وقف التوسع الياباني .

وفي شهر مارس ١٩٤١، قال روزفلت للسفير الياباني الذي أرسله رئيس وزراء اليابان لمحاولة الوصول إلى تفاهم بين الدولتين : إن القيام بأي عدوان جديد قد يدفع أمريكا للدخول إلى الحرب ضد اليابان .

ولم يجد ذلك التهديد صدًى لدى اليابانيين فالفرصة – من وجهة نظرهم الخاطئة- سانحة أمامهم للانفراد بالعمل في الشرق الأقصى، ولكن هذا التصميم لم يمنع استمرار الوفد الياباني من المفاوضة في واشنطن، بقصد إزالة الاحتكاك بين الدولتين، و لم يأت شهر أكتوبر حتى كانت اليابان قد ابتلعت كل الهند الصينية والفرنسية .

وبينما كان الوفد الياباني لا يزال يفاوض الأمريكيين انقضت فجأة قاذفات القنابل المحمولة بحرا على حاملات الطائرات في صباح أحد سنة ١٩٤١ على الأسطول الأمريكي المتجمع في القاعدة البحرية الكبرى في " بيرل هاربر " بجزر "هاواي"!!

وكان اليابانيون قد توصلوا إلى قناعة – هكذا تصوروا - بأن عنصر المفاجأة والسرعة هما من أهم عناصر الهجوم، وقامت استراتيجيتهم على تجريد الأمريكيين من السلاح، واستهدفت خطتهم الطموح شل القوات الأميركية في جزر هاوي، وفي الوقت نفسه احتلال جنوب شرق آسيا .

وكان الهجوم المدمر ضد الأسطول الإيطالي في ميناء " تارانتو " الذي شنته طائراتٌ بريطانية قاذفةٌ للطوربيدات انطلاقاً من حاملة الطائرات، كان هذا الهجوم هو الذي أوحى لليابانيين بفكرة الهجوم على ميناء " بيرل هاربر " بعد ذلك بعام، ويعد النجاح في الضربة الأولى للحاملات أمراً بالغ الأهمية .

ومن هنا كانت ثقة الأدميرال الياباني " ياماموتو " قد ترسخت من خلال أداء حاملة طائراتٍ بريطانية بمفردها في قصف ميناء " تارانتو " الإيطالي، فقد أجرى دراسةً مكثفة على ميناء تارانتو الإيطالي في العام السابق .

كان ياماموتو مقتنعاً بضرورة القضاء على الأسطول الأميركي في بيرل هاربر أولاً قبل الاستيلاء على جنوب شرق آسيا، فأنفق هو وربابنة أسطوله أشهراً في التدرب سراً على الهجوم في قاعدةٍ يابانيةٍ منعزلة .

لقد خطط ياماموتو للاستيلاء على النفط و نقله سريعاً إلى اليابان، لكن كان الخطر الأكبر بالنسبة لهم هو الأسطول الأميركي، و أين كان هذا الأسطول، كان بالطبع في بيرل هاربر . و من هنا كان الدافع الحقيقي لبيرل هاربر هو محاولة القضاء على الأسطول الأميركي لحماية مخزون النفط و دون حساب العواقب .

لقد تأكد ياماموتو بأن طائراته تحمل قذائف طوربيد مصممةً خصيصاً لكي تسقط وتنطلق في مياهٍ ضحلة واليابانيون معتادون على الإبحار مباشرةً وراء منخفضٍ جوي، إذ كانت سفن الأميرال ناغومو تستفيد من الغطاء الذي وفرته الغيوم والمطر وكانت غواصاتٌ يابانية تبحر في مقدمة السفن وتحتها من أجل حراستها .

وفي ديسمبر عام ١٩٤١، أبحر أسطولٌ ياباني قوي مسرعاً نحو الشرق، و تعمد قائد الأسطول الأميرال ناغومو الإبحار في طريقٍ يجنبه التعرض لمراقبة سفنٍ أو طائراتٍ أجنبية، و يختلف هذا الأسطول الضخم اختلافاً جذرياً عن أي قوةٍ عسكريةٍ بحرية تم تجميعها من قبل إذ تبحر في قلب الأسطول مجموعةٌ من ست حاملات طائرات على متنها ٣٦٠ طائرةً مقاتلة .

وكانت قدرة هذا الأسطول على الوصول إلى مدى بعيد في أعالي البحار إلى جانب القوة الهائلة لطائراته تعطيه قدرةً هجومية لا مثيل لها في التاريخ البحري.

وفكرت القيادات اليابانية التي أغرت الإمبراطور على إعطاء أوامره بتنفيذ الهجوم، في أنها ستدخل بهذه القوة البحرية المعركة لتعيد كتابة تاريخٍ جديدٍ لليابان، بإحرازها نصراً كبيراً و اكتسابها شهرةً واسعة، وتحقيقها صيتاً ذائعاً، فخلال ساعتين ستقوم الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات بقلب ميزان القوى في المحيط الهادىء، كما ستضمن بأنه خلال الصراع الممتد عبر آلاف الأميال في المحيط ستخرج حاملة الطائرات سيدة الموقف بلا منازع .

كان مفهوم توجيه ضربةٍ جويةٍ شاملة انطلاقاً من السفن ما زال جديداً، ولم يكن الأميرال ناغومو مقتنعاً على الإطلاق بأن مثل هذه الضربة ستثبت فعاليتها عملياً، ورغم ذلك فإن أسطوله استعد و لا يمكن وقف الهجوم إلا بأمرٍ من الامبراطور للقائد العام في طوكيو الأدميرال ياماموتو، الذي كان ينظر إليه الإمبراطور والشعب الياباني باعتباره الأكثر موهبةً ودهاءً في تاريخ بلاده، و أحد القادة الأفذاذ في العالم .

ومن هنا كانت الاستراتيجية التي كانت تقوم عليها هذه الحملة البحرية إلى حدٍّ كبير من وضع ياماموتو، فقد كان مقتنعًا بأن العدو الرئيسي لليابان هو الولايات المتحدة وتعتمد الركيزة الأساسية في استراتيجيته على شن هجوم مباغت ضد القاعدة الأميركية في بيرل هاربر مقر الأسطول الأميركي في المحيط الهاديء، وحشد كامل القوة الجوية لحاملات الطائرات اليابانية لهذه العملية بمفردها، والتي جرى اختبارها بعناية من خلال تمريناتٍ مكثفة .

واعتقد ياماموتو بأن فرصة النصر الوحيدة المتاحة أمام اليابان في الحرب القادمة هي أن تضرب أولاً و بلا هوادة، و اعتزم ياماموتو أن يشن سلسلةً سريعةً من الهجمات الأخرى ضد تشكيلةٍ واسعةٍ من الأهداف، و كان يأمل بأنه في الوقت الذي تكون فيه أميركا قد أعادت بناء قوتها البحرية تكون اليابان قد أصبحت إمبراطوريةً بحريةً كبرى تحميها قواعد منتشرة في جزر المحيط الهادي . و قد كان أكثر ما يقلق ياماموتو هو أن لا تكون جميع سفن الأسطول الأميركي موجودةً في ميناء بيرل هاربر، وكان يدرك بأن عليه قبل كل شيء أن يدمر حاملات الطائرات الأميركية .

وفي السادس من ديسمبر عام ١٩٤١، انهارت المفاوضات بين البلدين فبعثت طوكيو رسالةً مطولة إلى سفارتها في واشنطن، كان يتعين تقديم الرسالة التي اختتمت بإعلان اليابان الحرب على أميركا في الساعة الواحدة تماماً من اليوم التالي وكان كل بحارٍ ياباني يعلم بأن الحرب باتت وشيكة .

ويبرق ياماموتو إلى الأسطول قائلاً : " إن مصير الإمبراطورية معلقٌ على هذه المهمة و كل فردٍ يجب ألا يبخل بنفسه من أجل ذلك " .

وفي السابع من ديسمبر من نفس العام، شن اليابانيون هجوماً في المحيط الهادي، تضمنت هجوماً على جنوب شرق آسيا و ميناء بيرل هاربر في جزر هاواي، حيث انطلقت ٣٥٠ طائرة يابانية من حاملات طائرات اقتربت من شمال جزر هاواي و بلغت القواعد الأميركية في بيرل هاربر، حدث ذلك باكراً في الصباح، و كانت الرؤية و الأحوال الجوية مثالية و شعر الطيارون اليابانيون بأنهم أخذوا عدوهم على حين غرة و كانت المفاجأة تامة .

ففي صوت يشبه صوت الرعد، انفجرت البارجة " أيرزونا " بعد أن أصابتها قنابل الطائرات اليابانية في بيرل هاربر، و تناثرت قطعها على أجزاء المرفأ . فكانت هذه بداية المفاجأة .

وقصفت القاذفات اليابانية " محطة كانوهي " الجوية للقوات البحرية الأميركية، فيما ضربت قاذفات أخرى و بعض المقاتلات " حقل بيلوز " .

وكما يقول لنا أحد الضباط الأميركيين الموجودين في حقل بيلوز :

"كنت ضابطاً في قسم الاتصالات وعينت في دائرة المراقبة السادسة والثمانين في حقل بيلوز الواقع على جانب الجزيرة للريح، في السابع من ديسمبر و عند الساعة السابعة و النصف صباحاً استيقظ كل المقيمين في مركز الضباط العزب على صوت تحطم طائرة، تحطمت طائرة B-١٧ عند آخر المدرج، فدب الذعر في قلوب فريق العمل و أخذوا يصيحون بأنهم يتعرضون لهجوم، بينما كنا نتحدث مع طاقم العمل بدأ سرب من الطائرات اليابانية بالقصف، كانت تحلق على علوٍ منخفض بحيث رأينا وجوه الطيارين، تبعثر الرجال للاحتماء من القصف، أذكر أنني قفزت تحت كوخ العمليات " .

- في الساعة السابعة و ثمانية و خمسون دقيقة وصلت الطائرات الأفقية اليابانية إلى بيرل هاربر و لم يشك أحد في أنها يابانية .

واستمرت أسراب الطائرات في قصف المنشآت العسكرية و شن هجوم شامل على الجزيرة، لكن اليابانيين لم يكتفوا بالمواقع العسكرية بل انتقلوا إلى الأهداف المدنية .

وروت سيدة أميركية ذكرياتها عن بداية الهجوم على ميناء بيرل هاربر : "لم يبد تحليق الطائرات الواحدة تلو الأخرى أمراً استثنائياً، فنحن نعيش في منشأة عسكرية و مع ذلك شعرنا بوجود شيء مختلف لأن جدران منزلنا قد اهتزت بسبب الانفجارات "

هرع كل من استطاع إلى حمل السلاح و المواجهة، ساد جو من الارتباك فيما كان الأميركيون يحاولون فهم ما يجري .

- الساعة الثامنة و الخمس دقائق صباحاً فتحت مدافع البارجة نيفادا النيران على طائرات الطوربيد، كما فتحت سفينة الترميم فيستال و الراسية قرب أريزونا النيران أيضاً، تلقت البارجة كاليفورنيا صاروخاً ضخماً و بدأت الطائرات اليابانية تشن هجماتها على البارجة على علوٍّ مرتفع و كانت مقاومة الأميركيين غير منظمةٍ وغير فعالة .

ومن بين الأهداف السهلة كانت أوكلاهوما الضعيفة، حيث أصيبت السفينة أوكلاهوما بأكثر من عشرة صواريخ و أحدثت الانفجارات ثقوباً في درع السفينة وبما أن النوافذ والفتحات قد تركت مفتوحة في الليلة السابقة، تدفقت مياه البحر إلى داخل السفينة، في الساعة الثامنة و أربع عشرة دقيقة صباحاً انقلبت أوكلاهوما على المرفأ وحجزت أكثر من ٤٠٠ رجل في الداخل وهم يضربون الفولاذ بأيديهم، نفذ مساعد مدفعي اسمه ليون كولب الأمر بإخلاء السفينة وتوقع أن تتحول السفينة

إلى حطام، من فوق لهيب الحطام وكان الطيار الياباني تايسوكي مارويام ابن التسعة عشر عاماً يراقب الدمار الذي تحدثه قنابله قائلاً : " أصابت القنبلة التي رميتها البارجة أوكلاهوما، و بما أنني كنت أنفذ مهمتي الأولى سررت كثيراً بإصابة السفينة و بأننا ربحنا المعركة " .

واستمرت المحاولات اليائسة لإنقاذ العالقين داخل أوكلاهوما المنقلبة طوال الليل .

وكما يسرد لنا أحد البحارة الأميركيين أحداث الهجوم : " عندما ضربت الصواريخ الأولى سفينتين في السابع من ديسمبر تساءلت عما يجري، بعد حدوث الانفجارين الثاني و الثالث جاء المسؤول عن سطح المركب إلى غرفة الاتصالات و قال لنا : ليتخذ الجميع موقعه على السفينة إن العدو يهاجمنا، و قلت في نفسي : من هو العدو ؟ " .

ويتذكر أحد البحارة عن ذلك اليوم : " أراد الجميع الثأر، و ظننت أنه إذا تمكنا من بلوغ جزيرة فورد حيث مربط الطائرات كلها لأنقذنا بعض المدافع الرشاشة وواجهنا الطائرات في حال استمرار الهجوم " .

وأصيبت كل الأهداف العسكرية، و حرك الأميركيون كل آليات الدفاع ولكنها لم تكن بحجم قوة الهجوم .

– و في الساعة الثامنة و ثماني دقائق صباحاً، أوقفت الإذاعة المحلية " كاي جي أم بي " بث الموسيقى و نادت كل العسكريين إلى تلبية نداء الواجب، كانت الطائرات اليابانية تلقي قذائف خارقة للدروع تنفجر لاحقاً من علو عشرة آلاف قدم و ضربت إحداها البارجة أريزونا ضربة مباشرة .

– وعند الساعة الثامنة وعشر دقائق صباحاً، انفجرت مخازن الذخيرة الأمامية على البارجة أريزونا محدثةً دوياً مروعاً و كرة نارية هائلة غرقت السفينة الضخمة في أقل من تسع دقائق .

ويروي أحد الذين شاهدوا انفجار البارجة أريزونا : " تطلعت إلى الأعلى وشاهدت القاذفات تتقدم على علو مرتفع جدا وأخذت تلقي القنابل، رأيت أريزونا تنفجر وارتفعت ألسنة النيران و الدخان ٥٠٠ أو ٦٠٠ قدم في الهواء، كان ذلك مرعباً، وسألني أحدهم ما إذا كنت خائفاً فأجبته : طبعاً أنا خائف و من لا يخاف ؟ " .

وتحولت يو إس إس أوكلاهوما القريبة جداً إلى هدف سهل و يقول أحد الجنود الأميركيين عن ذلك الهجوم : " شعرت في تلك اللحظة أنني قريب جداً من الموت، أردت النزول إلى خزانتي في الأسفل لإخراج أغراضي منها بعد أن أمرنا بإخلاء السفينة، كان بين الأغراض خاتم ماسي كنت قد اشتريته لزوجتي و لكن شيءٌ ما دفعني باتجاه الفرار " .

وحققت الموجة الأولى من الهجوم الياباني المفاجئ نصراً مذهلاً للعدو وإرباكاً فورياً، تلقى الأسطول الأميركي كمية لا بأس بها من الصواريخ المتطورة و المصممة خصيصاً لمياه بيرل هاربر الضحلة، هزت انفجارات عنيفة الطرادات وزارعات الألغام و البوارج مثل أوكلاهوما ولكن كانت تلك البداية فقط، إذ كانت الموجة الثانية من الهجوم الياباني على وشك أن تبدأ .

- وفي الساعة الثامنة وخمسون دقيقة، اقتربت الموجة الثانية من الطائرات اليابانية من الشمال و كانت خطة الهجوم ضرب القواعد العسكرية المنتشرة على الجزيرة بالمقاتلات و القاذفات الأفقية و قاذفات الانقضاض، عند الساعة الثامنة وأربع وخمسون دقيقة بدأ الهجوم الثاني و أصابت ٧٨ قاذفة انقضاض السفن في بيرل هاربر وضربت ٥٤ قاذفة بعيدة المدى المحطات الجوية التابعة للقوات البحرية وحامت ٣٦ مقاتلة فوق المرفأ لضمان السيطرة على الأجواء، لقد أحدثت الموجة الثانية فوضى عارمة، أخذ الأميركيون يطلقون النار على كل ما يتحرك في الجو .

في الصباح موجتان من الطائرات قامتا بالهجوم، الأولى في تمام الساعة الثامنة إلا خمس دقائق . والثانية في تمام الساعة الثامنة و أربعين دقيقة . وكان كل شيء قد انتهى في العاشرة صباحاً .

وقد حقق الهجوم المفاجيء – غير محسوب العواقب - نجاحاً ساحقاً و نجحت الخطة اليابانية نجاحاً كلياً حيث فاقت الهجمات كل توقعاتهم، استطاع اليابانيون أن يتخلصوا بخطة محكمة جريئة بقسم كبير من القوات البحرية و الجوية الأميركية في الشرق الأقصى . القاذفات المنقضة، و الطائرات المطاردة المقاتلة، و الطائرات الحاملة للطوربيدات كلها استطاعت أن تحول بيرل هاربر إلى أكوام من الخرائب المحترقة وهبت النيران في المنشآت العسكرية، و حولت القنابل و الطوربيدات اليابانية البارجة الأميركية رو إلى كتلةٍ من اللهب بفعل الانفجارات و الحرائق نتج عنها سحبٌ عارمةٌ من الدخان، لقد كان المدنيون يفرون للنجاة بحياتهم و لم يكن أمام الجيش الأميركي إلا الرد بغياب أي خطة عمل منظمة .

وعندما انسحبت الطائرات المغيرة في النهاية عائدةً إلى حاملات طائراتها كانت تخلف وراءها مشهداً من الدمار لا نظير له .

كانت هزيمةٌ مدمرة للبحرية الأميركية التي تخسر ثلاث بوارج من بينها كاليفورنيا و نيفادا و ست طرادات و خمس غواصات و ١٤٠ طائرة وأصيبت مدمرتان بخسائر جسيمة، فكانت الخسائر البشرية ٤٤٧٥ بين قتيل و مفقود وجريح من العسكريين والمدنيين، ولكن على جزر هاواي كان السكان في حالة ذعر .

ويضيف أحد من عاصروا الهجوم من الأمريكيين قائلاً : " لم نفكر يوماً في أنهم سيقصفون أقوى قاعدة لدينا و التي تضم معظم سفن أسطولنا، لا أعتقد أن الضباط المسؤولين فكروا يوماً في أن اليابانيين سيشنون هجوماً عن قرب " .

وقد تلا الهجوم شعور بالخوف و القلق، شلت حركة الجيش الأميركي و لم يكن هناك أي فرصة لردع اجتياح كلي لجزر هاواي، فبدا الاجتياح حتمياً، يصف أحد الجنود الأميركيين الحال بعد الهجوم الياباني قائلاً : " أعلمنا لاحقاً في ذلك اليوم أن القوات الأرضية اليابانية نزلت على بيرل هاربر " .

وبعد انقضاء أربع ساعات على الهجوم، اشتعلت النيران في الجزيرة و تبدلت الأجواء بدخان أسود خانق و قطعت الاتصالات مع البر الرئيسي و أصبح وصول النجدة شبه مستحيل .

كان الهجوم الياباني مباغتاً و مدمراً و صاعقاً، ساهم الخوف في اجتياح العدو في بروز حالة من جنون الارتياب، لحق الدمار الجزيرة، ألح القائد فوشيدا على متن حاملة الطائرات على إطلاق الموجة الثالثة و لكن في الساعة الواحدة و النصف ظهراً قرر الأميرال ناغومو إلغاء الهجوم و انسحب الأسطول الياباني .

يقول أحد الأميركيين : " كان في إمكانهم قصف الحوض الجاف و إعاقة عملية ترميم البوارج المتضررة و لو أنهم قصفوا بوابة الحوض الجاف لكان حجم الأضرار أكبر بكثير " .

ويبدو أن الأميرال ناغومو ألغى هجوم الموجة الثالثة لأنه لم يكن واثقاً من موقع حاملات الطائرات الأميركية، و نظرًا لأن قواته حققت نصراً ساحقاً في الموجتين الأوليين و لم يشأ المخاطرة بهجوم ثالث قد يكون فاشلاً . و هكذا شل هجوم بيرل هاربر الأسطول الأميركي في المحيط الهادي .

وتوالت بعد ذلك الضربات اليابانية فاغرقت البحرية اليابانية بارجتين بريطانيتين كبيرتين في ١٠ ديسمبر ١٩٤١ .

وبعد شهر، تمكنت القوات اليابانية من غزو شبه جزيرة " الملايو "، واستولت على سنغافورة المنيعة التحصين في ١٥ فبراير ١٩٤٢ بعد أن استسلمت قواتها البالغ عدد أفرادها ٦٠ ألف جندي .

وفي الوقت نفسه، غزت القوات اليابانية " بورما " وانتزعوها من القوات البريطانية والصينية، وأغلقوا طريق " بروما " الرئيسي الذي يرسل الحلفاء عبره الإمدادات للصين .

وأقامو في بورما حكومة موالية لليابان . وفي منتصف فبراير حطم الأسطول الياباني في بحر جاوة قوة بحرية للحلفاء تتكون من خمس بوارج وست مدمرات وبذلك فتح الطريق لغزو جميع جزر الهند الشرقية الهولندية .

وطرد اليابانيون القوات الأمريكية من جزر الفلبين بعد أن استسلمت حاميتها. وبذلك بات من المؤكد عجز الحلفاء عن مجابهة اليابانيين في الشرق الأقصى، وتوقعوا أن تكون الضربة القادمة غزو استراليا .

وكانت الفرصة سانحة لليابان في ذلك الحين نظرا لتفوقه البحري في المحيط الهادي وبحار شرق آسيا أن تستولى على الممتلكات الأمريكية والهولندية فاستسلمت هونج كونج في آخر ديسمبر ١٩٤١، وجزر الهند الشرقية الهولندية في مارس ١٩٤٢، وانسابت القوات اليابانية في الملايو حيث استولت على كوالالمبور وتوغلت في جوهور واضطرت القوات البريطانية إلى الجلاء عن الملايو في شهر يناير من نفس العام .

وتبع ذلك الاستعدادات لشن تلك الحرب إذا صارت الحرب الألمانية السوفيتية سيرا مرضيا بالنسبة لألمانيا . لقد اختارت ألمانيا طريقها بمهاجمة الروس، ولكن التناقضات الإميريالية بينها وبين اليابان دفعت اليابان إلى الطريق التى رأت فيه مصلحتها الخاصة، ولكنها على الرغم من عدم مشاركتها في الحرب إلا أن أهدافها الاستعمارية أجبرت الاتحاد السوفيتي إلى تركيز عدد ضخم في سيبيريا الشرقية لمواجهة أي نزاع روسي ياباني خاصة وأن اليابان كانت تحشد قوات ضخمة على الحدود السوفيتية المنتشرة .

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٤١، جدد ميثاق مكافحة الشيوعية ووقعت عليه كل من ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وفنلنده وكرواتيا والدانمرك ورومانيا وبلغاريا ، كما وقعت عليه اليابان والحكومات التابعة لها كمنشوريا وحكومة " وايخ شسنج ري " في الصين المحتلة، وكان من الواضح في هذا الميثاق أنه يمثل كتلة عسكرية معارضة للكتلة السوفيتية الأنجلو أمريكية .

ومن هنا دخلت أميركا حرباً لم تكن مستعدة للمشاركة فيها، و ردت على هجوم دموي هو الأسوأ في تاريخها قبل هجمات ١١ سبتمبر، بهجوم شيطاني غير مسبوق بالنووي على اليابان، في أكبر مذبحة بشرية، وكارثة بيئية في التاريخ كله !!

وهكذا ارتكب إمبراطور اليابان هيروهيتو وقادته العسكريون خطيئة كبرى بضرب بيرل هاربر، فقد أساءوا تقدير الأمريكيين فظنوا أن انتصاراتهم هذه ستدخل اليأس في نفوسهم، ولكن الحقيقة إن القوات الأمريكية استردت أنفاسها واستعادت وعيها حتى كان الرد الفعلي الأمريكي السياسي سريعاً فأعلنت الحرب على قوات المحور الثلاث بعد مناقشة قصيرة في الكونجرس، وبتأييد كامل من الشعب الأمريكي .

أما الرد العسكري فلم يأت فوراً فبعد شهرين نظمت البحرية الأمريكية عملية ارتداد على اليابانيين فقد بادرت وحدات مشتركه إلى إبادة جزر "مارشال" و"جليبر" وفي (٢٤) شباط أغارت قاذفات أمريكية على جزيره "ويك" .

وفي ٤ مارس تمت غاره أخرى على جزر "ماركوس" التي تبعد ١٥٠٠ كم من طوكيو وفي ١٠ مارس، أغارت طائرات منطلقة من حاملات الطائرات على القواعد اليابانية في "لأى" و "سلامودا" في غينيا الجديدة أغرقت سفينة جوالة خفيفة وكاسحة ألغام ثم سفينة شاحنة إضافية إلى ذلك فقد كان الأمريكيون يعدون مفاجأة أخرى شديدة للعدو فقد بدأت أمريكا ضرب اليابان نفسها في ١٨أبريل للمرة الأولى فقد تم توجيه حاملتي الطائرات " انتربرايز" و " هورنت" إلي منطقة تبعد ألف كم عن طوكيو فقد كانت هذه الغارة عملية رمزية دون ريب ولكنها كشفت عن الإمكانيات الفنية الكامنة في تصميم الأمريكيين على متابعة النضال حتى النصر .

واستطاعت هذه الغارة أن تعيد للأمريكيين ثقتهم بأنفسهم وتحدث الدهشة والخيبة في نفوس اليابانيين واستمرت الغارات بشكل دائم ولكن ذلك لم يكن يكفي

فقد كانت الرغبة في الانتقام بعد ضربه " بيرل هاربر" هي المسيطرة على الشعب والقيادة الأمريكية فكانت مجزره " هيروشيما" و " ناجازاكي" النووية التي ارتكبها الأمريكيون في اليابان تحت ذريعة " بيرل هاربر" وكانت خطه الرئيس الأمريكي " روزفلت" تقضي باستدراج قسم كبير في البحرية اليابانية إلى عمق المحيط الهادي لإلقاء درس نووي عليها يقنع اليابان بالانسحاب من الحرب إلى جانب هتلر. وبذلك يكون قد حيد اليابان مهزومة من جهة وإفقاد هتلر حليفاً أساسيا من جهة أخرى .

غير أن الرئيس " روزفلت" مات قبل الوقت المحدد لضرب الأسطول الياباني ولكن خلفه الرئيس " هاري ترومان" كان اشد انتقاماً من سلفه، والذي لم يتردد لحظه أمام الخيار النووي الذي قال بعد عشية مجزرة المجازر "هيروشيما " : إننا نحقق الثأر الأمريكي الذي طال انتظاره لـ " بيرل هاربر" .

وبالرغم من وحشية المجزرة ،لم يتردد لحظه في تكرارها مره أخرى، وبعد أربعة أيام على مدينة " ناجازاكي" وأحدثت القنبلتين دماراً وخراباً واسعاً أدى إلى مصرع مئات الألوف من اليابانيين بعد ضرب هيروشيما .

وبعد تهديد اليابان بمزيد من التدمير في مؤتمر الحلفاء المعروف "بمؤتمر بوتسدام"، حث هيروهيتو الحكومة على أن تستسلم. وفي ١٤ أغسطس وافقت اليابان على إنهاء الحرب، وانتحر بعض القادة العسكريين. وفي ٢ سبتمبر ١٩٤٥ وقع هيروهيتو بيانًا رسميًّا للاستسلام على ظهر السفينة الحربية الأمريكية ميسوري التي كانت ترابط عند خليج طوكيو، وكان ممثلون لدول الحلفاء حاضرين، وأعلن الحلفاء يوم ٢ سبتمبر يوم النصر على اليابان، وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية.

وكان مؤتمر بوتسدام قد ضم الرئيس الأمريكي هاري ترومان، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، ورئيس الوزراء السوفياتي جوزيف ستالين. وكان

آخر اجتماع عقده زعماء كل من بريطانيا والاتحاد السوفياتي (سابقا) والولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. و قد عُقِد المؤتمر في بوتسدام قرب العاصمة برلين بألمانيا من ١٧ يوليو حتى ٢ أغسطس ١٩٤٥.

كانت الاتفاقيات السابقة قد قسمت ألمانيا إلى مناطق احتلال بريطانية وفرنسية وسوفييتية وأمريكية، واتفق المؤتمرون في بوتسدام على معاملة الأجزاء الألمانية على أنها بلد واحد، فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية وبذلك حصل الاتحاد السوفياتي على ثلث السفن الألمانية، وبعض المعدات الصناعية تعويضا عن أضرار الحرب. كما اتفق المؤتمرون على مقاضاة القادة الألمان بتهمة ارتكاب جرائم حرب. وبينما كان المؤتمرون في بوتسدام، تناهى إلى علم الرئيس الأمريكي ترومان نبأ نجاح أول اختبار للقنبلة الذرية. الأمر الذي أدى إلى صدور إعلان بوتسدام الذي هدد بتدمير اليابان ما لم تتوقف عن حربها مع دول الحلفاء، وأن تستسلم دون شروط.

وهكذا استسلم هيروهيتو رجل اليابان القوي في الحرب العالمية الثانية للأمريكان وأي صمود كان يمكن أن يصمده رجل اليابان "هيروهيتو" أمام المزيد من القنابل الذرية بعد هيروشيما وناجازاكي.

وهكذا كان للهجوم الياباني على ميناء "بيرل هاربر" العديد من التأثيرات السياسية والعسكرية التي أدت فيما بعد إلى تحول كبير في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وأدت إلى أن تصبح طرفا في الحرب العالمية الثانية كما أنها أدت إلى مراجعة دقيقة وتفصيلية لمستوى أداء القوات المسلحة واعتبرت أمريكا أن تلك الواقعة كانت دريا قاسا وفي نفس الوقت مفيدا للبدء في تحديث معداتها وإعادة بناء ترسانتها الحربية بما يتلاءم لظروف السياسية والعسكرية المستجدة على الساحة الدولية، كما أن الهجوم على القاعدة الأمريكية الضخمة نتج عنة عدد من الدروس المستفادة التي لاتزال تدرس حتى الآن في العديد من الأكاديميات والمعاهد العسكرية المتخصصة.

وفي يوم ١٥ أغسطس عام ١٩٤٥، أعلن إمبراطور اليابان السابق هيروهيتو استسلام بلاده، وبموجب ذلك قام الرئيس الأمريكي ترومان بتعيين القائد الأعلى لقوات التحالف الجنرال ماك آرثر حاكماً عسكرياً على اليابان .

وفي عام ١٩٤٦، أقر البرلمان الياباني الدستور الجديد للمسودة التي أملتها الإدارة الأمريكية والتي تحولت بموجبها اليابان إلى دولة ديمقراطية منزوعة السلاح، ومن أهم الأمور التي أقرها الدستور الجديد أنه جرد الإمبراطور من السلطة السياسية وجعلها بيد الحكومة المنتخبة من قبل البرلمان .

ولايزال يوم السادس من أغسطس عام ١٩٤٥، اليوم الذي ضرب الأمريكيون اليابان بالنووي و استسلام اليابان .. لا يزال يمثل علامة استفهام كبيرة حول ما إذا كانت اليابان مستعدة للاستسلام قبل إلقاء القنبلة، أو ما إذا كانت هناك خيارات أخرى أمام الولايات المتحدة لحملها على الاستسلام من دون اللجوء إلى السلاح النووي الجديد، إلا أنها أصرت على الانتقام لبيرل هاربر ؟!

والواقع أنه في عام ١٩٤٦ أعدت وزارة الدفاع الأميركية تقريراً سرياً بعنوان: "جهود اليابان لإنهاء الحرب" . يعترف التقرير الذي لم يذع إلا في عام ١٩٩٥ أنه من المؤكد أن اليابان كانت على استعداد للاستسلام قبل الهجوم النووي ديسمبر ١٩٤٥، أي لو لم تلقَ عليها القنبلتان النوويتان، وحتى لو لم تدخل روسيا الحرب، وحتى لو لم تهدد بالاجتياح العسكري" .

إذن لماذا أصرّ الرئيس الأميركي هاري ترومان على إلقاء القنبلتين على هيروشيما وناكازاكي؟

كانت الولايات المتحدة قد تمكّنت من حلّ الرموز السرّية ـ الشيفرة ـ الخاصة باليابان، وفي ١٢ يوليو ١٩٤٥ كشفت واحدة من تلك الرسائل عن قرار الإمبراطور نفسه بالتدخل لإنهاء الحرب.

وكانت اليابان تعرف أن ديكتاتور روسيا ستالين وعد بدخول الحرب ضدها بعد ثلاثة أشهر من استسلام ألمانيا في الثامن من أيار ١٩٤٥. ولقد حصل ذلك بالفعل في الثامن من أغسطس من ذلك العام. وكان وحده كافياً لإنهاء الحرب ولفرض شروط الاستسلام على اليابان أمام الدول الكبرى الثلاث بريطانيا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة خاصة بعد استسلام ألمانيا.

غير أنه كانت للرئيس ترومان حسابات أخرى. لم يكن ترومان يحتاج إلى القنبلة النووية لإخضاع اليابان بقدر حاجته إليها للانتقام لبيرل هاربر، و لتخويف الاتحاد السوفياتي.

وجرت أول تجربة ناجحة للقنبلة في ١٦ يوليو ١٩٤٥. وفي اليوم التالي كان ترومان مجتمعاً في بوتسدام مع ستالين وتشرشل.

ويروي اللورد ألن بروك رئيس أركان القوات البريطانية في مذكراته أن تشرشل فوجئ باللهجة الفوقية وبالتصرّف الاستعدائي للرئيس الأميركي. فقد استفز ترومان الرئيس ستالين وتوجه إليه بطلبات مستحيلة. ولم يفهم تشرشل هذا التحول في الأسلوب التفاوضي لترومان إلا في اليوم التالي عندما عرف بنجاح التجربة النووية الأميركية.

وتكشف الوثائق الأميركية أن وزير الخارجية بيرنز أبلغ الرئيس ترومان "بأن القنبلة النووية ستضع الولايات المتحدة في موقف قوي يمكّنها من إملاء شروطها لإنهاء الحرب". كما يروي العالم النووي الأميركي لي زيلارد في مذكراته التي نشرها بعنوان: "التاريخ الشخصي للقنبلة النووية"، أن الوزير بيرنز اجتمع به في البيت الأبيض، وأنه أثناء الاجتماع لم يثر بيرنز ما إذا كان استخدام القنبلة ضد المدن اليابانية ضرورياً لكسب الحرب، ولكنه كان يؤكد على أن "امتلاكنا للقنبلة وإظهار فعاليتها سوف يجعل الاتحاد السوفياتي أكثر طواعية في أوروبة".

في ذلك الوقت لم تكن هناك محطة سي.إن.إن. مع ذلك استخدم الإعلام على أوسع نطاق لإقناع الرأي العام الأميركي بأن استخدام القنبلة كان ضرورياً لتسريع إنهاء الحرب، وأن ذلك يوفر على الولايات المتحدة أكثر من مليون قتيل!!

ففي شهر مارس ١٩٤٥ أمطر الأميركيون العاصمة اليابانية طوكيو بالقنابل فقتل ٨٥ ألف ياباني، حمل هذا القصف الإمبراطور هيروهيتو على قبول البحث في شروط الاستسلام. مع ذلك أُلقيت القنبلة الأولى، ثم أُتبعت بالثانية بعد ثلاثة أيام، وفي اليوم السادس اضطر هيروهيتو لإعلان استسلام بلاده دون قيد أو شرط.

لم يكن استخدام السلاح النووي ضرورياً لحمل اليابان على الاستسلام. ولكنه كان أداة لحملها على قبول استسلام مذل، يعزز الموقف الأميركي التفاوضي مع الاتحاد السوفياتي السابق على اقتسام تركة عالم ما بعد الحرب.

وقد حدث في شهر أغسطس عام ٢٠٠٥، أي بعد ستين سنة من إلقاء قنبلتين نوويتين على بلاده، وإعلان والده الإمبراطور هيروهيتو الاستسلام والاعتراف بالهزيمة، أن قدم الإمبراطور أكيهيتو أثناء إحياء ذكرى الكارثة، تعهدا بعدم عودة اليابان إلى الحرب ثانية.

وشارك الإمبراطور والإمبراطورة ميشيكو في احتفال أقيم بقاعة بلدية طوكيو حيث قرعت الأجراس مذكرة باستسلام اليابان ونهاية الحرب.

وكان أكيهيتو قد خلف والده هيروهيتو إمبراطورًا لليابان في عام ١٩٨٩. وتم تنصيبه عام ١٩٩٠.

وقد دعت الحكومة مواطنيها إلى أداء صلوات صامتة لضحايا الحرب في منتصف النهار.

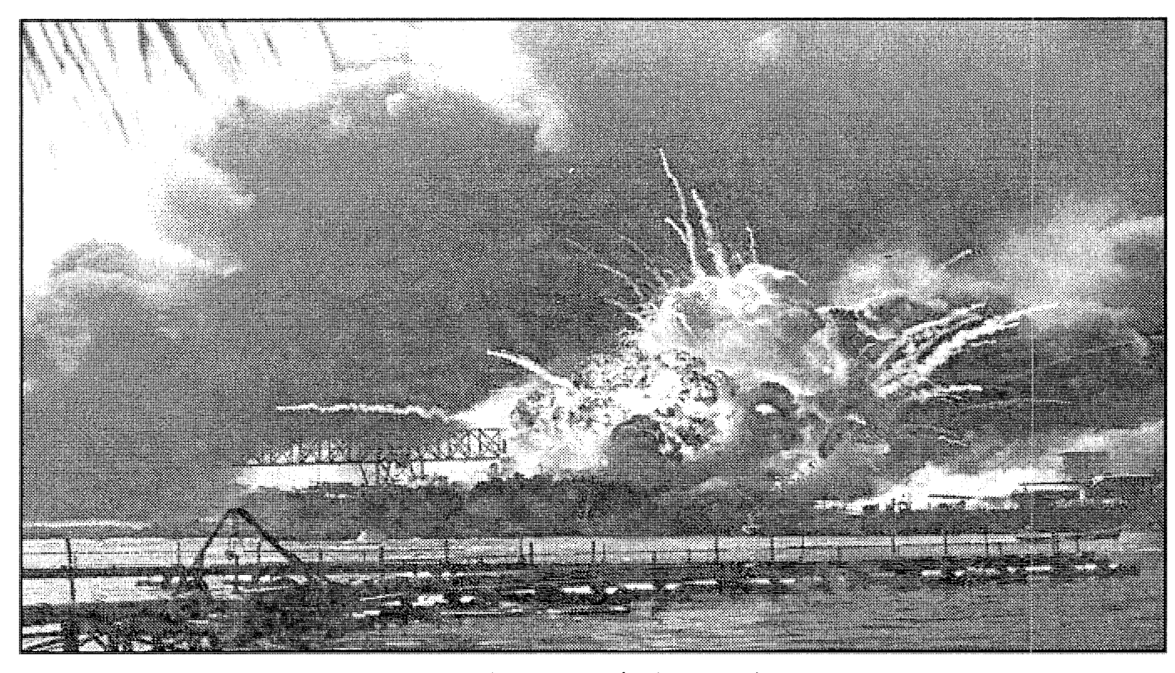
وتتضمن الاحتفالات الرسمية مثول وزراء الحكومة أمام الإمبراطور للتعهد بالحفاظ على السلام الدائم.

في نفس الوقت، جدد رئيس الوزراء الياباني جونشيرو كويزومي – آنذاك- اعتذار بلاده عما قامت به من استعمار وغزو في آسيا خلال الحرب العالمية الثانية، قائلا إن اليابان لن تنسى أبدا "الدروس القاسية" للحرب.

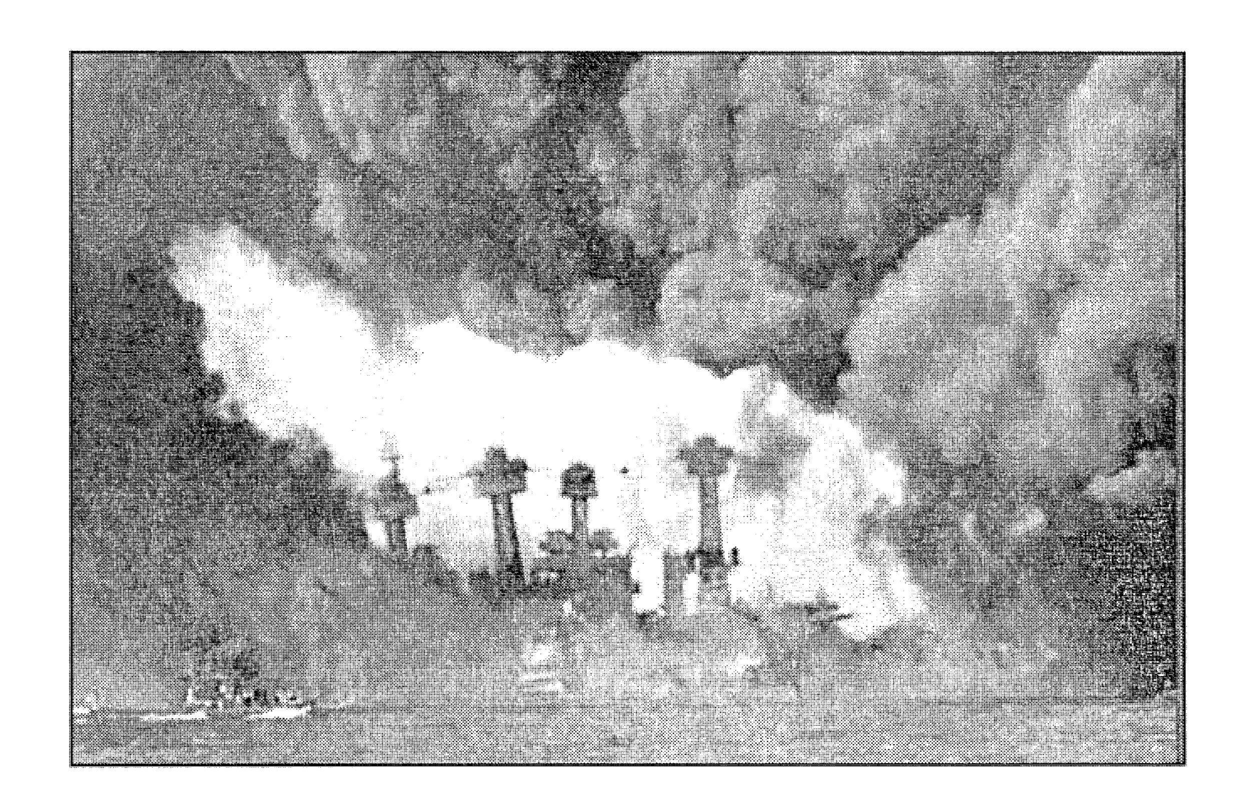
وقال إن بلاده "تسببت في خسائر هائلة وآلام لكثير من الشعوب في دول كثيرة خاصة جيراننا الآسيويين من خلال الغزو والاستعمار". وأضاف: "إننا نقبل بكل تواضع هذه الحقائق التاريخية ونود التعبير مجددا عن تأثرنا البالغ واعتذارنا الخالص وعزائنا لضحايا الحرب في خارج البلاد وداخلها".

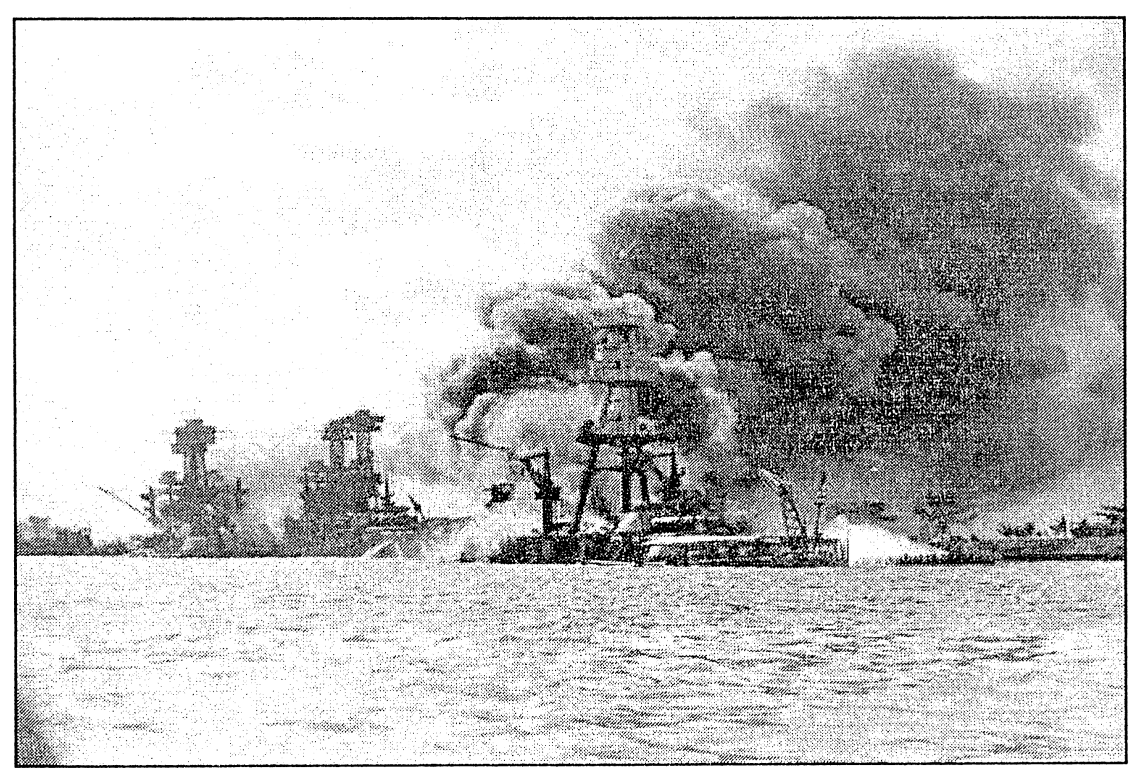


قاعدة بيرل هاربر قبل الهجوم..



هكذا بدا المشهد بعد الهجوم..

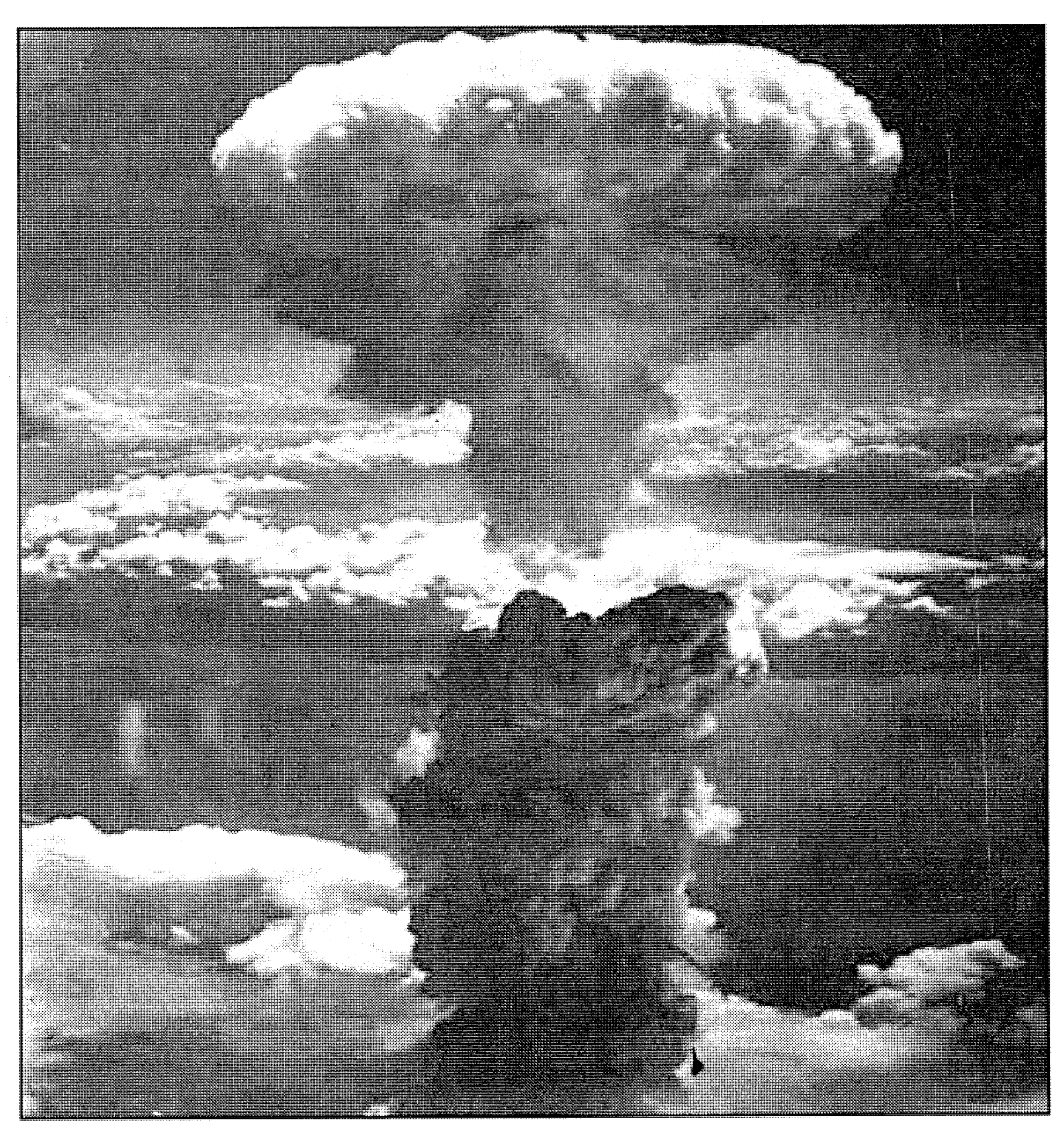




النيران تشتعل في الأسطول الأمريكي بعد الهجوم الياباني .



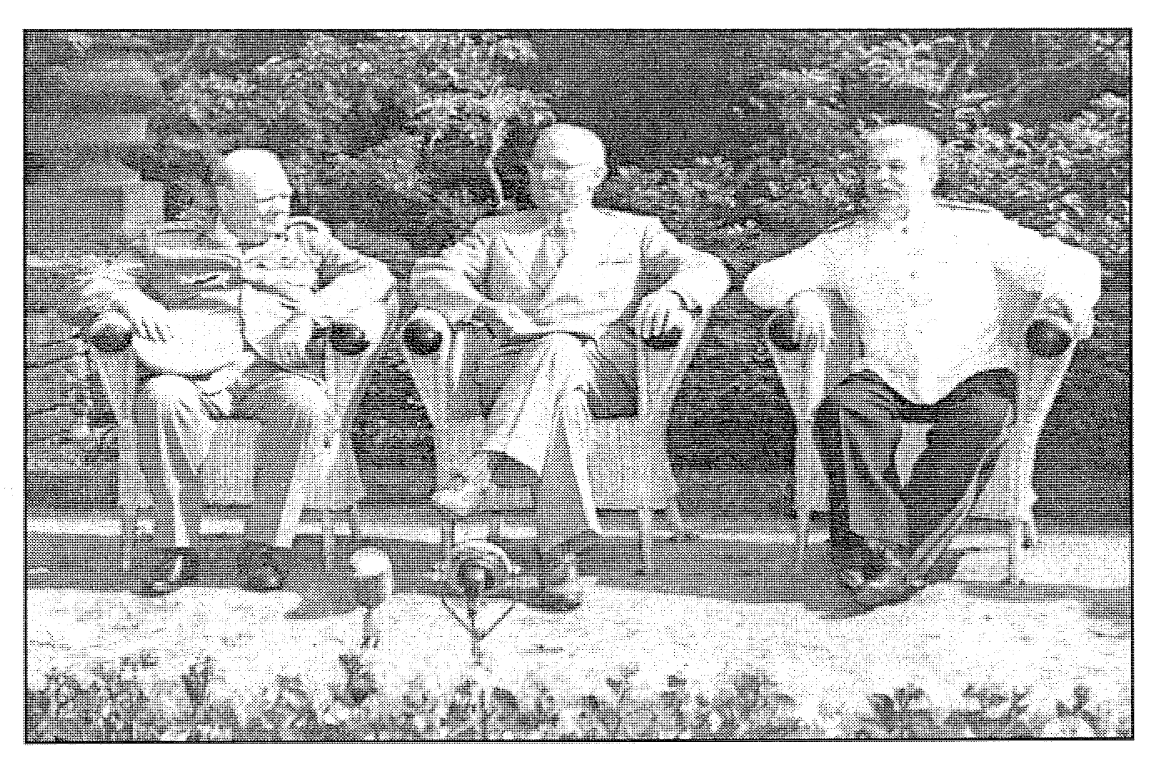
هيروشيما: "الهدف الكبير" من أجل "التأثير السيكولوجي"
في أغسطس عام 1945 قصفت الولايات المتحدة الأمريكية مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بقنبلتين نوويتين.
اختيار الهدف:
لجنة لوس ألاموس:
تقرر أن يكون أول استخدام للسلاح الذري مؤثرا إلى درجة يحظى فيها باعتراف دولي
ترفض فكرة استخدام القنبلة ضد الهدف العسكري الصرف (خوفا من عدم إصابة الهدف الصغير الذي لا تحيط به منطقة مأهولة واسعة)
وقع الاختيار على هيروشيما بسبب كبر حجمها وكونها "معسكرا حربيا هاما" وكذلك نظرا لموقعها وسط تلال تساعد على تركيز قوة الانفجار
وقع الاختيار على السادس من أغسطس لأن سماء المدينة كانت في الفترة التي سبقت هذا التاريخ ملبدة بالسحب
مضيق لابيروز
روسيا
الصين
بحر اليابان
سابورو
القاذفة تقترب من هيروشيما على ارتفاع حوالي 10 آلاف متر وبعد التسديد البصري تلقي القنبلة في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا
تنفذ الطائرة انعطافا حادا بزاوية 155 درجة وتهبط بمقدار 500 متر. وتنفجر القنبلة فوق المدينة على ارتفاع حوالي 576 مترا
كوريا الشمالية
سنداي
كوريا الجنوبية
البحر الأصفر
طوكيو
ناغويا
كيوتو
كوبه
أوساكا
هيروشيما
كيتاكيوشو
فوكوكا
يوكوهاما
المحيط الهادي
بحر الصين الشرقية
أطلقت على القنبلة تسمية الحركية "Little Boy" (الطفل الصغير)
قوة العبوة الذرية تعادل 20 ألف طن من تي. أن. تي.
ثلاث طائرات للرصد الجوي دخلت منطقة الهدف قبل ساعة واحدة تقريبا من وصول قاذفة "بي – 29" المسماة "انولا غاي"
على مسافة ستة أو سبعة كم تابعت القاذفة طائرة مزودة بالأجهزة الخاصة بتسجيل بارامترات الانفجار النووي
"انولا غاي"
قاذفة "بي – 29" المسماة "انولا غاي" تبلغ قيمة القنبلة مليوني دولار
تابعت الطائرة التي حملت القنبلة الذرية على بعد سبعين كيلومترا قاذفة أخرى بهدف تسجيل نتائج التفجير الذري
اكتشفت منظومة الدفاع الجوي اليابانية القاذفات الأمريكية، ولكن الإنذار الجوي في هيروشيما ألغي بسبب قلة عدد الطائرات المغيرة
لم تبد المقاتلات ومدفعية الدفاع الجوي اليابانية أي مقاومة للغارة الجوية المعادية
نتيجة القصف الذري:
الأغلبية الساحقة من القتلى كانوا مدنيين
دمر 62 ألف منزل من أصل 90 ألفا
دمرت كليا جميع المنشآت على مساحة 12 كم مربع
اندلعت حرائق استمرت عدة ساعات في دائرة نصف قطرها 2 كم حول مركز الانفجار
حوالي 160 ألف شخص أصيبوا بجراح أو تعرضوا للإشعاع
قتل أو فقد حوالي 200 ألف شخص
جميع الحقوق محفوظة.
2007 © وكالة "ريا نوفوستي" الرسمية الروسية



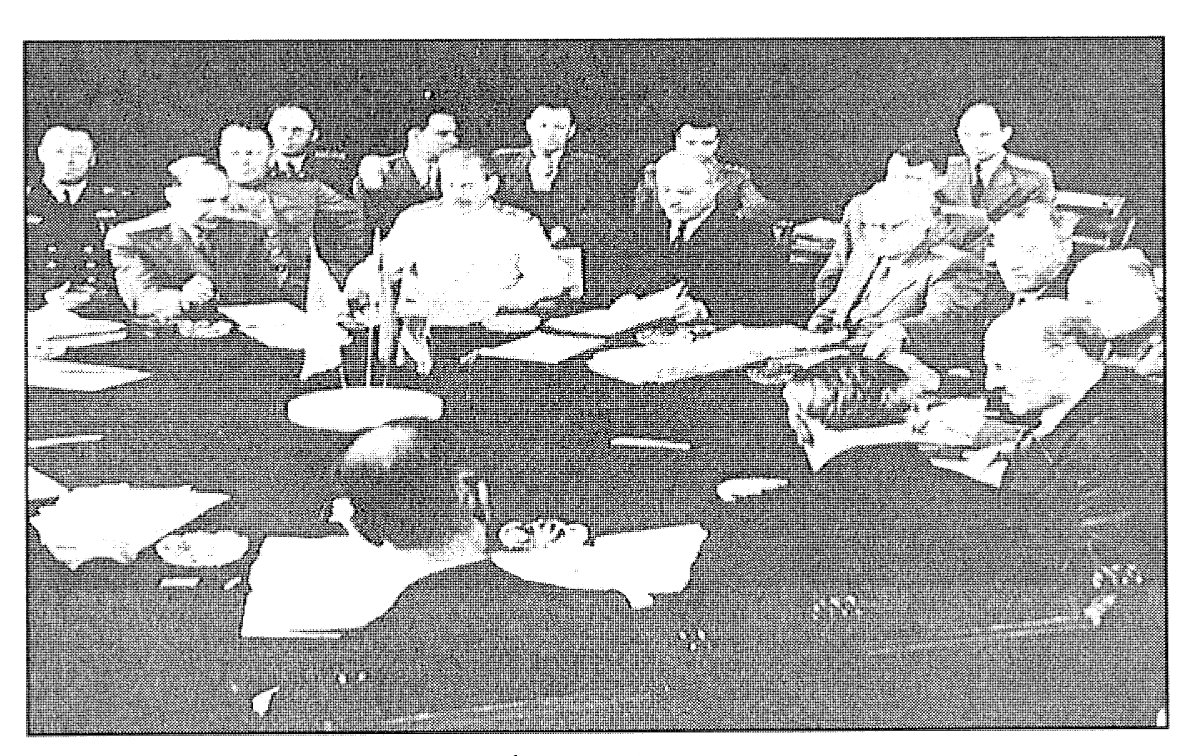
هكذا كان شكل السماء فوق هيروشيما بعد الهجوم الشيطاني بالقنبلة النووية !!



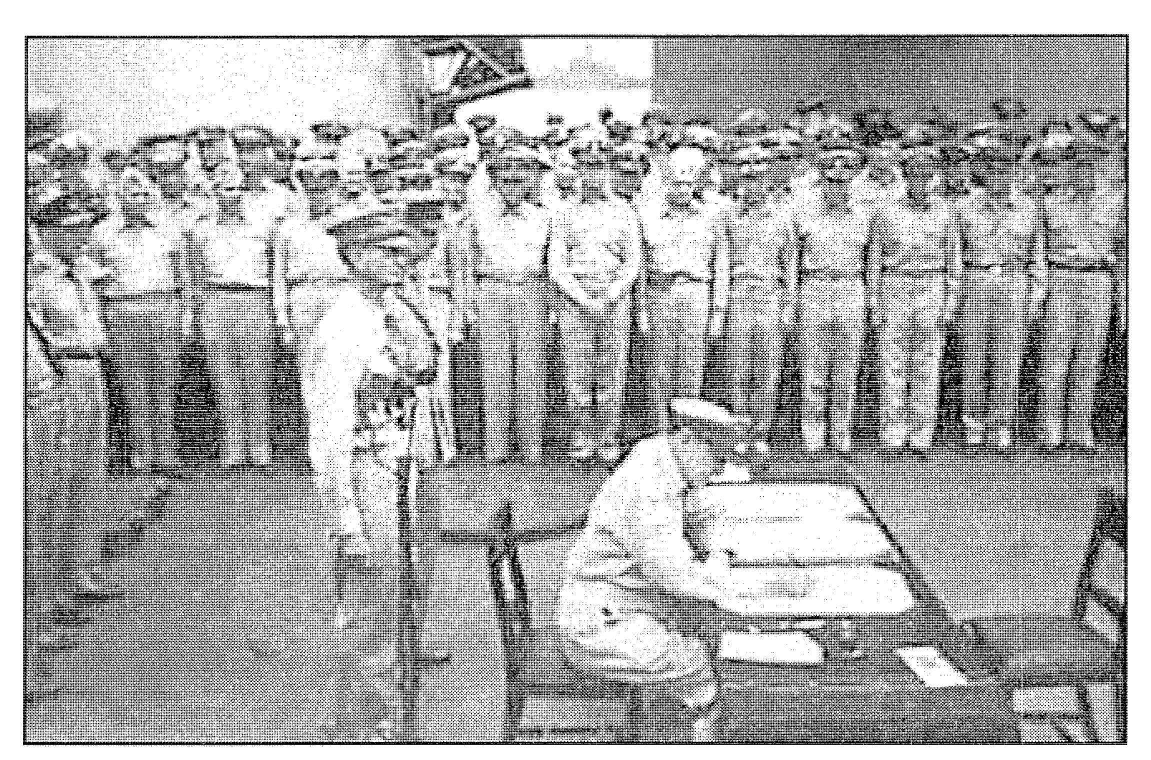
الناجي الوحيد من قنبلة هيروشيما يتحدث عن الكارثة قبل وفاته !!



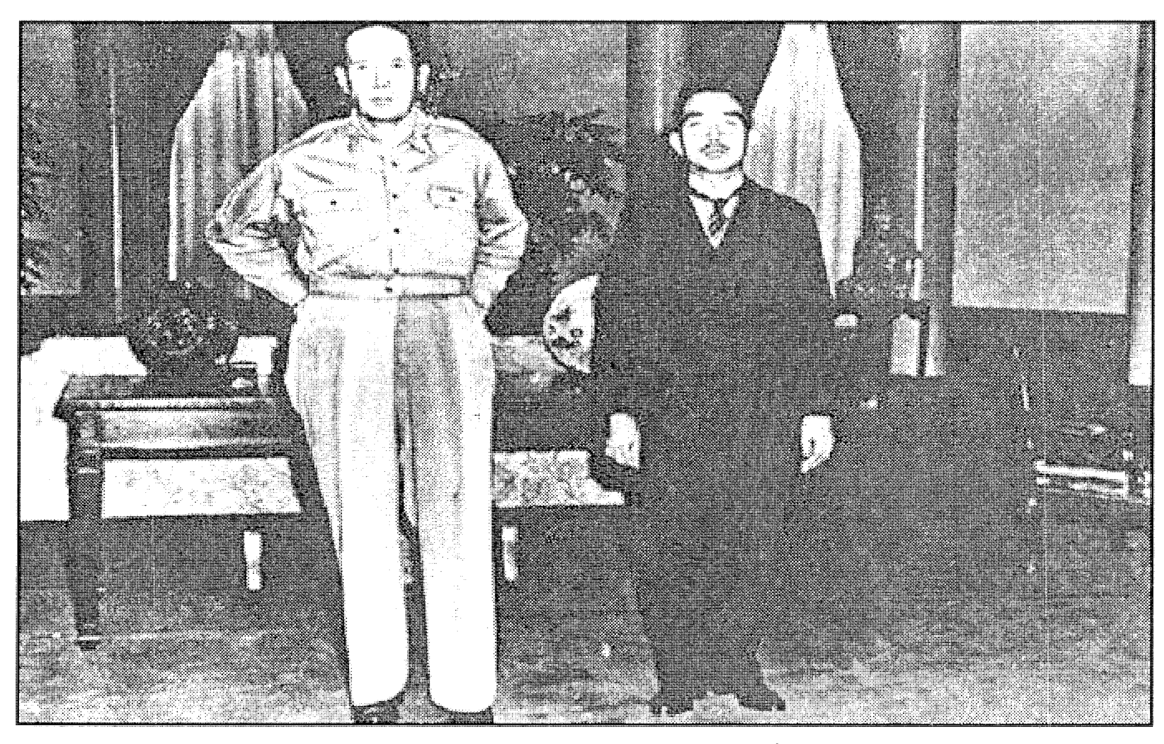
مؤتمر بوتسدام : من اليسار نستون تشرشل، هاري ترومان وجوزيف ستالين



إحدى جلسات المؤتمر.



الجنرال ماك آرثر يوقع وثيقة الاستسلام .



هيروهيتو مع الجنرال الأمريكي ماك آرثر الحاكم العسكري لليابان بعد توقيع وثيقة الاستسلام .

INSTRUMENT OF SURRENDER

We, acting by command of and in behalf of the Emperor of Japan, the Japanese Government and the Japanese Imperial General Headquarters, hereby accept the provisions set forth in the declaration issued by the heads of the Governments of the United States, China and Great Britain on 26 July 1945, at Potsdam, and subsequently adhered to by the Union of Soviet Socialist Republics, which four powers are hereafter referred to as the Allied Powers.

We hereby proclaim the unconditional surrender to the Allied Powers of the Japanese Imperial General Headquarters and of all Japanese armed forces and all armed forces under Japanese control wherever situated.

We hereby command all Japanese forces wherever situated and the Japanese people to cease hostilities forthwith, to preserve and save from damage all ships, aircraft, and military and civil property and to comply with all requirements which may be imposed by the Supreme Commander for the Allied Powers or by agencies of the Japanese Government at his direction.

We hereby command the Japanese Imperial General Headquarters to issue at once orders to the Commanders of all Japanese forces and all forces under Japanese control wherever situated to surrender unconditionally themselves and all forces under their control.

We hereby command all civil, military and naval officials to obey and enforce all proclamations, orders and directives deemed by the Supreme Commander for the Allied Powers to be proper to effectuate this surrender and issued by him or under his authority and we direct all such officials to remain at their posts and to continue to perform their non-combatant duties unless specifically relieved by him or under his authority.

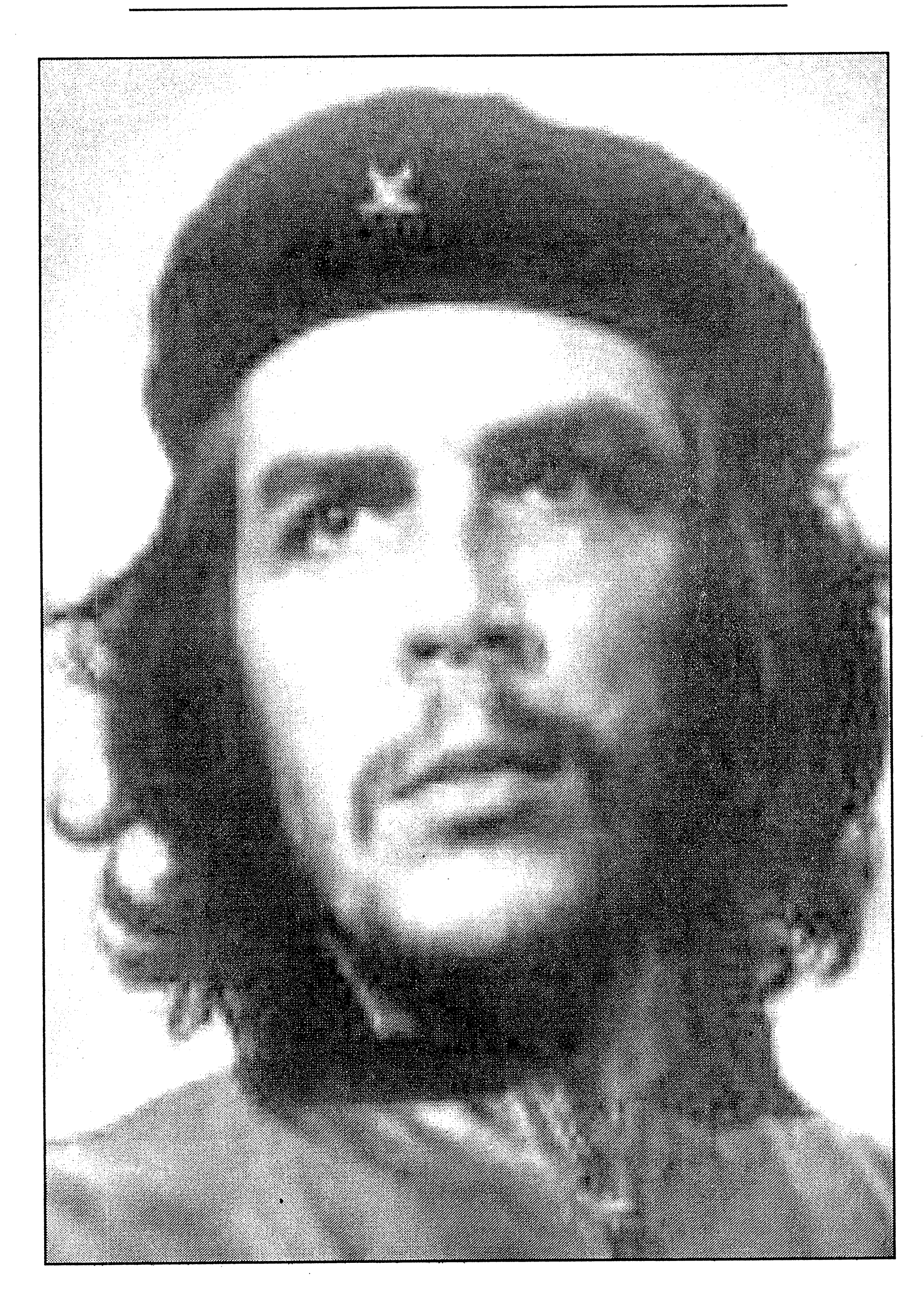
We hereby undertake for the Emperor, the Japanese Government and their successors to carry out the provisions of the Potsdam Declaration in good faith, and to issue whatever orders and take whatever action may be required by the Supreme Commander for the Allied Powers or by any other designated representative of the Allied Powers for the purpose of giving effect to that Declaration.

We hereby command the Japanese Imperial Government and the Japanese Imperial General Headquarters at once to liberate all allied prisoners of war and civilian internees now under Japanese control and to provide for their protection, care, maintenance and immediate transportation to places as directed.

The authority of the Emperor and the Japanese Government to rule the state shall be subject to the Supreme Commander for the Allied Powers who will take such steps as he deems proper to effectuate these terms of surrender.

وثيقة استسلام اليابان.

٤- جيفارا .. اقتلني تصنع مني أسطورة !!



في أحد أيام شهر أكتوبر من عام ١٩٦٧، ألقي بجثة مشوهة في قبر جماعي، وتمنى القتلة ألا يأتي أحد لإعادة الاعتبار للقبر المجهول. اعتقدوا أنهم بتحطيم الرجل سيحطمون أسطورته، ولكنهم كانوا على خطأ.

عام ١٩٦٨، غضب شبان العالم وخرجوا إلى الشوارع معلنين أنهم يستطيعون إنهاء الحروب وتغيير ملامح العالم. وقد تحول هذا الرجل الثائر بعد موته إلى شهيد لقضاياهم. أصبح يمثل أحلام ورغبات الملايين ممن يحملون في قلوبهم وفي أيديهم صوره.

وبعد أكثر من أربعين عامًا على اغتياله، لا تزال حرب جيفارا - نصير الفقراء وقائدهم وشهيدهم، رمز التمرد على وحشية الظلم و الاستغلال - على الأمريكيين مستمرة، وحرب الإمبرياليين على تشي غيفارا الصورة و الرمز و الشعلة، القضية والثورة أيضًا مستمرة !!

وربما لو عاد الزمن بالأمريكيين إلى الوراء لما أصروا على تنفيذ جريمتهم، وتصفية جيفارا جسديًّا، بعد أن أدركوا مع الوقت أن هذه الجريمة النكراء حولت الرجل إلى رمز و أسطورة، و ثائر أممي سيغير مجرى التاريخ، وسوف يخرجهم بعد موته من أمريكا اللاتينية، بتحويله شعوبها إلى طاقة ثورية جبارة تقلب الدنيا على الأمريكيين رأسًا على عقب !!

إرنستو جيفارا دِلا سيرنا .. يلقب بـ"تشي جيفارا"، أو بـ" التشي"، أو " تشي".. ثوري كوبي أرجينتيني المولد، و كان رفيق فيدل كاسترو.. و يعتبر أشهر مناضل ثوري فذ في التاريخ !!

درس الطب في جامعة بيونس آيرس وتخرج عام ١٩٥٣، وكان مصاباً بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية. قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو في السنة الأخيرة من الطب وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أميركا الجنوبية و بالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع البسيط. توجه بعدها إلى غواتيمالا، حيث كان رئيسها يقود حكومة يسارية شعبية، كانت من خلال تعديلات -وعلى وجه الخصوص تعديلات في شؤون الأرض والزراعة- تتجه نحو ثورية اشتراكية. وكانت الإطاحة بالحكومة الجواتيمالية عام ١٩٥٤ بانقلاب عسكري مدعوم من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

في عام ١٩٥٥ قابل جيفارا المناضلة اليسارية "هيلدا أكوستا " من "بيرو" في منفاها في جواتيمالا، فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى، وهيلدا هي التي جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية، إضافة إلى لينين و تروتسكي وماو تسي تونغ ماو.

سافر جيفارا للمكسيك بعد أن حذرته السفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية، والتقى هناك راؤول كاسترو المنفي مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه في كوبا. ما إن خرج فيديل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، وقد رأى فيدل كاسترو أنهم في أمس الحاجة إليه

و في ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات هافانا برئاسة فيدل كاسترو وأسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا. هذا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ المخابرات المركزية الأمريكية " سي . آي . إيه " داخل جيش عصابات كاسترو.

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلا لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط، بينهم كاسترو وأخوه "راءول" وجيفارا، ولكن هذا الهجوم الفاشل أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة في المناطق الريفية، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم في معركة مع الجيش.

كان خطاب كاسترو سبباً في إضراب شامل، وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا في يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل، ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور "باتيستا".

وفي تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب " تشي" الأرجنتيني، وتزوج من زوجته الثانية " إليدا مارش"، وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.

برز تشي جيفارا كقائد ومقاتل شرس جدا لا يهاب الموت وسريع البديهة يحسن التصرف في الأزمات. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائدا برتبة عقيد، وشريك فيدل كاسترو في قيادة الثورة، وقد أشرف كاسترو على استراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك .

وصدر قانون يعطي الجنسية والمواطنية الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى في جيفارا الذي عيّن مديرا للمصرف المركزي وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة في فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعي، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور -وبخاصة الجيش- حتى قامت الحكومة الشيوعية التي كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثاً باسمها في الأمم المتحدة. كما قام بزيارة الاتحاد السوفيتي والصين، واختلف مع السوفييت على إثر سحب صورايخهم من كوبا بعد أن وقعت الولايات المتحدة معاهدة عدم اعتداء مع كوبا.

تولى جيفارا بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة –وعلى رأسها فيدل كاسترو– على التوالي، وأحيانا في نفس الوقت المناصب التالية: سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى، و منظم الميليشيا، و رئيس البنك المركزي، و مسئول التخطيط، و وزير الصناعة.

ومن خلال هذه المناصب قام الـ"تشي" بالتصدي بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة؛ فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو؛ فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا، وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجيا نحو الاتحاد السوفيتي. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير في كل من: تشيلي، وفيتنام، والجزائر.

وسعى جيفارا لإقامة مجموعات حرب عصابات في الكونغ ولمقاومة الاستعمار. ومع أن فكرته لم تلق صدى واسعا لدى بعض القادة، أصر جيفارا على موقفه، وتموه بملابس رجل أعمال ثري، لينطلق في رحلة طويلة سافر فيها من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.

ذهب "تشي" لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية، قائدا لـ ١٢٥ كوبيا، ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة، منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة، واختلاف المناخ واللغة، وانتهى الأمر بالـ"تشي" في أحد المستشفيات في براغ للنقاهة، وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة، لكنه بقي في زائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية) محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا، لكنه فجأة ظهر في بوليفيا قائدا لثورة جديدة، ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لفيديل كاسترو الذي لم ينقطع الإتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

لم يكن مشروع "تشي" خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير لرص صفوف الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة. منذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه العشرين، وحيداً

يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة السي آي إيه في براري بوليفيا الاستوائية. أراد جيفارا أن يمضي بعض الوقت في حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.

وقد قام "تشي" بقيادة مجموعة من المحاربين لتحقيق هذه الأهداف، وقام أثناء تلك الفترة الواقعة بين ٧ نوفمبر١٩٦٦ و٧ أكتوبر١٩٦٧ بكتابه يوميات المعركة

وفي يوم ٨ أكتوبر من عام ١٩٦٧، جاءت الأخبار المحبطة لتعلن عن مصرع ارنستو تشي جيفارا في أحراش بوليفا في معاركه الضارية وزملائه الأبطال ضد القوات البوليفية المدججة بقوات من المارينز الأميريكان، والذين طوال تسعة أشهر طوال من المعارك والكر والفر ما استطاعوا أن يقضوا عليهم وكبدهم جيفارا بخططة الداهية آلاف القتلي من الجنود البوليفيين والاميريكان، وسيطرت جماعات جيفارا على مساحات واسعة من الأحراش وتوغلوا داخل القرى المحيطة بالأحراش حيث كانت في كل مرة تزداد أعداد الثوار المنضوين لهم الذين أنهكوا الحكومة وأجهدوا القوات المسلحة البوليفية كثيراً. وماكان يخطر ببال جيفارا وهو المحنك في الحروب ويعرف تماماً متى يهاجم ومتي ينسحب ومتي تهدأ اصوات بنادقة وأن يجيء مصرعه بيد اقرب أصدقائه القدامى.

وخيانة أقرب الأصدقاء ليست جديدة في التاريخ ولن يكون مصرعه حاله نادرة في التاريخ، فقيصر روما وقبل الميلاد قتله أقرب اصدقائه بروتس، ودخلت آخر كلمات القيصر وقبل موته التاريخ حيث قال لقاتله وقبل أن يهوي على الأرض من طعنة الخنجر " حتى أنت يابروتس!!!".

قتل جيفارا في بوليفيا أثناء محاولة لتنظيم ثورة على الحكومة هناك، وتمت عملية القبض عليه بالتنسيق مع المخابرات الأمريكية حيث قامت القوات البوليفية بقتله. وقد شبَّت أزمة بعد عملية اغتياله وسميت بأزمة "كلمات جيفارا" أي مذكراته بعد أن حوله قاتلوه وأسيادهم الأمريكيون إلى أسطورة دفعوا و لا يزالون يدفعون ثمنها .

ولا أدل على ذلك من أن معظم أنظمة الحكم في أمريكا اللاتينية الآن تسير على نهج جيفارا، بل أنه كان رغم موته منذ سنوات طويلة هو الدافع لرؤساء هذه الأنظمة في الانعتاق من عبودية بلادهم للعم سام الأمريكي !!

وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام وصار جيفارا رمزا من رموز الثوار على الظلم. نشر فليكس رودريجيس، العميل السابق لجهاز المخابرات الأميركية (CIA) عن إعدام تشي جيفارا. وتمثل هذه الصور آخر لحظات حياة هذا الثوري الأرجنتيني قبل إعدامه بالرصاص بـ"لا هيغويرا" في غابة "فالي غراندي" ببوليفيا، في ٩ أكتوبرمن عام ١٩٦٧.

وتظهر الصور كيفية أسر تشي جيفارا، واستلقائه على الأرض، وعيناه شبه المغلقتين ووجهه المورم والأرض الملطخة بدمه بعد إعدامه. كما تنهي الصور كل الإشاعات حول مقتل تشي جيفارا أثناء معارك طاحنة مع الجيش البوليفي.

وقبيل عدة شهور، كشف فليكس رودريجيس النقاب عن أن أيدي تشي جيفارا بُترت من أجل التعرُّف على بصمات أيديه.

و قد ألقي القبض على اثنين من الثوار، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار. فبدأت حينها مطاردة لشخص واحد. بقيت السي آي إيه على رأس جهود الجيش البوليفي طوال الحملة، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثا عن أربعين رجلا ضعيفا وجائعا.

في يوم ٨ أكتوبر١٩٦٧ وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً، وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة وهو شيء نادر الحدوث في حرب العصابات في منطقة صخرية وعرة، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل. وقد استمر "تشي" في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه إلى أن دُمّرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو مايفسر وقوعه في

الأسر حيًّا. نُقل "تشي" إلى قرية "لاهيجيرا"، وبقي حيًّا لمدة ٢٤ ساعة، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه.

وفي مدرسة القرية نفذ ضابط الصف "ماريو تيران" تعليمات ضابطيه: "ميجيل أيوروا" و"أندريس سيلنيش" بإطلاق النار على "تشي".

دخل ماريو عليه متردداً فقال له "تشي": أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل"، لكنه تراجع، ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره، إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصه من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهى حياته.

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لأخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

ومن أقوال جيفارا الخالدة التي لا يزال حكام دول أمريكا اللاتينية يرددونها في خطبهم :

- إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني.

- الثورة قوية كالفولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالسنديان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن.

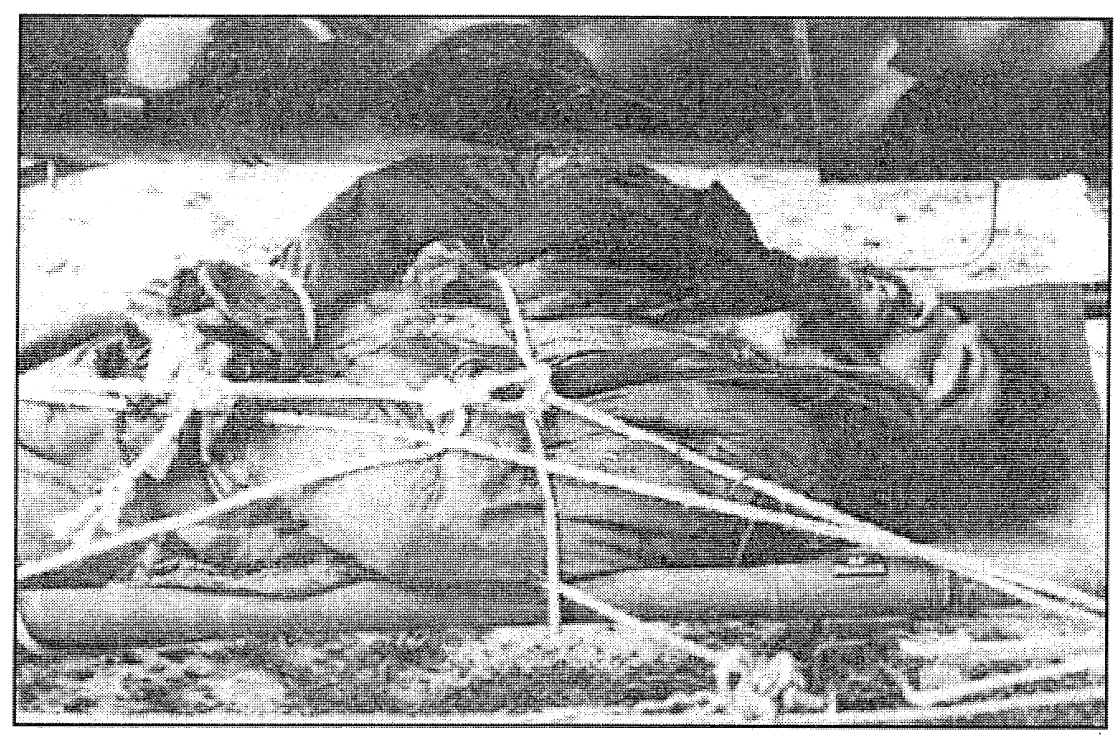
- لا يهمني أين ومتى سأموت بقدر ما يهمني أن يبقى الوطن.

- الثوار يملئون العالم ضجيجاً كي لا ينام العالم بثقله على أجساد الفقراء.

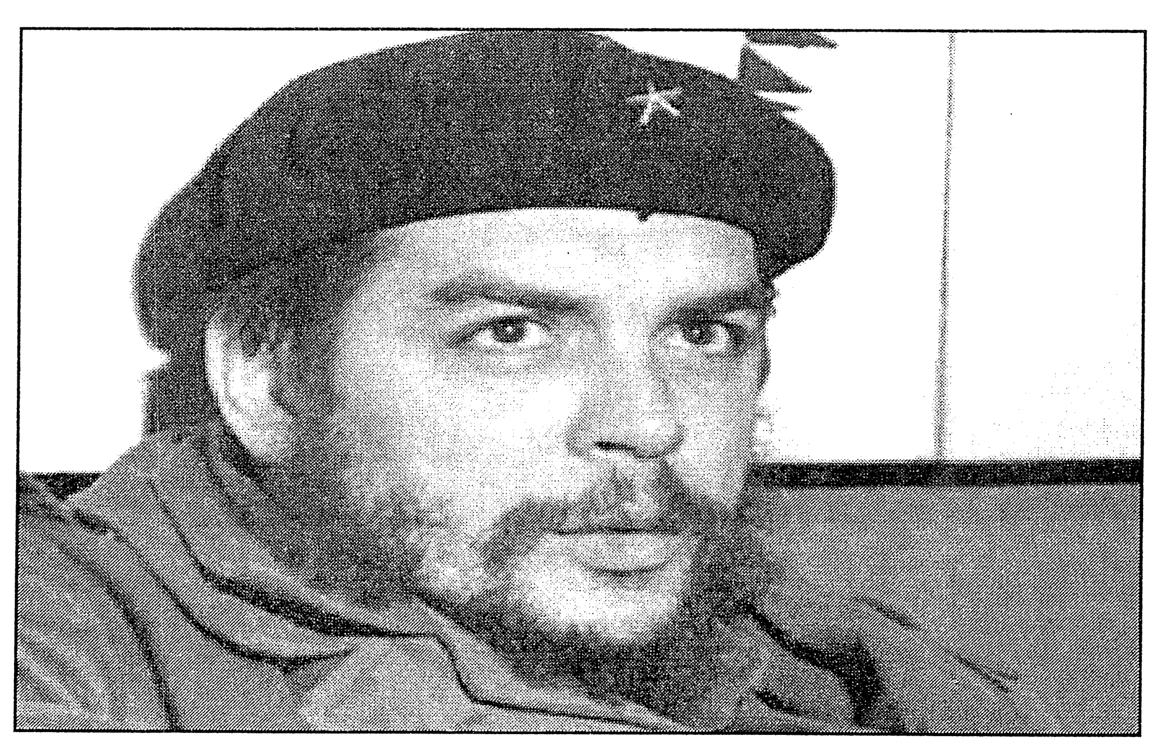
- إن الطريق مظلم وحالك، فإذا لم تحترق أنت وأنا فمن سينير الطريق.

- لن يكون لدينا ما نحيا من أجله .. إن لم نكن على استعداد أن نموت من أجله.

وهكذا وبعد أكثر من ٤٠ عاما على اغتياله، لا تزال حرب جيفارا - نصير الفقراء وقائدهم و شهيدهم، رمز التمرد على وحشية الظلم و الاستغلال - على الأمريكيين مستمرة، وحرب الإمبرياليين على تشي غيفارا الصورة والرمز والشعلة، القضية والثورة أيضًا مستمرة !!

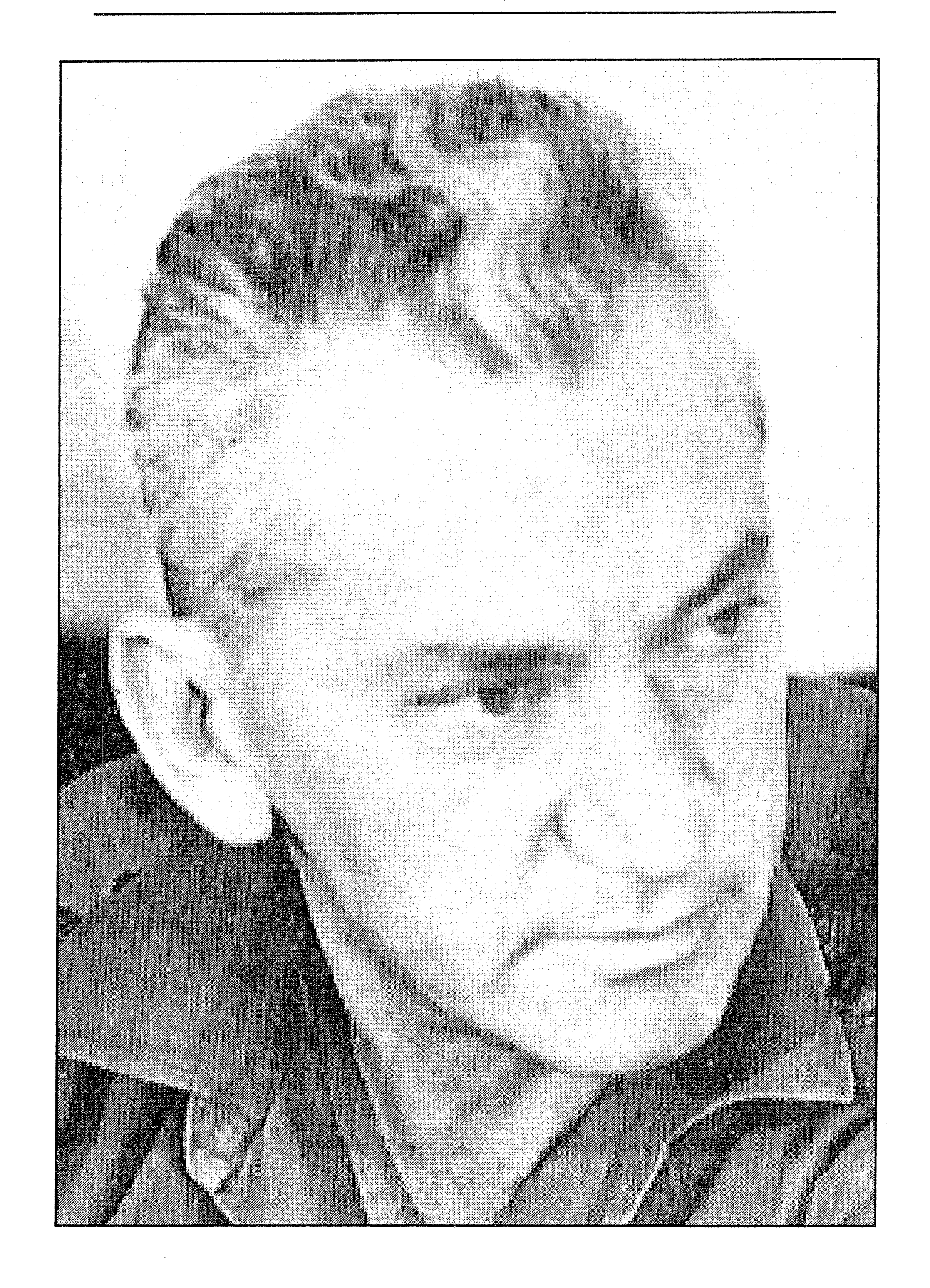


هكذا عثر على جثة المناضل الثوري جيفارا .. رحل الرجل و بقيت الأسطورة ليدفع الأمريكيون ثمن إقدامهم على هذه الجريمة النكراء حتى يومنا هذا .



جيفارا أصبح كلمة السر لكل من يريد التخلص من الهيمنة الأمريكية على بلاده !!

٥- حاييم بارليف ..لم يتعلم الدرس من ماجينو !!



يوما ما كانت عاصفة الشر الهتلرية تعصف بأوروبا وتتقدم زاحفة باتجاه التخوم الفرنسية ويومها بنت فرنسا سدها الذي لا يقهر الذي التصق باسم وزير الدفاع آنذاك " ماجينو " .. واحتشد الحلم الفرنسي وراء خط " ماجينو " ليحمي فرنسا لأيام وشهور وربما لسنوات بما ارتكز عليه من قدرات لوجستية ومصادر قوة.

لكن الزمان دار دورته القاسية وألقى كل تحصينات " ماجينو " في متاحف التاريخ، عندما التف الألمان حول فرنسا من جهة بلجيكا وهولندا عابرين نهر اللوار مندفعين نحو باريس محققين الفصل الكامل بين الجيوش الفرنسية لتتكبد فرنسا في الحرب كلها قرابة ثلاثة ملايين ما بين قتيل وجريح وأسير وملايين عدة أخرى من اللاجئين والمشردين.

ربما كان درس "ماجينو "هو الدرس الذي لم يتعلمه الإسرائيليون، وفي مقدمتهم حاييم بارليف، الذي تصور أن خطه الذي يحمل اسمه، هو خط فولاذي لا يمكن اختراقه، وسط ضجة من الحملات الدعائية حول تلقين المصريين دروسا لن ينسوها إذا حاولوا مهاجمة خطه الحصين .. و لكن كما سقط خط ماجينو، سقط خط بارليف !!

والحقيقة أن لا ماجينو و لا بارليف تعلما من دروس التاريخ، فقد عُني الإغريق والرومان منذ زمن بعيد بالتحصينات عناية كبيرة، كما برعوا في استخدام الأسلحة لضرب التحصينات ويعد سور الصين العظيم من أشهر التحصينات في التاريخ القديم، والذي يبلغ طوله (٢٢٤٠) كيلو متراً، وسمكه خمسة أمتار، ومع ذلك لم تمنع ضخامته غزو الصين من قبل الجيوش الكبيرة.

وجاء خطا "ماجينو" الفرنسي "وبارليف" الإسرائيلي كترجمة لعقيدة عسكرية قديمة تؤمن بأن خطوط الدفاع الثابتة هي الوسيلة المثلى لحماية حدود البلاد وصد الهجمات دون خسائر كبيرة في الأرواح، وردع الخصوم حتى من مجرد التفكير في الهجوم أو الإغارة. وسنتناول هنا هذين الخطين الذين اعتمدا هذه الفلسفة والتي ثبت فشلها أمام الاستراتيجيات المتغيرة.

فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، اعتمدت فرنسا استراتيجية دفاعية سلبية بإنشائها خط " ماجينو"، الذي يعد نموذجاً للتحصينات الدفاعية الثابتة، إيماناً من القادة العسكريين بمقدرة هذا الخط على وقف تقدم القوات الألمانية وإنهاكها مما يسهل توجيه ضربات مضادة إليها وسحقها .

وجدير بالذكر أنه خلال الحرب العالمية الثانية تباينت العقائد العسكرية للدول الكبرى، فبينما رأت العقيدة الروسية أن الهدف من إقامة التحصينات هو إجبار القوات المهاجمة على الدخول من اتجاهات معينة ومختارة حيث يمكن تدميرها، اعتمدت فرنسا نظرية دفاعية اعتمدت على التحصينات الثابتة التي توفر الحماية للمقاتلين، واتبعت ألمانيا عقيدة الحرب الخاطفة في إطار استراتيجية هجومية تعتمد على ثنائي الطائرة والدبابة في تعاون وثيق بينهما.

وبالنسبة لأسباب إنشاء خط " ماجينو"، سنجد أنه بعد عام ١٩١٨ وانتصار فرنسا، بدأت الدراسات حول ما يجنب فرنسا أي عدوان مرتقب، خصوصًا على الحدود الشمالية الشرقية مع ألمانيا، وتحديدًا في منطقتي الألزاس واللورين، وبعد دراسة للاستراتيجية الألمانية التي تبنّت نظرية الحرب الخاطفة، ونتيجة للتأثر بحمامات الدم التي شهدتها فرنسا بين عامي ١٩١٤م، ١٩١٨ والتي أصابت الرأي العام الفرنسي بالحساسية لفقد ملايين الأرواح، وبعد أن امتلأ ذهن القادة الفرنسيين بأفكار سقيمة عن قلة المواليد في فرنسا وعدم التناسب بين عدد الفرنسيين وعدد الألمان، قام وزير الحربية الفرنسي "أندريه ماجينو" (١٨٧٧م- ١٩٣٢) بإقناع البرلمان الفرنسي بفكرته التي تقضي بناء خط

حصين لا يمكن اختراقه لتعويض النقص البشري وحماية الآلاف من أرواح الجنود الفرنسيين، وعلاوة على إتاحة الفرصة أمام القوات الفرنسية - في حالة وقوع هجمات - لاتخاذ الأوضاع المناسبة أمام جحافل التشكيلات الألمانية المهاجمة .

وقد صوّت مجلس الشيوخ الفرنسي على ما يسمى ب "قانون ماجينو"، وتم تخصيص مبلغ ٢,٩ مليار فرنك فرنسي لتشييد الحصون التي تم بناؤها على طول الحدود الألمانية والإيطالية في الفترة بين عامي ١٩٢٩م و١٩٤٠م، وبذلك تم تخصيص الجزء الأكبر من ميزانية الدفاع الفرنسية لإنشاء الدفاعات الحصينة على طول الحدود، وبخاصة المواجهة لألمانيا، والتي امتدت من سويسرا شمالاً إلى البحر المتوسط جنوباً. ووضعت فرنسا آمالها في هذا الخط الذي سيحصد أكبر عدد من الألمان، معتقدةً أن الأمر سيقف عند حد التحام فرق المشاة الألمانية بفرق المشاة الفرنسية المتفوقة عددياً. أما الدبابات والطائرات فكانت القيادة الفرنسية ترى أنها ثانوية، ومن هنا لم يتدبروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه إذا ما تم اختراق هذا الخط.

ومن الأهداف الرئيسة لإنشاء هذا الخط تحقيق الدفاع عن الحدود الفرنسية بأقل حجم من القوات بالتعاون بين المشاة ومدفعية الحصون وعناصر الاستطلاع.

وبالنسبة لتحصينات الخط فقد تمثلت في :

- روعي عند تصميم الدشم إمكانية تحملها للإصابات المباشرة دون أن تدمر، حتى وصل سمك الحوائط الخرسانية المسلحة للدشمة ثلاثة أمتار ونصف المتر، وبهذا تستطيع تلقي ثلاث قذائف في وقت واحد، مع الاستفادة من ناتج الحفر، بحيث لا يقل سمكه فوق التحصينات والملاجئ عن (٢٠) متراً، كما روعي عند اختيار مواقع الدشم والتحصينات الاستفادة الكاملة من طبيعة الأرض بما يحقق توافر مجالات جيدة للمراقبة وتوجيه النيران، مع الاستفادة من السواتر الطبيعية حتى تكون المدافع المضادة للدبابات محمية بالنيران، وتشرف على مناطق قتل جيدة للدبابات المعادية.

- أنشئت أعلى الدشم أبراج مدرعة للمدافع الرشاشة، كما زُوِّدت كل دشمة بمولِّد كهربائي وخنادق تحت الأرض، وأحيطت بنطاقات من قضبان السكك الحديدية والأسلاك الشائكة.

- أنشئت بجانب الدشم والتحصينات مستودعات ومخازن وأماكن لإيواء قوات الخدمة العاملة والاحتياط، وميادين للرماية، وورش، وشبكة مواصلات داخل الأنفاق لربط النقاط الحصنية ببعضها، وتم تخزين كميات من الوقود والمياه والذخائر والأطعمة تكفي لثلاثة أشهر من القتال.

روعي عند تسليح نقاط الخط أن تتوافق الأسلحة مع الهدف الذي صنعت من أجله ومع أماكنها المختارة في التحصينات، وكان أهم الأسلحة المدفع الرشاش "رابيل" الذي يطلق (٥٠٠) طلقة في الدقيقة، ويبلغ مداه (٢٤٠٠) مترٍ، ومدافع مضادة للدبابات من عيار (٣٧، ٤٧) ملليمتر، ويصل مداها إلى (٨٠٠) مترٍ، علاوة على مدافع الهاون والهاوتزر من الأعيرة المختلفة.

وجاء السقوط الدرامي للخط مدويًا .فعند اندلاع الحرب العالمية الثانية كانت فرنسا مستعدة إلى درجة كبيرة لملاقاة ألمانيا، فهي تملك القوات والعتاد وخط (ماجينو) الحصين على طول حدودها مع ألمانيا، لكنها تفتقد الروح القتالية التي ملأت جوانبها عام ١٩١٤م، واكتفت بأن تتوارى وراء خطها المنيع الذي وثقت فيه ثقة تصل إلى حد العقيدة الدينية ووفرت له أكفأ قوادها وضباطها .

وما أن حل السابع عشر من يونيو ١٩٤٠م حتى تمكنت القوات الألمانية من التوغل داخل الأراضي الفرنسية، بعد أن قامت فرق البانزر الألمانية بتجنب دفاعات خط "ماجينو" والتفت حوله وحولت الهجوم من اتجاه الشمال الغربي، حيث كانت القوات الألمانية على علم بأن امتداد هذا الخط على الحدود البلجيكية وحتى بحر الشمال لا يتمتع بالكفاءة نفسها لبقية الخط، وتم تدمير الجيش الفرنسي تدميراً كاملاً، واستسلمت القوات الفرنسية أمام الألمان في منتصف ليل ٢٥ يونيو ١٩٤٠م

باستثناء قوات خط "ماجينو" التي رفضت الاستسلام حتى بداية شهر يوليو، ولكنها استسلمت في النهاية وإن تعللت بأن استسلامها ليس بسبب الاكتساح الألماني، وإنما بسبب الإنذار الذي وجهته لهم الحكومه الفرنسية.

وجاءت هزيمة فرنسا نتيجة حتمية لجيش يتبع استراتيجية بالية تعتمد على القتال في ميدان ثابت أمام جيش يتبع أساليب ميكانيكية حديثة تعتمد على التعاون الوثيق بين الطائرة والدبابة، إضافة إلى أن خط "ماجينو" لم يكن يمتد بطول الحدود الفرنسية، بل كان يتوقف عن الحدود البلجيكية التي رفضت حكومتها امتداد الخط شمالاً لاتجاه أراضيها، مما جعل (هتلر) يوجه ضربته في هذا الاتجاه.

لم تُمكّن حصون الخط القوات الفرنسية من تطبيق مبدأ خفة الحركة والقدرة على المناورة، كما أنها لم تصمد تماماً أمام ضربات الألمان الجوية.

لقد تفوق الألمان في السرعة وقوة النيران حيث كان لها جيشان، جيش قوامه المشاة والمدفعية، والآخر قوامه الدبابات والطيران، وكلاهما يعمل في إطار خطة موحدة تتسم بالمرونة وسرعة التوسع في القيام بحركات الالتفاف والتطويق، وبذلك تمكنوا من تفادي حصون خط "ماجينو" وتحركوا في الأراضي المفتوحة التي تمنح القوات المدرعة والمشاة سرعة الحركة بالتعاون مع سلاح الجو الألماني المتفوق، ودخلت القوات الألمانية فرنسا من الباب الشمالي الشرقي دون أن يؤدي خط "ماجينو" مهمة قتالية تذكر رغم تحصيناته الدفاعية الهائلة.

ولقد انقسم الخبراء في تقييمهم لهذا الخط إلى فريقين، فبينما رأى أغلبهم فيه عملا فاشلا لأنه لم ينجح في تجنيب فرنسا شر الهزيمة المخزية عام ١٩٤٠، رأى البعض أنه ليس السبب الرئيسي في الهزيمة، ويكفي أنه حقق الغرض الأساسي من إنشائه ألا وهو صد أي هجوم ألماني متوقع على الجبهة الشرقية، ومكن الجيش الفرنسي من الحركة والانتشار، ولو أنه أحسن استغلاله لأدى ذلك إلى تعويض النقص في القوة البشرية الفرنسية، ولكن السبب الرئيسي في الهزيمة يرجع إلى

اتباع أسلوب ماجينو في الدفاعات الثابتة وعدم استيعاب القادة الفرنسيين لأساليب الحرب الحديثة في معارك الدبابات والطيران، فبينما كان الفرنسيون يتخندقون داخل الخط، كان "هتلر" مستغرقا في بناء الغواصات والقاذفات.

وفي عام ١٩٤٤ أصبح الخط أثرا بعد عين واستخدمه الألمان كمخازن، وتم تحديث بعض مواقعه خلال الخمسينيات والستينيات حتى تولى "ديجول" الحكم واعتمد على القوة النووية لحماية فرنسا، فعاد الخط مهجورا، وبيعت بعض نقاطه للجمهور بالمزاد أو اتخذت كمزارع لعيش الغراب أو كمزارات سياحية.

أما بالنسبة لخط بارليف، فقد كان تركيز الإسرائيليين بعد نكسة ٦٧ منصباً على منع أي اختراق يحدث لدفاعات الخط الأمامي، لأنه إذا حدث ذلك فإنه يعني سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية القائمة على الحدود، ومن هنا شرعت إسرائيل في تشييد خط دفاعي آمن ومحصن وثابت بمحاذاة قناة السويس تطبيقاً لخطوط الدفاع الثابتة.

وتبنَّى هذه الفكرة (حاييم بارليف) رئيس الأركان آنذاك، والذي سمي الخط باسمه، ولم يكن الهدف من إنشاء خط "بارليف" عسكرياً فقط، بل كان نفسياً أيضاً، حيث أوجد آثاراً نفسية عميقة من الثقة المفرطة لدى الإسرائيليين، فكان تجسيداً عملياً لمدى ثقتهم بالذات، والتي وصلت إلى حد الغرور الأعمى والغطرسة الكاذبة بعد أن اطمأنوا إلى قوة وحصانة دفاعاتهم وقدرتهم على سحق أي هجوم مصري عبر قناة السويس، بينما كان شعور المصريين إزاء هذا الخط خليطاً من المذلة والتحدي باعثاً على حلول يوم الخلاص بفارغ الصبر.

كان خط بارليف وهو أقوى خط دفاعي في التاريخ الحديث يبدأ من قناة السويس وحتى عمق ١٢ كم داخل شبه جزيرة سيناء على امتداد الضفة الشرقية للقناة وهو من خطين: يتكون من تجهيزات هندسية ومرابض للدبابات والمدفعية وتحتله احتياطيات من المدرعات ووحدات مدفعية ميكانيكية، بطول ١٧٠ كم على طول قناة السويس.

بعد عام ١٩٦٧ قامت إسرائيل ببناء خط بارليف، والذي اقترحه حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلي في الفترة ما بعد حرب ١٩٦٧ من أجل تأمين الجيش الإسرائيلي المحتل لشبه جزيرة سيناء.

ضم خط بارليف ٢٢ موقعا دفاعيا، ٢٦ نقطة حصينة، و تم تحصين مبانيها بالأسمنت المسلح والكتل الخرسانية و قضبان السكك الحديدية للوقاية ضد كل أعمال القصف، كما كانت كل نقطة تضم ٢٦ دشمة للرشاشات، ٢٤ملجأ للأفراد بالإضافة إلى مجموعة من الدشم الخاصة بالأسلحة المضادة للدبابات ومرابض للدبابات والهاونات ،و ١٥ نطاقا من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام وكل نقطة حصينة عبارة عن منشأة هندسية معقدة وتتكون من عدة طوابق وتغوص في باطن الأرض ومساحتها تبلغ ٤٠٠٠ متر مربع وزودت كل نقطة بعدد من الملاجئ والدشم التي تتحمل القصف الجوي وضرب المدفعية الثقيلة، وكل دشمة لها عدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات، وتتصل الدشم ببعضها البعض عن طريق خنادق عميقة، وكل نقطة مجهزة بما يمكنها من تحقيق الدفاع الدائري إذا ما سقط أي جزء من الأجزاء المجاورة، ويتصل كل موقع بالمواقع الأخرى سلكيا ولاسلكيا بالإضافة إلى اتصاله بالقيادات المحلية مع ربط الخطوط التليفونية بشبكة الخطوط المدنية في إسرائيل ليستطيع الجندي الإسرائيلي في خط بارليف محادثة منزله في إسرائيل .

تميز خط برليف بساتر ترابى ذى ارتفاع كبير (من ٢٠ إلى ٢٢ مترا) وانحدار بزاوية ٤٥درجة على الجانب المواجه للقناة، كما تميز بوجود ٢٠ نقطة حصينة تسمى دشم على مسافات تتراوح من ١٠ إلى ١٢ كم وفي كل نقطة حوالي ١٥ جنديا تنحصر مسؤليتهم على الإبلاغ عن أي محاولة لعبور القناة وتوجيه المدفعية إلى مكان القوات التي تحاول العبور. كما كانت عليه مصاطب ثابتة للدبابات، بحيث تكون لها نقاط ثابتة للقصف في حالة استدعائها في حالات الطوارئ.

كما كان في قاعدته أنابيب تصب في قناة السويس لإشعال سطح القناة بالنابالم في حال محاولة القوات العبور، ولكن قبل العبور قامت الضفادع البشرية وهي قوات بحرية خاصة بسد تلك الأنابيت تمهيداً لعبور القوات في اليوم التالي.

روجت إسرائيل طويلا لهذا الخط على أنه مستحيل العبور وأنه يسطيع إبادة الجيش المصري إذا ما حاول عبور قناة السويس، كما ادعت أنه أقوى من خط ماجينو الذي بناه الفرنسيون في الحرب العالمية.

تمكن الجيش المصري في يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ من عبور قناة السويس واختراق الساتر الترابي في ٨١ مكانا مختلفا وإزالة ٣ ملايين متر مكعب من التراب عن طريق استخدام مضخات مياه ذات ضغط عال، قامت بشرائها وزارة الزراعة للتمويه السياسي ومن ثم تم الاستيلاء على أغلب نقاطه الحصينة بخسائر محدودة ومن ال ٤٤١ عسكريا إسرائيليا قتل ١٢٦ و أسر ١٦١ و لم تصمد إلا نقطة واحدة هي نقطة بودابست في أقصي الشمال في مواجهة بورسعيد. وقد بلغت تكاليف خط بارليف ٥٠٠ مليون دولار في ذلك الوقت .

وقد مرَّ إنشاء خط "بارليف" بعدة مراحل انتهت بأن تحولت تحصيناته إلى منشآت هندسية مزودة بكافه وسائل الإعاشة والإقامة والقتال، وانتشرت مواقع الخط الحصينة على طول خط المواجهة التي تبلغ (١١٠) كيلو مترات، وتمتد من رأس خليج السويس حتى مشارف البحر المتوسط، وبلغ عدد مواقعه الدفاعية (٢٢) موقعاً تضم أكثرمن ثلاثين نقطة حصينة، تسيطر على المواجهة من الخلف والأجناب لتغطي كل الجهات التي تصلح لعبور القناة، وتسمح بتقدم القوات في سيناء، وفي الفواصل بين هذه النقاط جهزت مرابض الدبابات التي تبلغ عددهها (٣٠٠) مربض.

كانت كل منشأة هندسية تتكون من أكثر من طابق واحد تبدأ من باطن الأرض حتى تعلو قمة الساتر الترابي، وحصنت مبانيها بالإسمنت المسلح والكتل الخرسانية

أو قضبان السكك الحديدية أو الرمال والأتربة، بحيث توفر الوقاية الكاملة من الإصابات المباشرة لجميع أنواع قذائف المدفعية وقنابل الطائرات التي تزيد على ألف رطل، كما زودت بخزانات الوقود والمواد الملتهبة وأحواض النابالم بحيث يتدفق منها الوقود خلال أنابيب خاصة إلى سطح مياه قناة السويس، وبإشعالها تُحوِّل القناة إلى سطح هائل من اللهب تصل حرارته إلى (٧٠٠) درجة مئوية، كما زودت كل نقطة بمخزون يحقق اكتفاءً ذاتياً، وكانت الرؤية داخل الخط تتم من خلال جيروسكوبات أشبه بما يستخدم في الغواصات لتتمكن من الدفاع الدائري من كل اتجاه.

أما تسليح النقطة الواحدة فكان يكفيها لصد قوة تقدر بكتيبة مشاه لمدة أسبوع، فإذا كانت نقاط الخط تزيد على الثلاثين، فإن مجموعها كان قادراً على صد هجمات أكثر من ثلاثين كتيبة مشاة في وقت واحد.

أضف إلى ذلك تواجد مئات الدبابات المعدة لاحتلال مرابضها فوق الساتر الترابي بخلاف ما هو موجود في العمق من احتياطيات مدرعة، ويحيط بالجميع نطاق كثيف من الخوازيق الحديدية والأسلاك الشائكة وحقول الألغام الغزيرة، بما في ذلك المثبتة في مياه الضفة الشرقية للقناة.

هذا الخط كامل التحصين الذي جعلت منه قناة السويس حالة فريدة في التاريخ العسكري، لذلك كانت عملية اختراقه - كجزء من العملية الهجومية لقناة السويس- مثالاً فذّاً لأسلوب اقتحام الموانع المائية والمحصنة في آنٍ واحد.

وجاء السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م لتتم المواجهة المباشرة وجهاً لوجه على طول امتداد الجبهة وليس بالالتفاف حول الخط، وهو ما كان العدو يستبعده تماماً كما أن السقوط جاء على يد جحافل المشاه بالدرجة الأولى، لأن تحصيناته كانت تستعصي على المدفعية الثقيلة، وكانت الأسلحة الأخرى عوامل مساعدة، فكان التمهيد النيراني بحوالي (٤٠٠٠) مدفع هاون، وكانت الضربة الجوية المركزة بحوالي (٢٢٠) طائرة.

لقد كانت ملحمه اكتساح خط "بارليف" في جوهرها صراعاً بين الشجاعة والمناعة، شجاعة المقاتل البحتة، ومناعه الأبراج المشيدة، مثلما كانت مواجهة بين فلسفة الخطوط الزاحفة المتحركة ونظرية الخطوط المحصنة الثابتة.

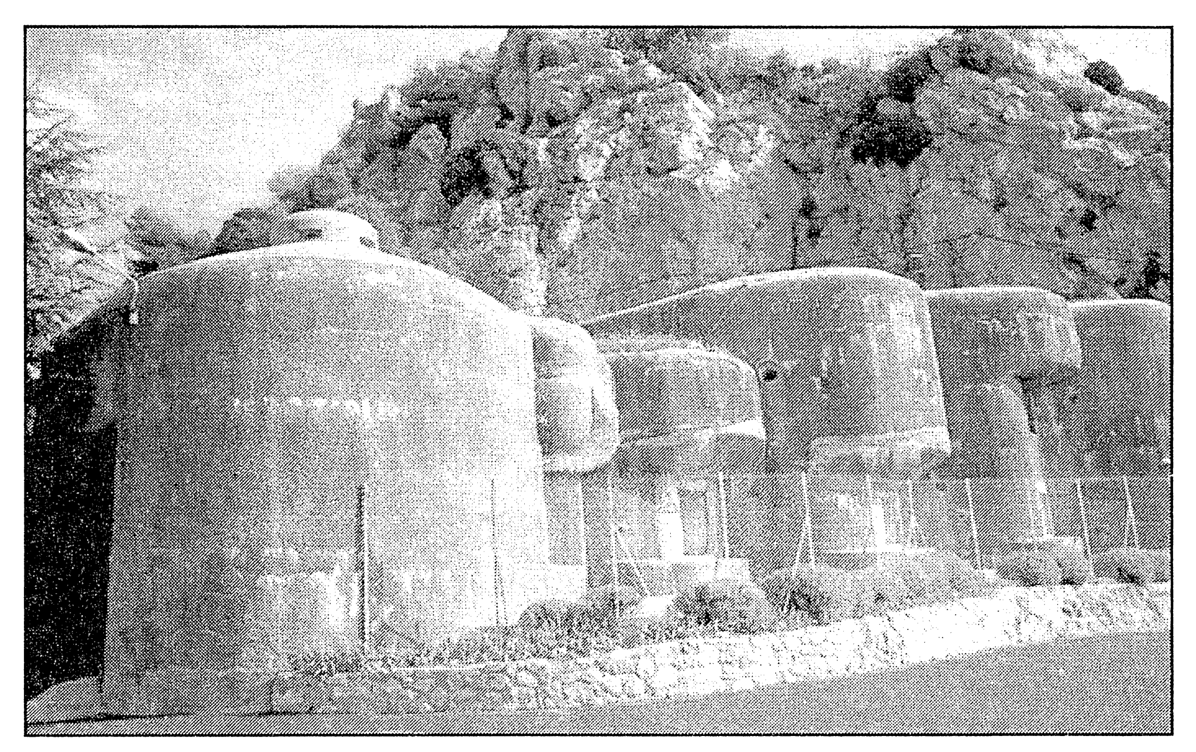
وقد أثبت اقتحام وسقوط خط "بارليف" صحة قول الجنرال (بوفر): "إن الدفاع مهما كان حصيناً كقلاع خط "بارليف" سوف يبقى عرضة للاختراق والتدمير ما دامت القوات المهاجمة من القوة والكثافة والتنظيم بالقدر الذي يضمن لها الغلبة" .

وثبت أن الخطط العسكرية الإسرائيلية التي اعتمدت على خطوط ثابتة محصنة على قناة السويس إنما اعتمدت على فكرة بالية من الناحية العسكرية، لم يعد يأخذ بها الاستراتيجيون منذ الحرب العالمية الثانية .

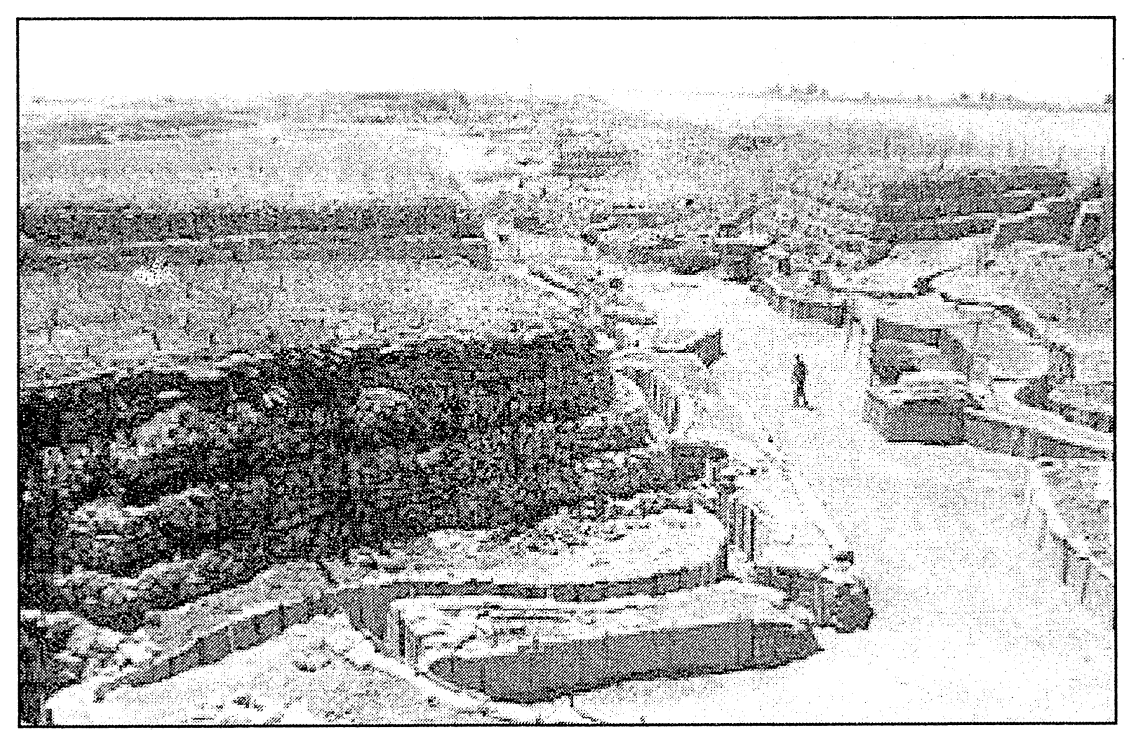
وكانت الصدمة مذهلة للسقوط المفاجئ لهذا الصرح الهائل، وجاءت تصريحات القادة الإسرائيليين بعد الحرب مناقضة تماماً لتصريحاتهم قبلها، وكثرت الاتهامات المتبادلة بين قادة إسرائيل، كلٌّ يريد أن يبرئ نفسه ويجد المبرر لحدوث هذا الانهيار السريع والمفاجئ للخط الدفاعي الأسطورة على يد المصريين، ونسي "بارليف" أو تناسى تصريحه عقب إتمام الخط الذي قال فيه : "إن المصريين لا يعرفون أي جحيم سوف ينصب عليهم بمجرد أن يضعوا أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة !!" أما رئيسة وزرائهم " جولدا مائير " فتناست قولها قبل الحرب :"إن أي تصور يسمح إزاء ما نملكه من تحصينات بعبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية للقناة يعتبر إهانه للذكاء!!"

وهكذا أصبح خط "ماجينو" أثراً بعد عين، واستخدمه الألمان كمخازن، وبعد تولي (شارل ديجول) حكم فرنسا أصبح الخط مهجوراً، وبيعت بعض نقاطه للجمهور في المزاد، أو اتخذت كمزارع لعش الغراب، أو كمزارت سياحية!!

أما خط "بارليف" فقد زال إلى الأبد من على وجه الأرض، وهو الخط الذي ظنت إسرائيل أنه سيغيِّر وجه التاريخ، فدخل هو التاريخ من باب الحفريات وأثريات المتاحف الحربية، ومن الطريف أن مخلفات حطامه تحولت فيما بعد إلى مادة خام في أيدي القوات المصرية استغلتها في إقامة قواعدها ومواقعها الجديدة، بعد أن دمر المصريون في ست ساعات ما شيده الإسرائيليون في ست سنوات !!

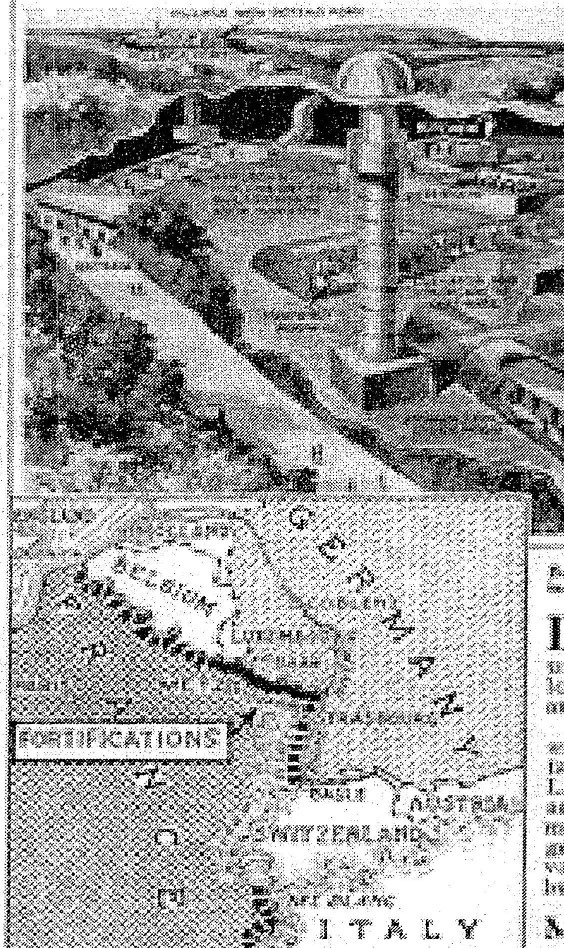


خط ماجينو



خط بارليف

World's Greatest Underground Fortifications Guard France



[illegible]

INVISIBLE and sunk beneath the rolling and wooded terrain in Lorraine is a great underground fortification system, 200 miles long, guarding France's vital industrial area.

The forts, which cost 150 million dollars, are the greatest in the world and defy attack by gas, infantry, artillery, or air bombs. Living quarters, magazines, power stations, and control stations are out of reach of all means of attack. Bulkheads in the underground passages shut out both gas and invaders and armored posts at various points bring additional protection.

[illegible]

German Rises Six Miles in Rocket

IN HISTORY'S first successful rocket flight, Otto Fischer, brother of the inventor of the rocket plane, was shot 32,000 feet into the air in a shining 24-foot steel projectile.

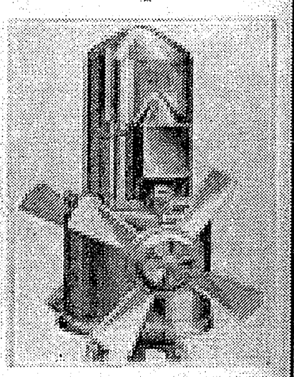
With a blinding flash the rocket ship shot out of its steel framework and disappeared into the sky. It reappeared a few minutes later, dangling from a parachute, its pilot maneuvering to land on the little island of Rugen in the Baltic Sea, where the flight started.

The pilot was quoted as saying, "I left the ground in a deafening roar and lost consciousness for a moment. When I came to my senses the altimeter was flickering at 32,000 feet. It began to drop rapidly. I pulled the parachute release ring."

Moisture Fan Bests Tropic Heat

NEW air conditioning fans, tiny but wonderfully efficient, are being installed in every French government office in the tropics.

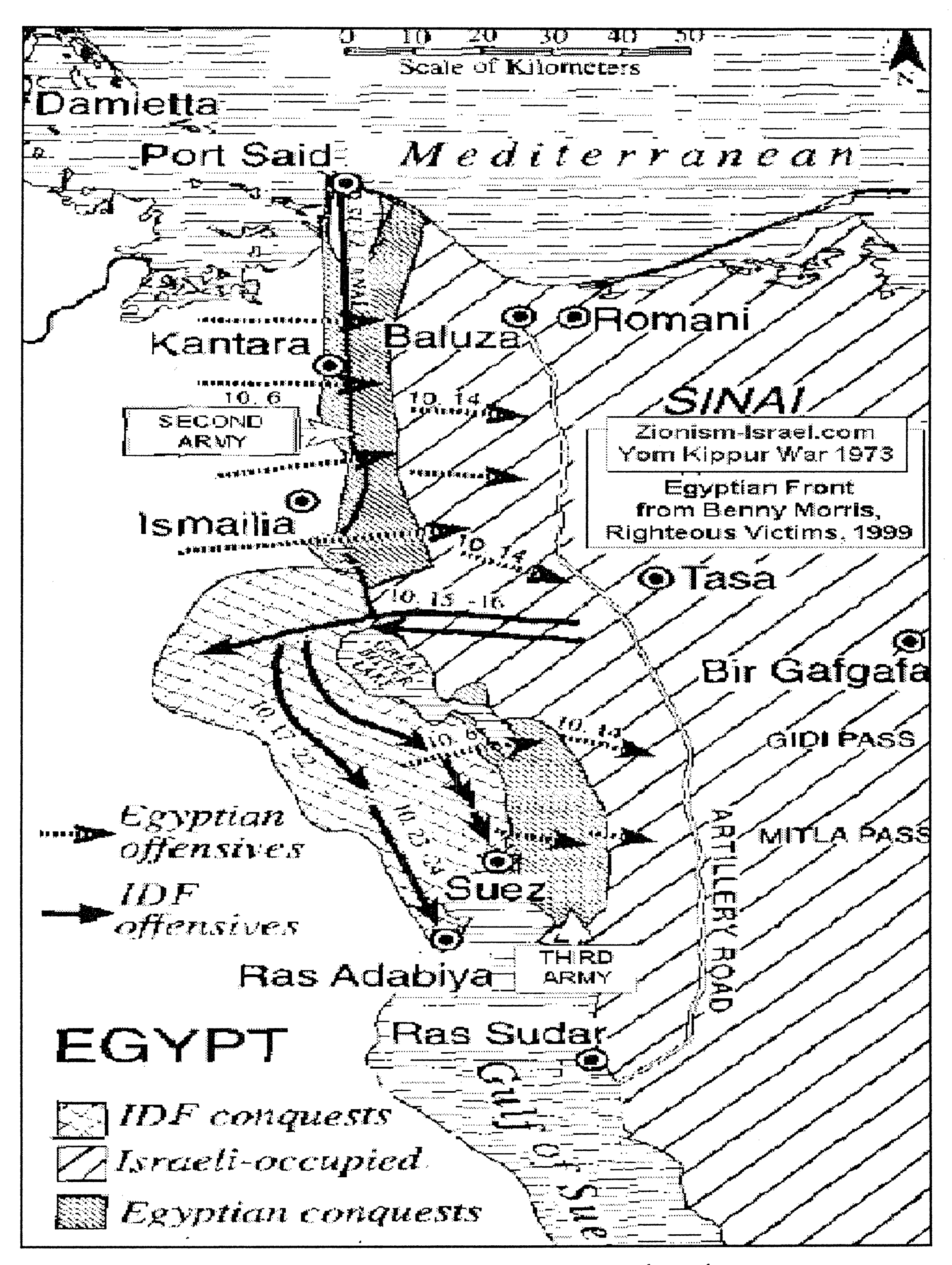
A drum filled with ice water or other liquid revolves inside the unit, throwing liquid out through short capillary tubes into blades of two fans turning at 4000 r.p.m. Large halls can be cooled and humidified in 10 min.



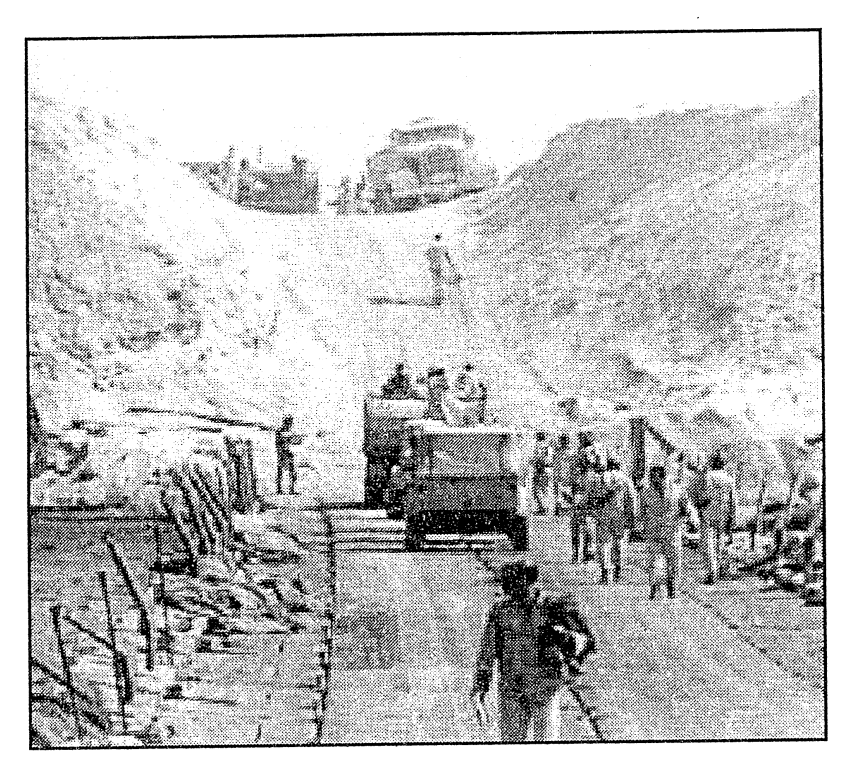
[illegible]

54 Modern Mechanix and

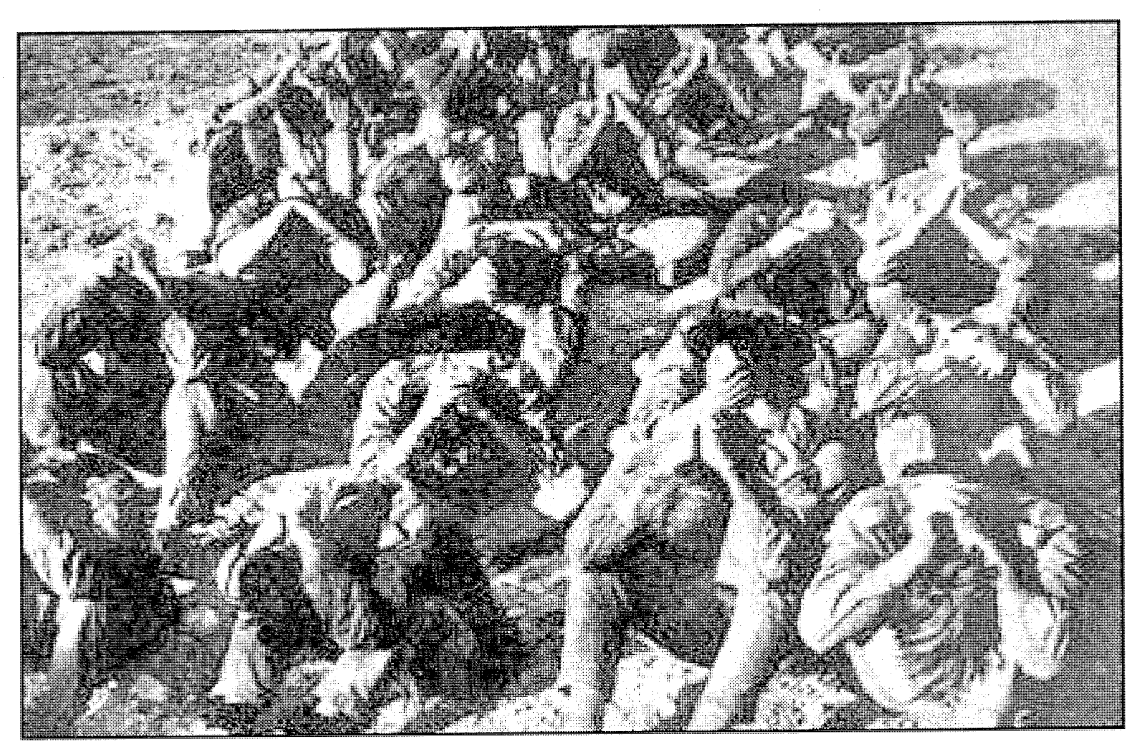
خط أندريه ماجينو الذي يحمل اسمه و ينتمي لفصيلة " الحصون الثابتة " فشل كما فشل خط بارليف من بعده أمام الاستراتيجيات العسكرية المتغيرة !!



خط حاييم بارليف أثبت أن غرور و صلف صاحبه حاييم بارليف و رفاقه الإسرائيليين
بعد أن بناه في ست سنوات و دمره المصريون في ست ساعات !!



الجنود المصريون حطموا الخط المنيع و عبروا القناة .



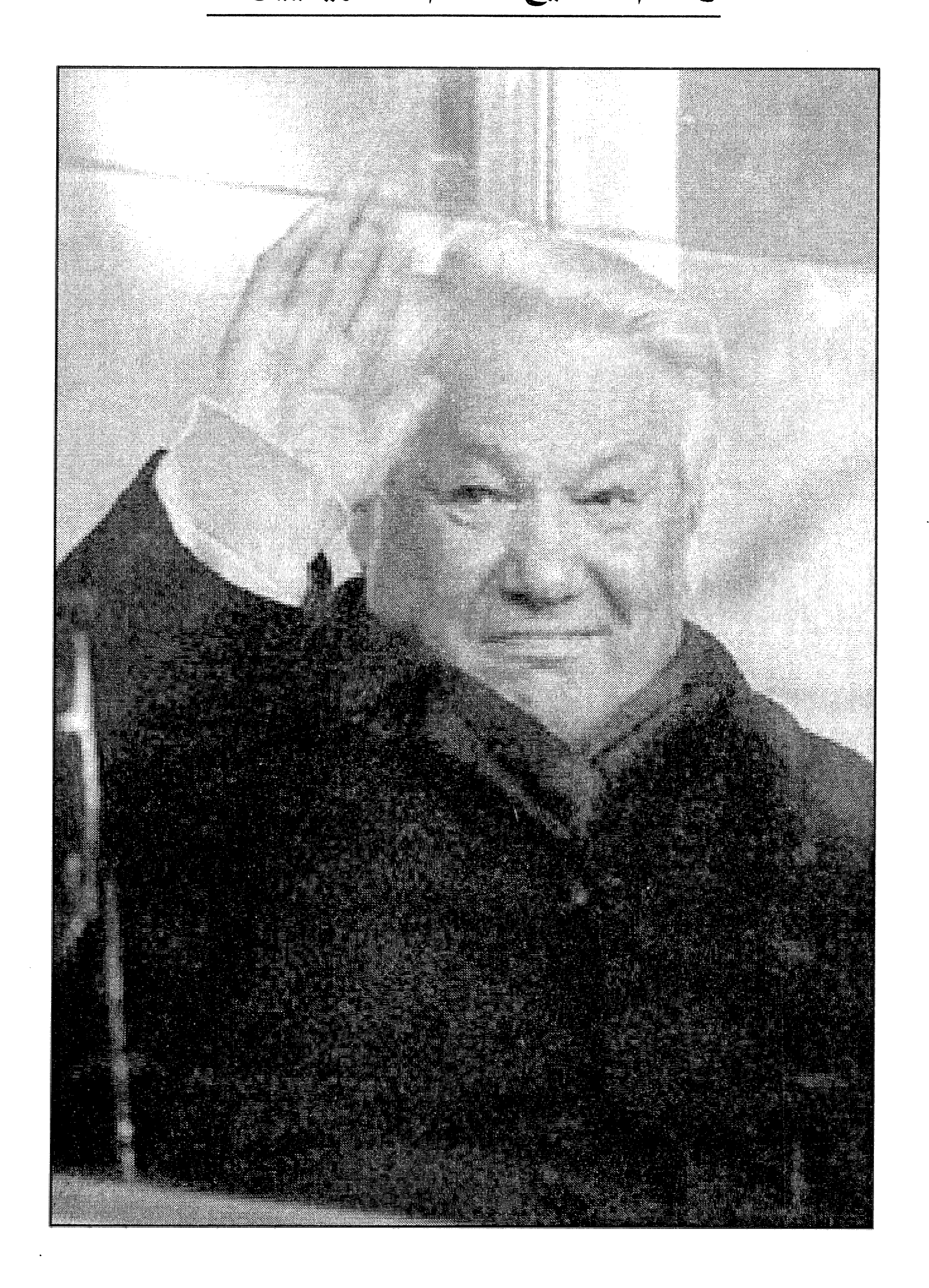
الجنود الإسرائيليون لم يصمدوا أمام الثغرات التي فتحها الجيش المصري في خط بارليف فاستسلموا !!

وروسيا أيضا يمكنها المشاركة في هذه المسيرة مع الحفاظ على سيادتها واستقلاليتها. ومن الهام جدا تطوير العلاقات بين روسيا والاتحاد الأوروبي. وستبين الحياة بأن الحاجة قد نضجت للعلاقات الدولية الجديدة. وأتصور أن هناك خطوات صحيحة من الرئيس بوتين في اتجاه إقامة نظام عالمي جديد يجري في إطاره حل مسائل الأمن . وأرى أنه يجب تركيز كل الاهتمامات حاليا على إقامة مثل هذا النظام .

ميخائيل غورباتشوف

رئيس الاتحاد السوفيتي السابق

٦- بوريس يلتسن .. حطم إمبراطورية
وسلم مفاتيح العالم للأمريكيين !!



في الثامن من ديسمبر ١٩٩١، اجتمع في غابة " بيلوفيزه " بالقرب من " مينسك " ثلاثة من رؤوس خمس عشرة جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي، بقيادة بوريس يلتسن رئيس روسيا، لتوقيع وثائق إلغاء تلك القوى العظمى، التي كانت قد بلغت من العمر – آنذاك - ٧٤ عاما !!

كانت هذه اللحظة فارقة ليست فقط في تاريخ هذا الاتحاد المحكوم عليه بالإعدام، و إنما في تاريخ العالم، الذي دفع ثمن " البرطعة " الأمريكية في غياب توازن القوى، نتيجة خروج السوفيت من المعادلة، و ترك الحبل على الغارب لغريمهم القديم " أمريكا " لكي يفعل ما يشاء في الساحة الدولية دون قيد أو شرط !!

استمر الاتحاد السوفيتي رسمياً منذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٩١، وكان الإعلان الرسمي عن نهايته بصفته اتحاداً ودولة عظمى قد سبقها إرهاصات مباشرة وغير مباشرة، بدأت، بوادرها منذ وفاة الرئيس ليونيد بريجنيف عام ١٩٨٢، وتصاعد الأحداث سريعاً بعد تولى الرئيس ميخائيل جورباتشوف حكم البلاد عام ١٩٨٥، وحاول إدخال إصلاحات بطريقة عشوائية، و بسرعات أشبه بضربات موجعة أكثر منها جراحات ناجحة، و لكنه يرفض اتهامه بالمسئولية عن الانهيار .. و هو و إن ارتكب أخطاء إلا أن الرئيس الروسي بوريس يلتسن هو الذي جاء ليصر على تدمير هذه الدولة العظمى و بسرعة بعد تمرده على جورباتشوف !!

ولم يمض وقت طويل حتى أدرك معظم سكان الجمهوريات السوفيتية السابقة وبالأخص الروس فداحة الجرم الذي ارتكبه الرئيس الروسي يلتسن بإخراج دولتهم

الكبرى من تاريخ ما بعد تفكيكها، و يكفي أن المعلقين السياسيين اتفقوا وقتها على أن ماحدث كان يفوق الخيال، و أن أعظم رئيس أمريكي لم يكن مكان يلتسين ليفعل كما فعل الرجل في بلاده، و أن الأمريكيين لا بد و أن يتذكروا الرئيس الروسي بالخير دائمًا لأنه أسدى إليهم " خدمة العمر " في الوقت الذي اتفق فيه سائر معلقي العالم على أنه ارتكب في حق بلاده و العالم " غلطة العمر " التي يعتبرها البعض خطيئة القرن العشرين الكبرى !!

يقول المفكر الروسي الشهير دكتور زيكين : مضت سنوات و سنوات على البحث المضني عن جواب على السؤال : ما الذي حلّ ببلادنا في القرن العشرين. جرت محاولات كثيرة لتفسير أوجه الغرابة في تاريخنا القريب، وطرحت آراء ووجهات نظر كثيرة، لكن لم تظهر نظرية في مستوى الحدث.

لم يستطع أحدٌ بعد أن يفسر بشكل سليم وغير متناقض، لماذا تفككت وانقرضت بلادنا بسرعة خاطفة، البلاد التي كانت قد ارتقت إلى مصاف الدول العظمى . وكيف تحول الشعب ـ البطل إلى: الشعب ـ القطيع، الشعب الأضحوكة، يمارس المضاربة، ويعد " علبة الجعة "(البيرة) أهم من حالة الصناعة والزراعة واقتصاد البلاد ".

و حتى ما ذهب إليه يلتسن من أن تدمير الإمبراطورية كان عملية " تفكيك لا بد منه لإصلاح الخراب الذي سببته الشيوعية " .

و رغم أن هذه العملية قد فككت بشكل ملحوظ ديكتاتورية الحزب الشيوعي فعلا إلا أنها كانت "وهجا بلا نار"، ولذلك مات الاتحاد السوفيتي نتيجة " لافتقاد البدائل المناسبة ".

وحتى معظم المتخصصين الأمريكيين راحوا يتساءلون مع الوقت، في ضوء المآسي الإنسانية التي اعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي في أعوام التسعينيات هل فعلا تفكيك الاتحاد السوفيتي لم يكن نعمة بقدر ما كان نقمة على العالم، حتى

الشعب الأمريكي نفسه الذي جرته إدارة الرئيس بوش إلى حروب كان في غنى عنها، لشعورها بأنها أصبحت القطب الأوحد بعد زوال الاتحاد السوفيتي، و راحت هذه الإدارة المتطرفة تحلم بإمبراطوية كونية تقوم على القوة، ففشلت، و لا تزال غارقة في المستنقعين الأفغاني و العراقي، ناهيك عن كراهية العالم المتزايدة للأمريكيين بصفتهم دعاة موت و خراب و دمار !!

في الوقت نفسه، لا تزال الغالبية العظمى من الشعب الروسي، من خلال استطلاعات الرأي التي أجريت بشكل منتظم في سنوات ما بعد التفكيك، تظهر حسرتها على نهاية الاتحاد السوفيتي، ليس بسبب شغفهم "بالشيوعية" ولكن لأنهم فقدوا دولة مألوفة لديهم وطريقة آمنة للحياة.

وفي رفض تام لما يردده الغرب من أن "انهيار" الاتحاد السوفيتي كان " أمرًا لا مفر منه" بسبب عيوب قاتلة موروثة به . . بدلا من ذلك يعتقد الروس - و لأسباب جديرة بالاعتبار - أن ثلاثة عوامل "ذاتية" فجرت الاتحاد السوفيتي : الطريقة التي نفذ بها جورباتشوف اصلاحاته السياسية والاقتصادية، صراع السلطة الذي أطاح فيه يلتسين بالدولة السوفيتية من أجل التخلص من رئيسه جورباتشوف، ونخب البيروقراطية السوفيتية التي كانت تقبض على زمام الملكية العامة، الذين فضلوا "خصخصة" الثروة الهائلة التي كانت تملكها الدولة في ١٩٩١ أكثر من الدفاع عنها.

لذلك، فإن معظم الروس ما زالوا يرون في ديسمبر ١٩٩١ "مأساة"، وهو المنظور الذي يعبر عنه في القول المأثور: "أي شخص لا يأسف لانكسار الاتحاد السوفيتي هو شخص لا قلب له".

و بالإضافة إلى ذلك، فهناك أعداد متزايدةٍ من المثقفين الروس على قناعة بأن شيئًا ما جوهريًّا قد ضاع – فرصة تاريخية، أُحبطت عبر قرون، من أجل تحقيق تحديث اقتصادي وسياسي للأمة بواسطة إعادة تشكيل سوفيتية، بجورباتشوف أو دونه، أي البريسترويكا، كما سماها جورباتشوف نفسه.

ويتفق خبراء السياسة ومنهم حتى أمريكيون أنه "توجد دائما بدائل في التاريخ"، وأن إعادة تشكيل الاتحاد السوفيتي و إصلاحه كان واحدا من "البدائل الضائعة" كفرصة دمقرطة روسيا، وإنشاء سوق لها بواسطة وسائل أكثر تدرجًا، وعن طريق الإجماع، وأقل ألما وخلقا للمعاناة، وهكذا أكثر منفعة وأقل تكلفة، وأفضل من التفكيك والتدمير !!

والحقيقة أن الطريقة التي انتهى بها الاتحاد السوفيتي، في ظروف كارثية، كانت نذرا سيئة للمستقبل. أحد "الأساطير "التي روجها مؤيدو يلتسين ليزعموا أنه:"أنقذ البلاد من مصير دموي مثل يوغوسلافيا، و أن تفكيك الاتحاد السوفيتي كان "سلميا".

وهذا الدفاع عن يلتسن يجافي الواقع، فالحروب العرقية الأهلية وأشكال الصراع العنيف الأخرى سرعان ما نشبت في آسيا الوسطى، ومنطقة القوقاز، لتقتل مئات الآلاف من المواطنين السوفيت سابقا، وتزيح بشكل وحشي أعدادًا من السكان يزيد حتى عن ذلك، وهي عملية ما زالت مستمرة حتى اليوم.

وقد بدأت عملية التفكيك تتحول إلى جريمة كبرى في نظر الروس، و بدأت الاتهامات بالخيانة الوطنية تخرج للعلن، وسط اتهامات متبادلة بالخيانة، منذ شهرديسمبر عام ١٩٩١، عندما دمروا الاتحاد السوفيتي إلى شظايا بدأ بتمرد عسكري فاشل ضد جورباتشوف نظمه وزراؤه أنفسهم في وسط موسكو، والثاني تصفية يلتسين للدولة ذاتها في غابة بيلوفيزه".

بالتأكيد، من الصعب تصور تصرفا سياسيا اكثر تطرفا من الغاء ما كان، رغم كل أزماته وعيوبه، ما زال دولة نووية عظمى يعيش بها ٢٨٦ مليون مواطن. ومع ذلك، فعلها يلتسين، كما يقر بذلك حتى المتعاطفين معه، بقصد وبطريقة لم تكن "شرعية ولا ديموقراطية".

وعد يلتسن ومعاونوه، على سبيل المثال، أن تدابيرهم المتطرفة كانت "تدابير استثنائية"، ولكنهم أنهوا الدولة السوفيتية بطريقة افتقدت الشرعية القانونية والشعبية– في استفتاء تم قبلها بتسعة أشهر فقط، ٧٦٪ من النتائج صوتت لصالح الإبقاء على الاتحاد – بعد أن أصبح يلتسين ومعاونوه يخشون الديموقراطية الحقيقية.

و يقول روسيون ديموقراطيون إنه كان من الممكن الإبقاء على الاتحاد السوفيتي، لولا أن قضايا مثل وجود برلمان مستقل ومنتخب بحرية، وإمكانية النزول عن السلطة، قد أثيرت وأصبحت تهديدا حقيقيا،، و سرعان ما أعقب ذلك الإطاحة المسلحة ليلتسن بالبرلمان الروسي.

لم تخف الأبعاد الاقتصادية لبيلوفيزه ما أعقبها من نتائج. حل الاتحاد دون أي مراحل تحضيرية، هشم اقتصادا على مستوى عال من التكامل. إضافة إلى استفحال تدمير الدولة، قرار بيلوفيزه كان سببا كبيرا لانهيار الإنتاج عبر الأقاليم السوفيتية السابقة، وهو الإنتاج الذي انخفض إلى النصف طوال حقبة التسعينيات. وهذا بدوره ساهم في الفقر الجماعي الواسع، والأمراض الاجتماعية التي صاحبته، والتي ما زالت طبقا للاقتصاديين الروس "الحقيقة الكبرى" للحياة اليومية في روسيا اليوم ".

وقد استولت النخب السوفيتية تحت قيادة يلتسن على الكثير من ثروة الدولة الهائلة، التي جعلوا تعريفها في القانون والايديولوجية لعقود طويلة من الأعوام بوصفها "ملكية كل الشعب"، دون اي اعتبار أو نظر إلى إجراءات عادلة أو الرأي العام. هذه النخب، للمحافظة على وضعهم المسيطر ولإغناء أنفسهم، أرادوا ممتلكات الدولة الأكثر قيمة لتوزع بينهم من أعلى، دون مشاركة من أي هيئات تشريعية، أو أي هيئات تمثيلية أخرى للمجتمع.

وقد حققوا هذا الهدف أولا بأنفسهم، من خلال "خصخصة تلقائية"، ثم، بعد ١٩٩١، من خلال مراسيم من الكرملين أصدرها يلتسين، الذي لعب، طبقا لوصف أحد كبار المعاونين، "صاحب طاولة القمار الأول في تقسيم الأنصبة".

ولكن كنتيجة لذلك، فقدت عملية الخصخصة من البدايةمشروعيتها في عيون القانون وفي عيون الشعب.

وكان من السهل - آنذاك - توقع النتائج السياسية والاقتصادية إلى حدثت فيما بعد .. أصحاب الممتلكات الجديدة، خوفا على أرصدتهم التي اكتسبوها بطريقة غير مشروعة وحتى خوفا على حياتهم أنفسهم، والذين شكلوا نخبة ما بعد الحقبة السوفيتية، صمموا مثل يلتسين على تقييد أو عكس مسار الديموقراطية البرلمانية الانتخابية التي شرع فيها جورباتشوف.

وجاهدت النخب الجديدة في خلق نوع من النظام السياسي الأبوي، بدلا من هذه الديموقراطية الانتخابية، مكرس لخدمة ثروتهم ومفسد بسبب ثروتهم، وعلى أحسن الفروض " ديموقراطية تحت السيطرة " .

ومن هنا تم اختيارهم لفيلاديمير بوتين، رجل جهز المخابرات السوفيتية السابق، ليحل محل الرئيس يلتسين بعد اعتلال صحته في عام ١٩٩٩. ولنفس السبب، اهتمت هذه النخب أكثر، وهي غير متأكدة من الوقت الذي سوف يستمر فيه احتفاظهم بتلك الثروة المهولة، في تهريب ملكياتهم أكثر من الاستثمار فيها. وكانت النتيجة انخفاضا قدره ٨٠٪ في الاستثمار في الاقتصاد الروسي بنهاية التسعينيات، و بدلا من تحديث الأمة، تم دفعها نحو تخلفها الفعلي.

وبأخذ تلك الظروف العصيبة في الاعتبار، يثور السؤال : لماذا يهلل الكثيرون لسقوط الاتحاد السوفيتي بوصفه "انطلاقا" نحو الديموقراطية ورأسمالية السوق الحر ؟ .. الإجابة قد نجدها على لسان المفكر الروسي فيلسوفا موسكوفيا : "حيث يتعلق الأمر بروسيا فإن ردود أفعال هؤلاء كانت -كالمعتاد- تقوم أساسا على أيديولوجية مناهضة للشيوعية وأساطير متفائلة، ولا تقوم على حقائق معاصرة أو تاريخية. . فالساعون إلى تدمير الدولة السوفيتية "صوبوا ناحية الشيوعية ولكنهم أصابوا روسيا" !!

وهكذا انهار الاتحاد السوفيتي بأيدي يلتسين، دون تشريع، ولا انتخابات قومية، ولا استفتاء وطني يبارك هذا الانهيار، ولا يوجد شاهد مادي واحد على هذه الفرضية.

فيما يخص دور يلتسين، حتى معظم القادة صانعي الحدث يحتاجون إلى مؤيدين لتنفيذ الأحداث التاريخية. ألغى يلتسين الاتحاد السوفيتي في ١٩٩١ بدعم من تحالف له مصالح خاصة. كل جماعات هذا التحالف أطلقوا على أنفسهم اسم "الديموقراطيين" و"الإصلاحيين"، ولكن اثنين أكثر أهمية لم يكونا على الأرجح حلفاء: النخب الجديدة التي كانت تسعى خلف "رائحة الممتلكات كسعي الذئب خلف الفريسة"، في الكناية الفاضحة لرئيس وزراء يلتسن نفسه، وأرادت الممتلكات أكثر كثيرا من أي نوع من الديموقراطية أو منافسة السوق الحرة؛ وجناح موالٍ للديموقراطية بشكل صريح من النخبة المثقفة. اصطدم الجانبان بشكل واسع في ١٩٩١، بوصفهم الأعداء التقليديين في النظام السوفيتي ما قبل جورباتشوف، لأن افكار السوق الراديكالية لنخبة المثقفين بدت أنها تبرر الخصخصة للنخب الحاكمة.

ولكن معظم المثقفين ذوي النفوذ الموالين ليلتسين، الذين لعبوا دورا رائدا في حكومته في حقبة ما بعد السوفيت، لم يكونوا رفقة رحلة بمحض المصادفة ولا أيضا ديموقراطيين حقيقيين.

فمنذ أواخر الثمانينيات، أصروا على أن اقتصاديات السوق الحر والملكية الخاصة الكبيرة يجب فرضها على مجتمع روسي متحجر بنظام ذي "قبضة حديدية". "هذه القفزة الكبرى"، كما هللوا لها، سوف تتبنى سياسات "شديدة وغير جماهيرية" تنتج عنها "سخط جماعي" وذلك سوف يحتم ضرورة "اتخاذ تدابير غير ديموقراطية". ومثلهم مثل النخبة الباحثة عن الملكية، هؤلاء المثقفون رأوا في الهيئة التشريعية المنتخبة حديثا في روسيا عقبة. المعجبون بالجنرال اغسطو بينوشيه، الذي فرض

بوحشية التغييرات الاقتصادية في شيلي، يقولون عن يلتسين، الذي هو الآن قائدهم، "دعه يكون ديكتاتورا!" وقد هللوا، بشكل لا يثير الدهشة، (ومعهم حكومة الولايات المتحدة ووسائل الإعلام السيارة هناك) ليلتسين عندما استخدم الدبابات لتدمير البرلمان الروسي المنتخب شعبيا في ١٩٩٣.

لا تزال البدائل الاقتصادية والاجتماعية في روسيا قائمة بعد ١٩٩١. ما زال أمامها نضالات وقرارات مصيرية. وليس هناك عامل من العوامل التي ساهمت في إنهاء الاتحاد السوفيتي غير قابل للهزيمة أو ذو طبيعة حتمية. ولكن حتى لو كانت الطموحات الديموقراطية وطموحات السوق هي من بين هذه العوامل، فالطموح الجامح إلى السلطة، والانقلابات السياسية وجشع النخب، والأفكار المتطرفة والشعور المنتشر بعدم الشرعية والخيانة موجود كذلك. تستمر كل تلك العوامل في لعب دورها بعد ١٩٩١، و كان المجرم هنا هو يلتسن، الذي بلغ حد اتهام الروس له بأنه " عميل أمريكي " دمر إمبراطورية كبرى لحساب " الأمريكان " !!

لقد رأى العالم كيف أخذت الولايات المتحدة تتصرف باستهتار بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فأقدمت على غزو العراق من دون تفويض من مجلس الأمن، بل واستهانت وسخرت حتى من الدول الحليفة التي عارضتها في ذلك الغزو مثل فرنسا وألمانيا وأطلق وزير الدفاع الأمريكي السابق رونالد رامسفيلد عليها لقب أوروبا القديمة في سخرية واضحة، كما رأينا كيف عاملت أمريكا السجناء في أبو غريب وغوانتانامو فاحتجزتهم من دون تقديمهم لمحاكمة عادلة، بل ومارست عليهم أبشع أنواع التعذيب.

حتى رابطة عدم الانحياز التي تكونت في سبتمبر ١٩٦١ في بلغراد كان من أبرز قادتها جواهر لال نهرو «الهند» وسوكارنو «أندونيسيا» وجمال عبد الناصر «مصر» وكوامي نكروما «غانا» وسيكوتوري «غينيا» وجوزف بروز تيتو «يوغسلافيا» ونمت هذه الرابطة لتضم في عضويتها ١١٠ دول وكان لهذه الرابطة دور مؤثر في

المسرح الدولي إذ انها تمارس الحياد الإيجابي، وهذا يعني ان لها رأيا فيما يحدث في العالم؛ فعارضت حرب فيتنام وغزو أفغانستان وكان القطبان امريكا والاتحاد السوفيتي يخطبان ود هذه الرابطة، أما الآن وفي ظل القطب الواحد لم يعد لهذه الرابطة دور، بل لم يعد لها وجود إذ ان سياسة أمريكا صارت وكما أعلنها بوش الابن في صلف وغرور إن " من ليس معنا فهو ضدنا ".

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ناصبت الولايات المتحدة الأمريكية الإسلام العداء فالرئيس بوش تحدث عن الحرب الصليبية، وبابا الفاتيكان هاجم الإسلام وزعم أن الإسلام لم يقدم للحضارة الإنسانية إلا العنف والدمار، وهنالك حملات مجحفة في صحف الغرب تهاجم النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ كل هذا لأنهم يعتقدون وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أن الإسلام مؤهل لتقديم العدو البديل الأصلح والأمثل للعالم .

و يعد انهيار الاتحاد السوفيتي أول مشروع لتفكيك الدول على أسس عرقية في العصر الحديث، أعقبه تنفيذ مشروع تفكيك آخر هو تفكيك الاتحاد اليوغسلافي إلى عدة دول، ثم تفكيك تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين ثم فصل كوسوفو عن صربيا، فقد تخلت أوربا عن خرائطها الجغرافية القديمة بعد أن رُسمت خرائط سياسية جديدة.

وكان من نتائج ذلك أن عززت الولايات المتحدة قبضتها على العالم ودفعت خطوط التماس مع روسيا، الخصم التقليدي للغرب، بعيداً نحو الشرق ومباشرة على الحدود الروسية. وهنالك مشاريع قيد التنفيذ لتفكيك دول أخرى ومنها روسيا نفسها فالحركات الوطنية، في منطقة القوقاز خاصة، تسعى للانفصال عن الاتحاد الروسي وتأسيس دولها الوطنية.

جدير بالذكر أن الرئيس الروسي الأسبق ميخائيل جورباتشوف كان قد نفى مسئوليته تماما عن تفكيك الاتحاد السوفيتي، بل أعلن رفضه لما جرى وحمل

يلتسين المسئولية كاملة . و فيما يلي نص مقال لجورباتشوف الذي كان قد نشره بعد الانهيار و نقلته وسائل الإعلام العالمية :

"عشية السادس والعشرين من ديسمبر من كل عام (التاريخ الرسمي لانهيار الاتحاد السوفيتي) أتلقى العديد من الأسئلة المرتبطة بهذا الحدث التاريخي من وسائل الإعلام الأجنبية. ويتعلق جوهر هذه التساؤلات بشكل أساسي بثلاثة مواضيع : كيف وبعد عشر سنوات على انهيار الاتحاد السوفيتي أقيم هذا الحدث؟ وما هو موقفي من مرحلة السنوات العشر الأخيرة من تاريخ روسيا الحديث عندما كان بوريس يلتسين في السلطة؟ وما هو تقييمي لنشاطات الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين؟

أقول: إن لي موقفا انتقاديا من انهيار الاتحاد السوفيتي . ففي عام ١٩٩١ وفي عز احتدام المعركة ولد مشروع إصلاحي جديد للدولة الاتحادية للاتحاد السوفيتي وقد أكدت دائما على أنني لن أشارك في هدم الاتحاد السوفيتي. وأنا بالذات صاحب فكرة الاستفتاء السوفيتي العام الذي جرى في ١٧ مارس من عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين وأجاب فيه المواطنون على السؤال التالي : هل تعتقدون بضرورة الحفاظ على اتحاد الجمهوريات السوفيتية كاتحاد إصلاحي لجمهوريات مستقلة متساوية يجري فيه ضمان كامل حقوق وحريات الإنسان . ونعلم أن ٧٦،٤ ٪ من الذين شاركوا في الاستفتاء أيدوا الحفاظ على الاتحاد السوفيتي، ولكن وعلى الرغم من إرادة الشعب هذه فإن الدولة الكبرى زالت من الوجود. إن هذا شكل عملية تهديم وتدمير ضخمة أدخلت الجمهوريات السوفيتية السابقة في وضع صعب للغاية. وسنبقى لوقت طويل نعاني قبل أن نتمكن من الخروج منه

فهل كان بالإمكان إنقاذ الاتحاد السوفيتي؟ إن المشاكل التي تراكمت في الدولة كانت كثيرة، إلا أنها لم تجد حلولا لها. وقد استنفد الاتحاد القديم طاقاته أو بالأحرى استهلكها كلها. وربما كان من الممكن أن يستمر الاتحاد السوفيتي لبعض

الوقت أيضا ولكن الأوضاع كانت تحتاج إلى تغييرات. إن الطريق القويم والصحيح إذا أخذنا في الحسبان وفي المقام الأول مصالح الشعب كان يجب أن تمر ليس عبر الانفصالية والتفسخ بل عبر الإصلاحات واللامركزية. ومن هنا جاء الإعداد لمعاهدة اتحادية جديدة. وبفضل سياسة البريسترويكا فإن المواطنين السوفييت حصلوا على الحرية والعلنية، وأرسيت بدايات دعائم الديمقراطية وإصلاحات السوق في الاقتصاد. وأخيرا تمكنا من القضاء على الحرب الباردة. ومن المعروف أن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأميركية أنفقا ١٠ تريليونات دولار على سباق التسلح. وفي الوقت نفسه لم نتمكن نحن في الاتحاد السوفيتي من توفير الاحتياجات البسيطة والعادية للمواطنين. لقد كان معيبا إلى حد كبير عدم توفر مساحيق الغسيل ومعاجين تنظيف الأسنان وما إلى ذلك في محلات البيع.

ونعلم أن ٩ ـ ١٠٪ فقط من الصناعات كانت تعمل على إنتاج السلع الضرورية للحياة. وكان يمكن إزالة الحدة والتوتر والعجز في الأسواق الاستهلاكية بتوجيه الاستثمارات إلى إنتاج السلع الضرورية للشعب بدلا من توجيهها إلى الأهداف الدفاعية. وكان يمكن اخذ ١٠ – ١٥٪ من هذه النفقات الدفاعية وتوجيهها لإغراق روسيا بالبضائع الاستهلاكية لسد الحاجات الضرورية إلا أننا لم نوفق في ذلك. لقد أردنا استخدام سلطة الحزب الشيوعي السوفيتي من أجل تجسيد مسيرة البريسترويكا في الحياة وإشاعة الديمقراطية في الحياة الحزبية. وأخطأنا في إصلاح الاتحاد ،بل تأخرنا. ولم يكن يساور أحد في العالم باستثناء عدد قليل جدا من الأشخاص أن الاتحاد السوفيتي سيقضي على نفسه بنفسه.

عندما أسأل نفسي: أحقا أنني وحدي من كان يحتاج إلى الاتحاد؟ يضطرني ذلك إلى التفكير كثيرا. بالطبع لقد عايشت خيبة أمل مريرة، ولكن لماذا صمتت البلد كلها حينها؟ إنني اعتقد أن إنشاء رابطة الدول المستقلة كانت حيلة. فوفقا لوثيقة تأسيس هذه الرابطة كان يتعين المحافظة على المجال الاقتصادي والعملة الواحد والنظام المصرفي المشترك والقوات المسلحة الموحدة والتوافق في

السياسة الخارجية. فلدى الأشخاص البسطاء الذين لا ينغمسون في السياسة تكوّن انطباع بأن البلاد سيحافظ عليها إلا أن النخبة السياسية كانت لها حساباتها الخاصة. وكان من الواضح أن رابطة الدول المستقلة كنظام غير قابلة للحياة. غير أن القيادة الروسية فكرت بعدم توتير الأوضاع في روسيا لأن المواطنين عمليا كان قد جرى خداعهم عمدا من خلال هذه المناورة. تأسيس رابطة الدول المستقلة .

عهد يلتسين

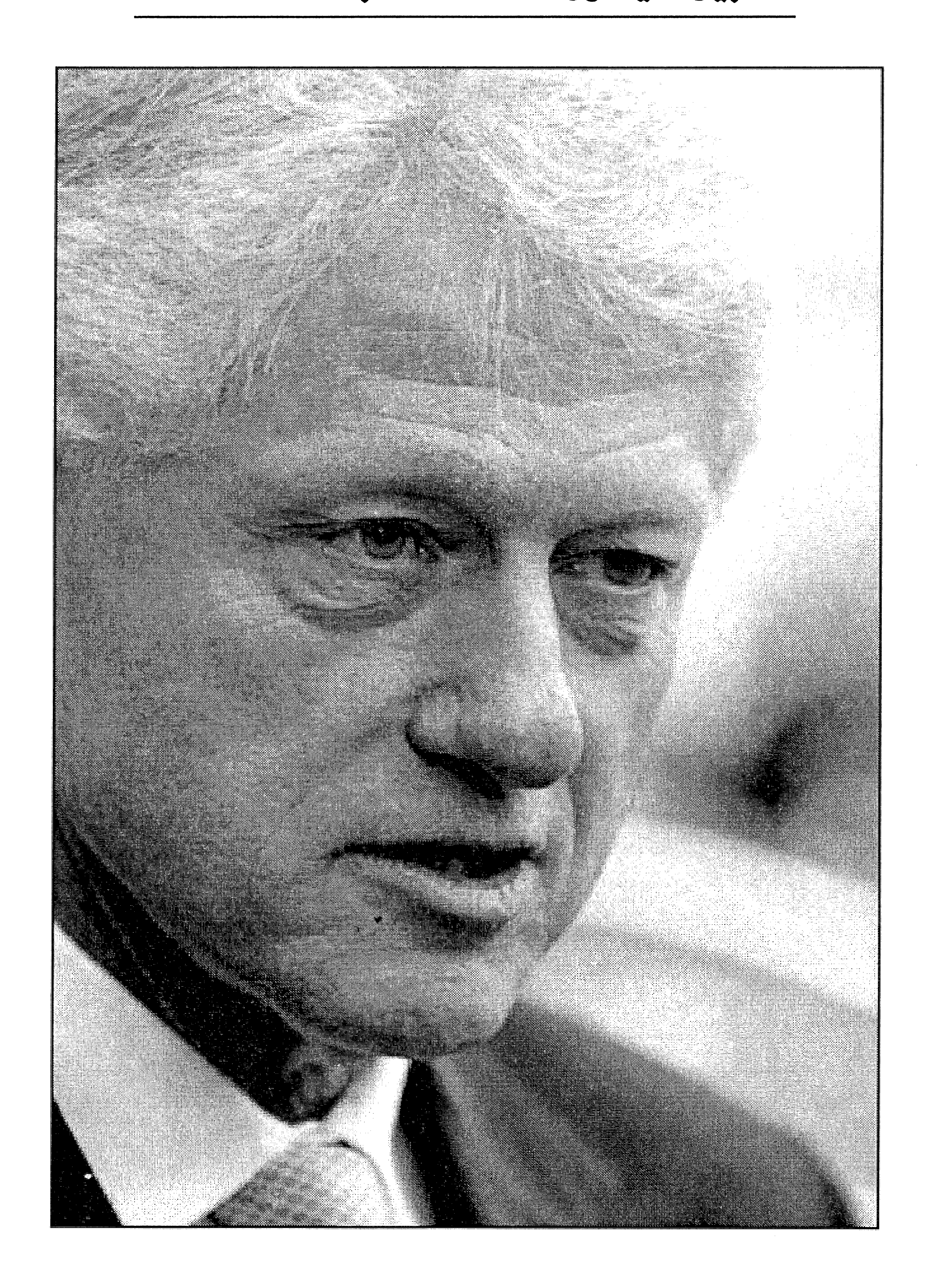
أعلنت روسيا في ١٢ ديسمبر ١٩٩١ عن استقلالها. وأتساءل عن من استقلت؟! عن نفسها ؟! عن روسيا الكبرى؟! أنا لا أشارك في أعياد استقلال روسيا، فهذا الأمر بالنسبة لي ليس احتفالا أو يوما سعيدا. أثناء الاحتفالات بالذكرى العاشرة لتأسيس رابطة الدول المستقلة التي جرت مؤخرا في الكرملين سمع رؤساء الدول المستقلة بأن بوريس يلتسين مدعو لحضور جلستهم فتسأل بامتعاض الرئيس الكازاخستاني نور سلطان نزاربايف : ولماذا يحضر يلتسين ؟ وأعتقد أن الكثيرين من رؤساء الرابطة تساءلوا أيضا عن سبب دعوة الشخص الذي عمل على تهديم روسيا وبعد ذلك تهديم رابطة الدول المستقلة. حقا لقد عاش الكثير من المواطنين السوفييت في شقق سكنية مشتركة وفي المساكن المؤلفة من ٥ طوابق والتي بنيت على عجل وهي تدعى خروشوفكا نسبة إلى بنائها في عهد خرشوف .ولكن ومع سيد جيد يمكن للمنزل العتيق أن يتحول إلى منزل لائق في انتظار الوقت المناسب من أجل تأمين المسكن للجميع. لقد كان يتعين التقدم في اتجاه السوق وليس السماح لسيل البضائع الأجنبية بالتدفق بهذا القدر على دولة غير مستعدة لذلك والتي تنتج بنفسها بضائع غير قادرة على المنافسة من حيث النوعية. ونتيجة لذلك تم خنق المنتجين الوطنيين. فقد وضعوا مهمة التقدم إلى الأمام وتبين أنهم يتراجعون إلى الخلف. إن عهد يلتسين هو عهد فشل للبلاد.

أقيم بصورة انتقادية نتائج السنوات العشر التي عاشتها البلاد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وأنا سعيد بالقول إنه بالرغم من التهديم العلمي والثقافي والتعليمي والاقتصادي وحتى تهديم الحياة الإنسانية في عهد يلتسين فإن روسيا استطاعت أن تحافظ وبدرجة كبيرة على قدراتها الذهنية و تظل من أوائل الدول في العالم في هذا المجال. وتم أيضا المحافظة على ثروات طبيعية ضخمة على الرغم من نهب كميات كبيرة منها. والأهم: أن السكان ما زالوا أحياء يقاومون ويقومون بعمل ماًّ. ويستمرون في الحياة ويدرسون كما ظهرت طبقة من رجال الأعمال وأخيرا بدأنا إدراك أهمية الحرية والديمقراطية والسوق. وروسيا الآن مع قيادتها الحكيمة والحازمة (يقصد الرئيس بوتين) تملك الفرصة للخروج من الركام.

عن الرئيس فلاديمير بوتين.

أتتبع باهتمام أعمال الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين وأعلق آمالا كبيرة على أن يستطيع إخراج روسيا من الأزمة. لقد أضحى قائدا ناضجا وجديا. ومنذ بداية نشاطاته يتبع سياسة حكيمة وذكية على الساحة الدولية. وهذا يتعلق بشكل خاص بتشكيل الخطوط الجديدة للعلاقات المتبادلة مع دول الرابطة المستقلة وللتحسين الجذري للعلاقات مع أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأميركية. ومن المعروف أن الحركة إلى الأمام تتوفر عبر حل التناقضات الناشئة وعددها غير قليل في العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة. ولكن أليس هناك من خلافات بين أوروبا وأميركا؟ إلا أن ذلك لا يعيق مسيرة التكامل.

٧- بيل كلينتون .. سقطة ما بعدها سقطة !!



غلطة الشاطر بألف .. وليس بيل كلينتون الذي سنتناوله هنا " الشاطر " لمجرد أنه كان - وقت خطيئته الكبرى - رئيس أكبر دولة في العالم فحسب، و لكن لأنه كان من الرؤساء القلائل في تاريخ أمريكا، الذين استطاعوا تحقيق الازدهار الاقتصادي، والدخول بالأمريكيين عصرًا للرفاهية غير مسبوق، كما حاول تفادي الدخول بهم في أية حروب أو مواجهات، تحول دون نمو الاقتصاد الأمريكي !

و الغلطة الكبرى التي وقع فيها هذا الرئيس الأمريكي أنه نسِيَ، أو تناسى أهم ما يقال لمن يشغل منصبًا سياسيًّا، و خاصة في الغرب : " كل شيء يمكن مداواته إلا " الفضائح النسائية فمن تصيبه لعنتها لا يبرأ منها أبدًا " !!

ورغم أن الفضائح النسائية عادة ما لا تصيب الرؤساء، لحرصهم البالغ على تفاديها، وإصابتها في الغالب الصف الثاني كالوزراء و من هم دونهم بقليل كمساعديهم، إلا أن كلينتون لم يتورع عن إقامة علاقة غير مشروعة مع متدربة في بيت الرئاسة، الذي يباشر مهامه كرئيس منه، ويقيم فيه هو و زوجته و ابنته، لتكون فضيحة مدوية، و سقطة كبرى لرئيس في قمة نجاحه الوظيفي !!

مونيكا لوينسكيمونيكا صامويل لوينسكي أمريكية كانت تعمل متدربة في البيت الابيض في منتصف التسعينيات وتسلطت عليها أضواء الإعلام والسياسة عندما تورطت في فضيحتها الجنسية مع الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون فيما سمي بفضيحة مونيكا .

هي من مواليد ٢٣ يوليو ١٩٧٣ في مدينه سان فرانسيسكو و تربت في جنوب كاليفرنيا غرب لوس انجلس، و في بفرلى هيلز. ولد ابوها في السلفادور و لكنه من عائلة من اليهود الألمان المهاجرين بينما تنتمي امها إلى اليهود الروس. تلقت تعليمها في كلية سانتا مونيكا ثم في كلية لويس اند كلارك في بورتلاند بولاية أوريغون في سنة ١٩٩٥ و انتقلت بعد ذلك إلى واشنطن حيث عملت في البيت الأبيض أثناء ولاية الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون الأولى.

دارت علاقة غير مشروعة قصيرة الأمد بينها و بين الرئيس . و قد عرفت أخبار هذا الموضوع والتحقيق الذي فتح بشأنة فيما بعد بفضيحة مونيكا.

فقد قامت ليندا تريب صديقة مونيكا المقربة و التي كانت تكبرها ب ٢٤ عاما بشكل سري بتسجيل محادثات تليفونية بينها و بين مونيكا يناقشان فيها تفاصيل العلاقة بين مونيكا و كلينتون.

لم يتم فضح الموضوع مباشرة ولكن بعد أن قدمت مونيكا شهادة كاذبة في قضية بولا جونز والتي نفت فيها أي علاقة بينها و بين كلينتون وحاولت مونيكا إقناع ليندا بشهادة الزور في نفس القضية و لكن ليندا أعطت التسجيلات للمستشار المستقل كينيث ستار وساعده ذلك على استمرار التحقيقات في فضيحة وايت واتر وقد وسع ستار تحقيقاته لتشمل مونيكا لوينسكي وكلينتون وآخرين في محاولة لكشف الحقائق في قضية بولا جونز و من المثير للدهشة الادعاءات بأن ليندا تريب أيضا سربت معلومات للصحافة لكي تراقب جيدا جنيفر فيتزجيرالد والتي ظهرت شائعات بأنها كانت على علاقة عاطفية جنسية مع الرئيس السابق جورج بوش الأب و لكنها نفت صحة هذة الادعاءات تماما و وصفتها بأنها تلفيق كامل.

اعترفت مونيكا لوينسكي بالعلاقة مع كلينتون في المكتب البيضاوي والحجرات الملحقة بالجناح الغربي. و قد تم تدوين ذلك رسميا في تقرير ستار.والتي أدت إلى محاكمة الرئيس السابق كلينتون لاحقا بتهمة عرقلة سير العدالة و شهادة الزور.

اتهم كلنتون مسبقا بعلاقات متعددة أهمها علاقة مع المغنية والموظفة السابقة لدي ولاية أركانساس واسمها جنيفر فلاورز والحادثة مع الموظفة لدي ولاية اركنساس أيضا بولا جونز في غرفة بفندق ليتل روك بينما كان كلينتون حاكما لاركنساس وظهر موضوع مونيكا حينما حاول محامو بولا جونز الحصول على أدلة جانبية تؤكد صدق ادعاء موكلتهم.

نفي كلينتون أثناء المحاكمة أي علاقة كاملة مع مونيكا ثم في مؤتمر صحفي بالبيت الأبيض. ولكن بعد ضغوط من ستار الذي تم الحصول على فستان ازرق يخص مونيكا عليه السائل المنوي لكلينتون.

تحت هذه الضغوط اعترف بيل كلينتون في يوم ١٧ اغسطس ١٩٩٨ أنه كذب على الشعب الأمريكى و أنه كان على علاقة غير شرعية مع مونيكا لونسكي ولكنه أنكر أن يكون قد شهد زورا لأن العلاقة – على حد تعبيره – لم تكن كاملة !!

وتروى هيلارى كلينتون فى مذكراتها التي نشرتها بعنوان "تاريخ عشته" أن زوجها بيل كلينتون أخفى عنها الحقيقة بشأن علاقته بمونيكا لوينسكى لمدة سبعة أشهر، فى الوقت الذى كانت الفضيحة تحتل فيه العناوين الرئيسية فى الصحف فى ١٩٩٨.

وتقول هيلارى فى كتابها إن بيل كلينتون أكد لها أنه أعجب فعلا بمونيكا، الشابة الآتية من كاليفورنيا عندما طلبت منه المساعدة على إيجاد عمل لها، وأنه تحدث اليها "فعلا مرات عدة". إلا أنه أكد أن القضية ضخمت بشكل مريع.

وتضيف أنها قررت أن تصدقه.

وتقول السناتور هيلارى كلينتون إنها علمت بالحقيقة فى الصيف التالي، قبل يومين فقط من الشهادة التى أدلى بها زوجها تحت القسم أمام هيئة اتهامية بناء على طلب من المدعى العام المستقل كينيث ستار. وتشير إلى ان زوجها ايقظها صباح ١٥ أغسطس وقال لها "للمرة الأولى إن الوضع أخطر بكثير مما كان يعتقد".

وتتابع "كان يدرك أن عليه أن يدلى بشهادته وبأنه أقام علاقة حميمة وفى غير مكانها. وقال لى إن ما جرى بينهما كان سريعا ومحددا". وتتابع هيلارى كلينتون"كنت بالكاد قادرة على التنفس. بدأت بالبكاء وبالصراخ. ما الذى تريد قوله؟ لماذا كذبت علي؟ وكنت أزداد غضبا مع مرور الوقت وهو يقف هنا ويردد (أنا آسف، أنا فعلا آسف، كنت أحاول أن أحميك، أنت وتشيلسي) (ابنتهما)".

وتقر هيلارى بأنها أرادت أن "تحطم رأسه" وأن القرارين الأصعب فى حياتها كانا "البقاء زوجة لبيل كلينتون والتقدم بالترشيح إلى مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك".

وقد تم إصدار مليون نسخة من المذكرات التى تروى فيها هيلارى ثمانى سنوات أمضتها فى البيت الأبيض. وحصلت هيلارى كلينتون على ثمانية ملايين دولار مقدما عن المذكرات وتم بيع حقوق نشر الكتاب فى ١٦ دولة فى أوروبا وأسيا وأميركا الجنوبية، و السبب كشفها أسرار علاقتها بالرئيس بعد تفجر فضيحته مع مونيكا !!

وتقول هلاري كلينتون في الكتاب أيضًا : كنا في طريق العودة إلى واشنطن وإلى طور جديد من حرب سياسية لا تنتهي، ولم أقرر بعد ما إذا كنت سأقاتل من أجل زوجي وزواجي بعد أن حدث انفراج في العلاقات، بل سلام، بين أفراد أسرتنا.

ومع أنني كنت أشعر بالحسرة والخيبة من "بِل"، فقد أتاحت لي الساعات الطوال من الوحدة أن أعترف لنفسي بأنني أحبه، إلا أن ما كنت أجهله هو ما إذا كنا نستطيع، أو يجب علينا، الاستمرار في زواجنا، وكان التنبؤ بالحياة اليومية أسهل من التنبؤ بالمستقبل.

ولكنني اعتزمت على القتال في سبيل رئيسي. كان عليّ السيطرة على مشاعري والتركيز على ما ينبغي عليّ عمله لنفسي. واستندت في تلبية واجباتي الشخصية

والعامة إلى مخزون من العواطف المتضاربة، التي تتطلب تفكيراً مختلفاً وتقييماً مختلفاً.

كان بِل لمدة تزيد على عشرين سنة زوجي وصديقي المفضل وشريكي في السرّاء والضرّاء، وأباً محباً لإبنتنا. والآن، ولأسباب يجب أن يشرحها هو فإن ثقتي وعمق جراحي وأعطى أعداءه مبررات حقيقية استغلوها بعد سنوات تحمّل فيها تهمهم الباطلة والتحقيقات الحزبية والدعاوى القضائية.

كانت مشاعري الشخصية ومعتقداتى السياسية على طرفي نقيض، فقد رغبت باعتباري زوجة أن أدق عنقه، ولكنه لم يكن فقط زوجي، بل كان أيضاً رئيسي، واعتقدت أن "بِل" وعلى الرغم من كل شيء، قاد أمريكا والعالم بطريقة لا تزال تحظى بدعمي وبصرف النظر عما فعل، فلا أعتقد أن أيّ شخص يستحق هذه المعاملة القاسية التي تعرّض لها. لقد انتُهكت خصوصياته وخصوصيات مونيكا لوينسكي وخصوصيات عائلتنا بطريقة جائرة لا مبرر لها. أعتقد أن ما فعله زوجي كان خطأً من الناحية الأخلاقية، مثلما كان كذبه عليّ وتضليله الشعب الأمريكي في هذا الموضوع، إلا أنني علمت أن زلّته تلك لم تكن خيانة لبلده.

أقنعني كل شيء علمته من تحقيقات ووترغيت بعدم وجود أي مرر لاتهام بِل. إذا استطاع رجال مثل ستار وحلفائه تجاهل الدستور وإساءة استعمال السلطة لأسباب أيديولوجية وحقودة تنتهي بإسقاط الرئيس،، فأنا أخشى على وطني. كانت رئاسة بِل والمؤسسة الرئاسية وسلامة الدستور في كفة الميزان. وكنت أعلم أن ما سأفعله وأقوله في الأيام والأسابيع التالية سيؤثر ليس فقط على مستقبل بِل ومستقبلي، بَلّ على مستقبل أمريكا. أما ما يتصل بزواجي، فقد كان أيضاً في كفة الميزان، ولم أكن متأكدة على الإطلاق أي كفّه سترجح، أو يجب أن ترجح".

بالإمكان الإجابة عن تساؤل هيلاري كلنتون الآن وبكل بساطة. إلا أن هذه الإجابة ظلت تساؤلا ليس لهيلاري كلنتون فحسب! بل تساؤل الكثيرين من جميع

أنحاء العالم وذلك عندما وصلت فضيحة زوجها المتورط مع مونيكا لوينسكي إلى ذروتها. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك تساؤلات عديدة مرت في الأذهان حول ما يتعلق بهيلاري وزوجها الرمز الأول في الولايات المتحدة !

وعودة إلى مونيكا سنجدها، و رغم خروج كلينتون من البيت الأبيض بسنوات، إلا أنها و من وقتها و حتى وقتنا هذا، تحت الأضواء، ترصد الكاميرات و الأقلام كل ما يصدر عنها، أو يتعلق بها، كل صغيرة و كبيرة .

ومن هذا أنها بعد فضيحتها مع كلينتون ذهبت إلى لندن للدراسة في جامعة لندن وحصلت على شهادة الماجستير.

كما دخلت لوينسكي التاريخ مرة أخرى بعد فضيحتها المشهورة من خلال عرض تفاصيل فضيحتها في مكتبة كلينتون الرئاسية جنباً إلى جنب مع عرض فضائح الرؤساء الأمريكيين الآخرين مثل فضيحة ووترجيت.

وفي عام ٢٠٠٨ واجهت تشيلسي ابنة المرشحة الديمقراطية في الانتخابات التمهيدية، السيناتور هيلاري كلينتون، وفي فى خضم الحملة الانتخابية، العديد من الأسئلة أثناء مشاركتها بالترويج لحملة والدتها الرئاسية، غير أنها، وللمرة الأولى تواجه تساؤلاً غير مريح بشكل خاص.

فأثناء مشاركتها في حملة والدتها في جامعة بتلر بولاية إنديانا، سأل أحد أفراد الجمهور تشيلسي، البالغة من العمر ٢٨عاماً، سؤالاً يتعلق بالمتدربة السابقة في البيت الأبيض، مونيكا لوينسكي وما إذا كانت الفضيحة قد آذت سمعة والدتها. ويبدو أن تشيلسي ذهلت لهذا السؤال المفاجئ، فأجابت قائلة: "واو، أنت أول شخص، في الحقيقة، يسألني هذا السؤال ربما في السبعين جامعة التي زرتها، لست متأكدة، ولكن لا أعتقد أن هذا من شأنك."وقام الجمهور مباشرة بالتهليل للجواب بصوت عالٍ.

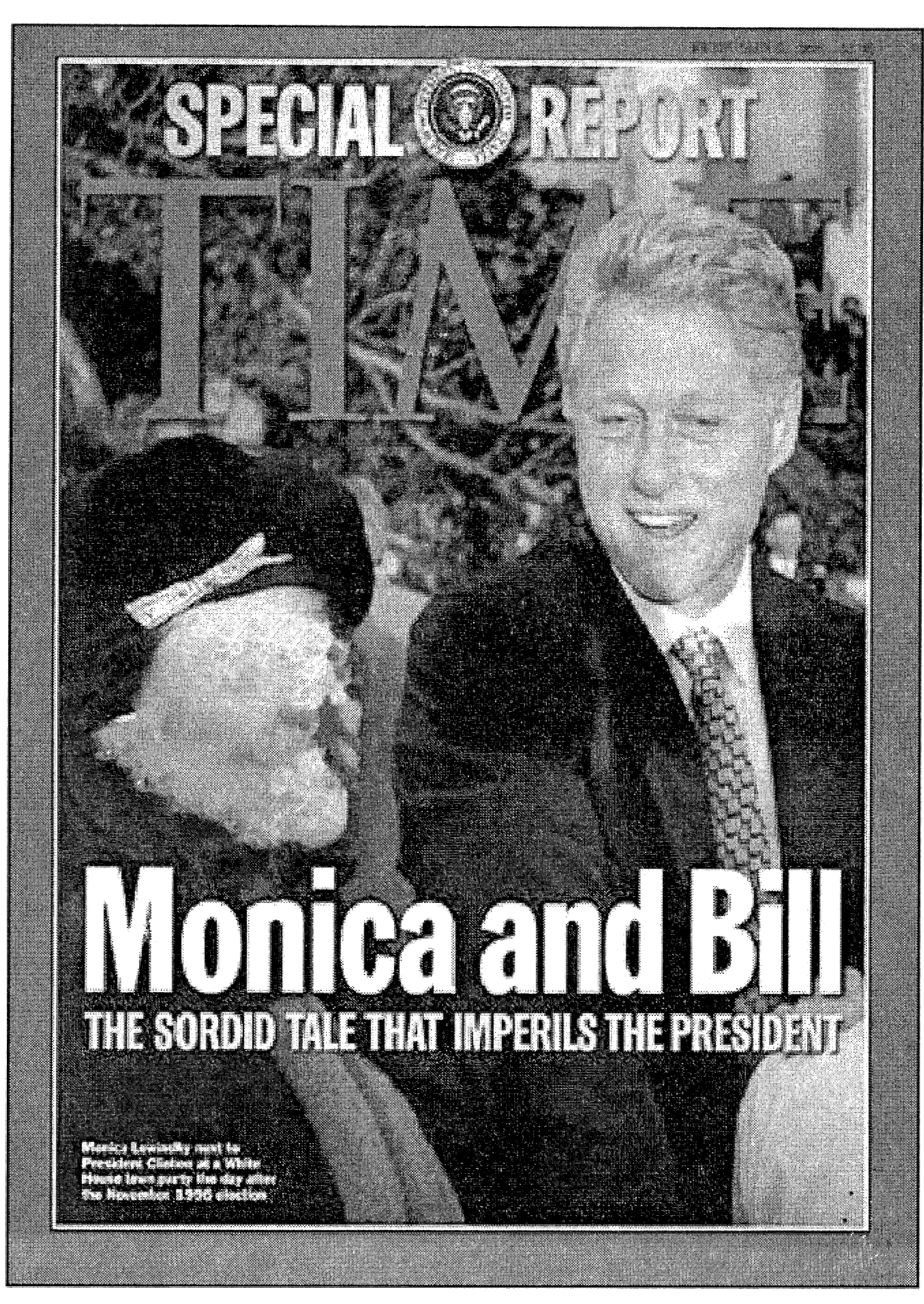
وبحسب المنظمين، كان من المفترض أن يكون هذا آخر سؤال في الحدث، إلا أن تشيلسي كلينتون قررت أن تأخذ سؤالاً آخر، قائلة "لا أعتقد أن هذا يجب أن يكون السؤال الأخير."

ومع أنها واجهت بهرجة الحياة العامة منذ كانت فتاة صغيرة، إلا أن تشيلسي كلينتون عانت من التغطية الإعلامية المتجددة بعدما بدأت تلعب دوراً بارزاً في حملة والدتها الرئاسية، في وقت مبكر هذه السنة.

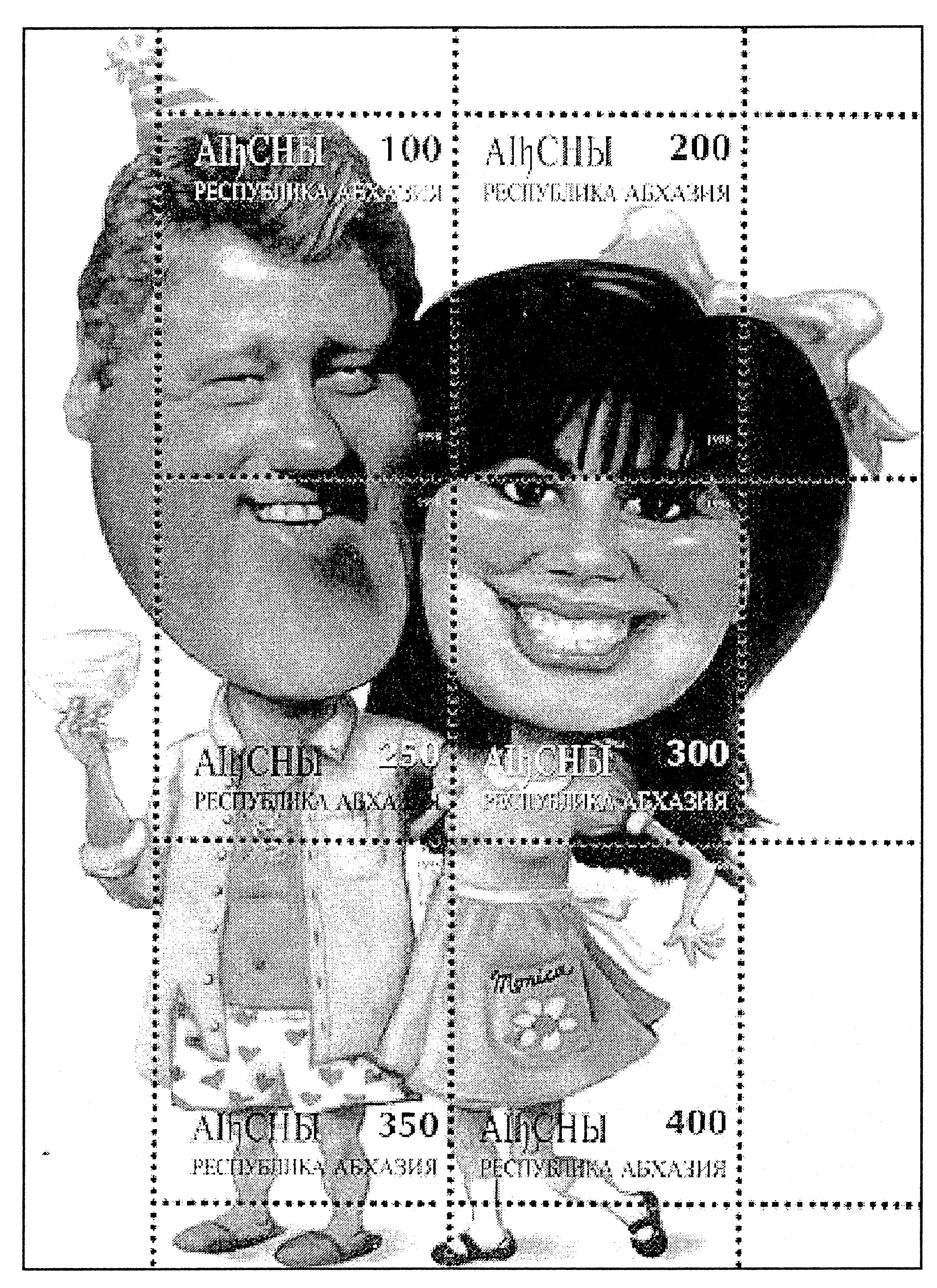
كما عادت فضيحة مونيكا لوينسكي إلى الأخبار، بعدما أشارت جداول البيت الأبيض الزمنية التي تم الكشف عنها مؤخراً أن هيلاري كلينتون كانت موجودة في البيت الأبيض على الأقل سبع مرات، بينما كان زوجها يخوض لقاءات عاطفية مع متدربة البيت الأبيض السابقة.

وكانت مونيكا لوينسكي قد سعت في عام ٢٠٠٧ بعد أن كانت على وشك الإطاحة بالرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، للحصول من جديد على عمل في البيت الأبيض، أي مع الرئيس جورج بوش، بعد أن حصلت على دبلوم في الاقتصاد من "لندن سكول أوف ايكونوميكس" إحدى أهم الكليات في بريطانيا.

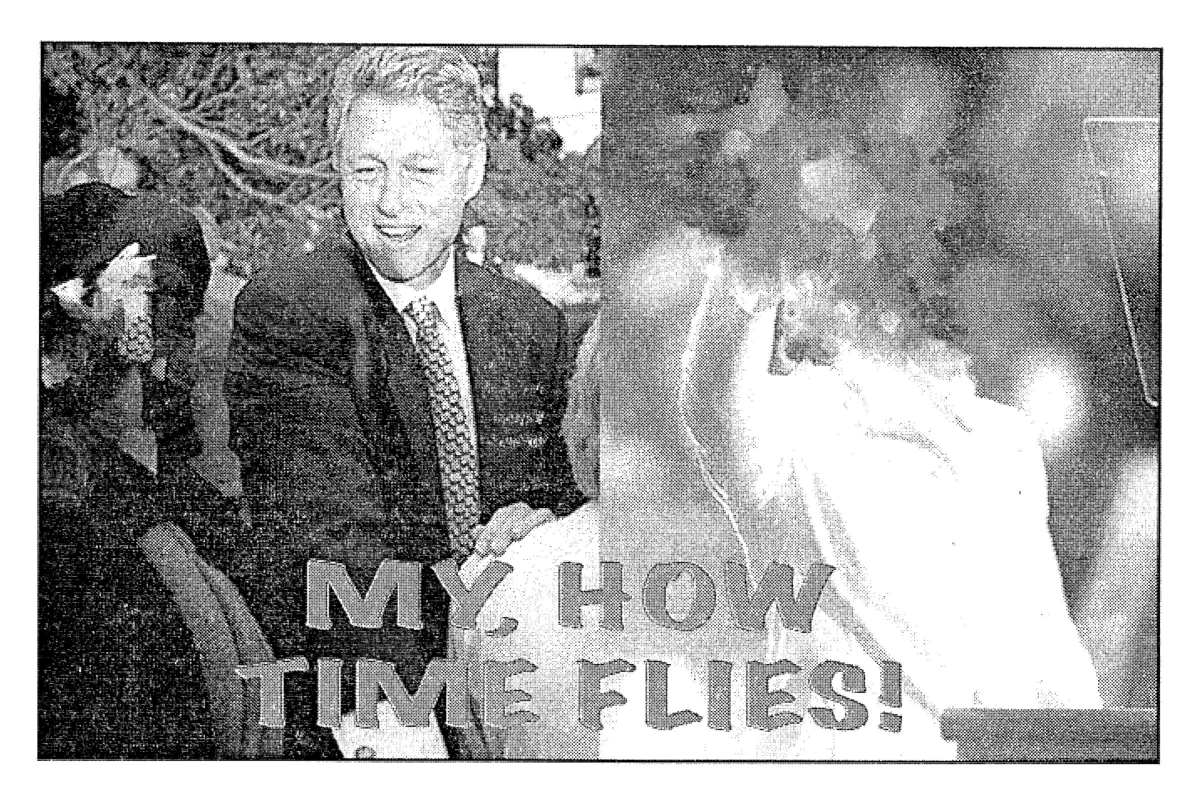
ونقلت صحيفة لوفيغارو الفرنسية عن وكيل لوينسكي قوله إن لوينسكي البالغة من العمر ٣٣عاماً تسعى جديًّا للحصول على هذه الوظيفة !!

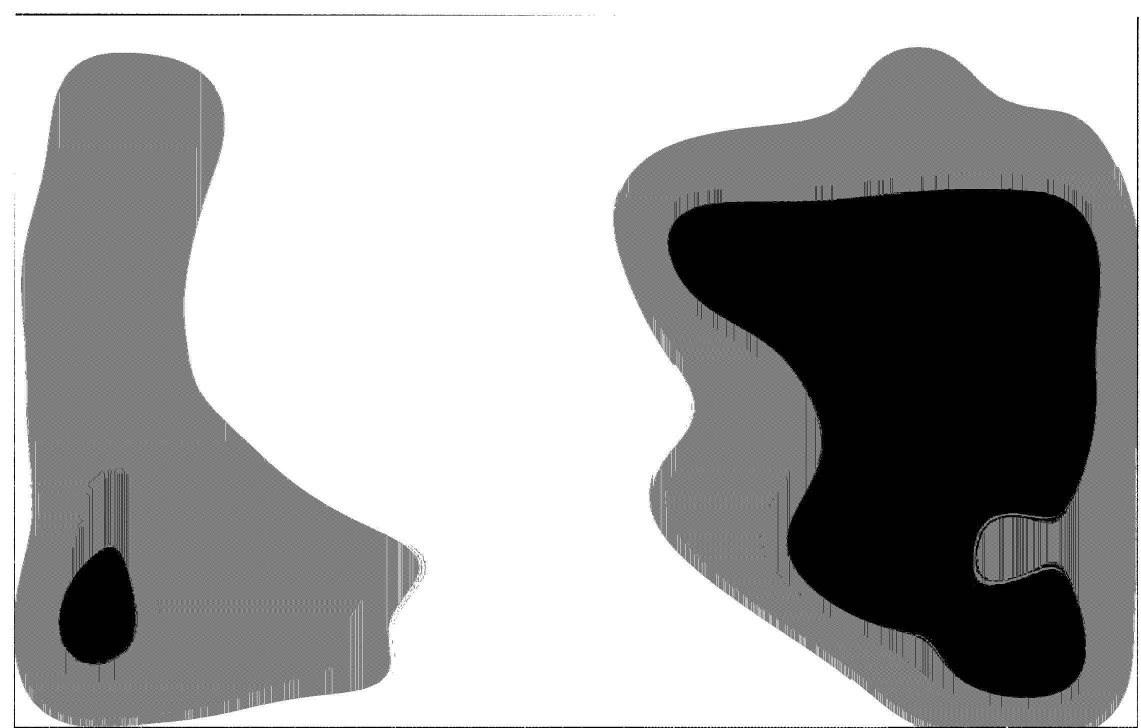


كلينتون ومونيكا بعد تفجر الفضيحة أصبحا حديث الصحافة ,هنا على غلاف مجلة " تايم " الأمريكية .



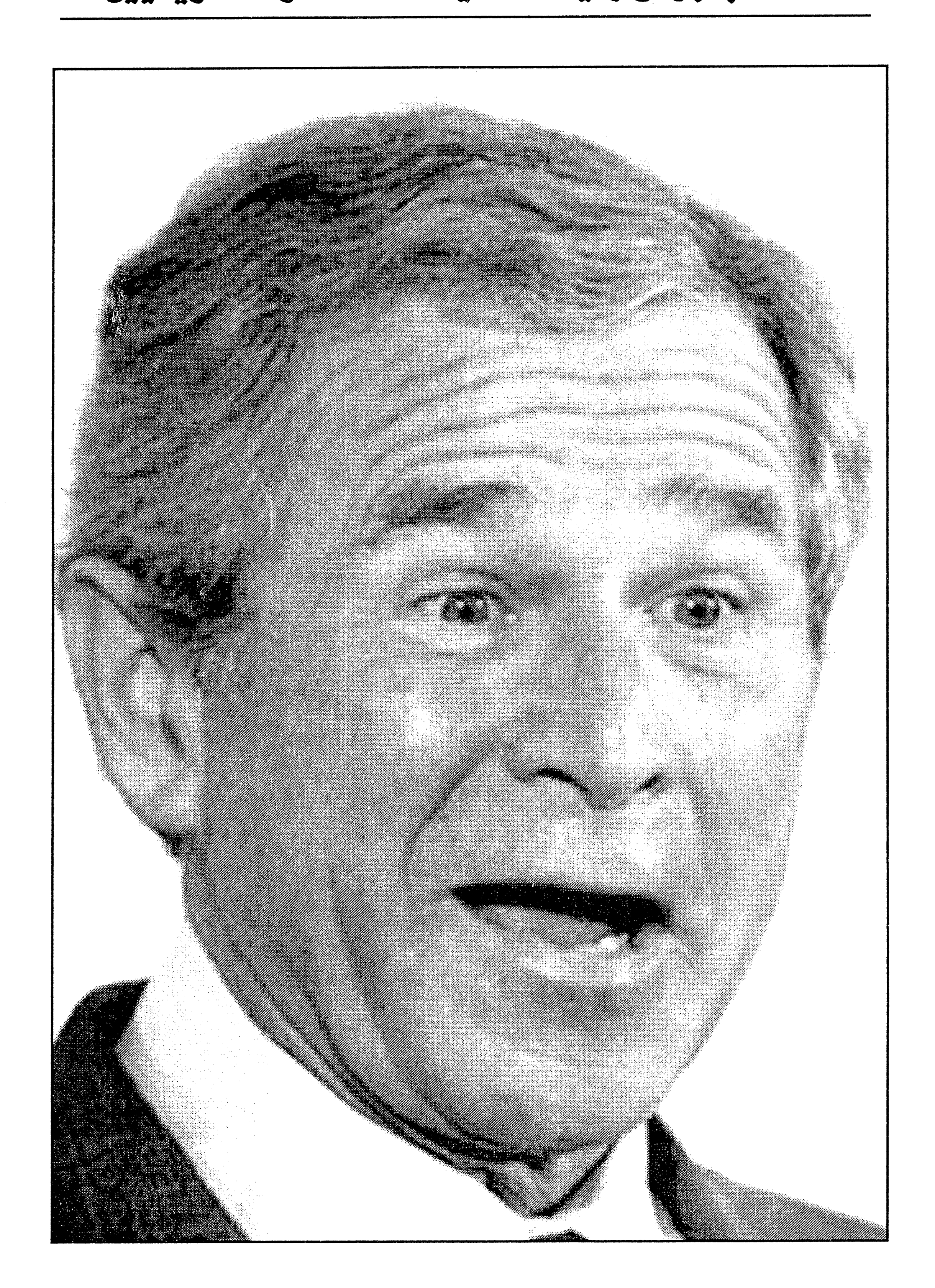
و أصبحا مادة ثرية ومغرية لرسامي الكاريكاتير العالميين !





و ظل شبح فضيحة كلينتون و مونيكا يطارد هيلاري حتى في حملتها الانتخابية عام ٢٠٠٨ للفوز ببطاقة ترشيح الحزب الديمقراطي لتمثله في انتخابات الرئاسة، والتي انتهت بهزيمتها أمام باراك أوباما !!

٨- انتخاب بوش رئيسًا خطيئة لا تغتفر للأمريكيين !!



أكبر كارثة حلت بأمريكا، و على مدي تاريخها بأكمله، هي سقوط الأمريكيين في " فخ بوش " و انتخابهم رئيسا متطرفا و مجنونا و أهوجَ و أحمقَ، يحمل أفكارًا شيطانية ومتطرفة و غبية و أحيانًا بلهاء، و منها فكرته حول أن الصراع بين الخير والشر لا بد وأن يحدد توجهات أمريكا، وأن عليها أن تنهض بتفويض من الرب، لاستئصال قوى الشر من العالم، باعتبارها تمثل قوى الخير . و يتساءل جرينوولد: "من أعطاه هذا التفويض الإلهي"، هل يمكن أن نصدق هراءه بأن الرب جاءه وطلب منه إنقاذ العالم، بترديده في مناسبات عدة عند ترشيح نفسه : " لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة " !!

هكذا يقول المفكر الأمريكي المخضرم جلين جرينوود في كتابه " الإرث المأساوي: كيف دمرت أفكار بوش عن الصراع بين الخير و الشر رئاسته ؟! "، الذي صدر في عام ٢٠٠٧، ووصفته قناة " فوكس نيوز" الأمريكية " بأنه أفضل كتاب عن أسوأ رئيس "، بينما وصفه مؤلفه جرينوود نفسه بأنه : ليس مجرد كتاب و إنما عمل وطني قام به مؤلفه جلين جرينوود " لما تضمنه من تحليل للبعد الديني في شخصية بوش، وتأثيراته الكارثية على أمريكا الحاضر والمستقبل، ومحاولة تبصير الأمريكيين بما ينتظرهم على يدي رئيس ديكتاتور، اختطف دينهم المسيحي، وصبغه بنبوءات توراتية كاذبة، و راح يتاجر به ليأخذهم معه إلى الحضيض !!

ويقول المؤلف إن بوش، الذي يعاني اضطرابات عقلية، ويحمل إرثاً دينياً متطرفاً، لم يكن مؤهلاً لتولي منصب سياسي كبير كمنصب الرئيس، ولهذا لجأ

لإضفاء طابع ديني على حملته لتسويق نفسه كرسول العناية الإلهية، والمسيحي المدجج بأفكار توراتية !!

والحقيقة أن جرينوود لم يجاف الحقيقة فيما قاله في كتابه، فقد قدم الرئيس بوش الابن نفسه – وهكذا كل ديكتاتورعرفه التاريخ – على أنه القائد الأوحد، رسول العناية الإلهية، المنقذ والمخلص، الذي بعثته السماء لكي يخلص البشرية من شتى أنواع الشرور التي يواجهها، وأثبت التاريخ أنه كان هو الشرور نفسه .. إنه نفس الادعاء الذي ساقه هتلر لتبرير تدميره للعالم باسم إنقاذه ..

و رفع جورج بوش الابن شعار " أميركا المزدهرة "، وفلسفة " الرحمة المحافظة" بعد فوزه بتمثيل الحزب الجمهوري لخوض سباق الرئاسة . وقد فسر بوش شعاره وفلسفته بأنهما يهدفان إلى إعطاء الفرصة لكل مواطن أميركي لتحقيق كل أمانيه، وأن الدولة ستسعى إلى تخفيف الأعباء عنه بتخفيض الضرائب، وتوفير الضمان الاجتماعي، والخدمات الصحية والتعليمية للجميع.. و مع ذلك خذل الأمريكيين ليذوقوا على يديه الأَمَرِّين !!

و من هنا، لم يكن من الغريب أن يتفق ١١١ مؤرخًا من أكبر المؤرخين الأمريكيين على أن الرئيس الأمريكي جورج بوش هو الأسوأ في العالم في القرن الحادي والعشرين و أحد أسوأ الحكام في التاريخ .

ومما ينفي أية شبهة في هذا الحكم هو أن من بين هؤلاء المؤرخين مجموعة كبيرة من صفوة المؤرخين الأمريكيين أنفسهم، ناهيك عن أن الجهة التي أجرت الاستطلاع ليست إسلامية أو عربية أو روسية أو لاتينية، وإنما أمريكية هى "منظمة الرأي العام العالمية التابعة لجامعة ميريلاند الأمريكية المعروفة بحيادها وشفافيتها في إجراء استطلاعات الرأي رغم هويتها !! "

وأكدت صحيفة " واشنطن بوست " الأميركية – و هى تعلن نتيجة الاستطلاع في العاشر من يونيو عام ٢٠٠٨ - أن الرئيس جورج بوش هو أيضًا – كما أشار الاستطلاع - الرئيس الأسوأ في تاريخ الولايات المتحدة.

وقللت الصحيفة،، من جدوى وأهمية الجهود الحثيثة والمتزايدة للرئيس بوش ولكبار مستشاريه، في اللجوء إلى "القياسات والمقارنات التاريخة"، لتلميع صورته وتأكيد صحة وصوابية مواقفه السياسية، التي اتخذها أثناء وجوده في البيت الأبيض لفترتين رئاسيتين.

وأضافت الصحيفة: بينما تتجه أيام بوش في البيت الأبيض إلى نهايتها، يسعى وبشكل متزايد، لاختيار أحداث تاريخية منتقاة، بهدف المجادلة بأن التاريخ سوف يبرئه ،حيال أخطائه التاريخية التي تصل لمرتبة الخطيئة!، ويمكن وصفها بأنها "وصمة عار "، و منها نسفه لمضمون الدستور الأمريكي، والتجسس على شعبه، بعد تحويل أمريكا إلى دولة بوليسية، وحروبه في العراق وأفغانستان، وحربه الزائفة على "الإرهاب"، ومواقفه من التجارة العالمية، وتلوث البيئة، وأخطاء أخرى بالجملة !!

وأوضحت الصحيفة: لقد تزايدت، وبشكل مطرد وملحوظ هذا العام القياسات التاريخية في خطابات بوش ولقاءاته الإعلامية، سواء أكانت تلك الخطب أمام قادة أجانب، أم أثناء تحدثه إلى العمال والموظفين، في إحدى ضواحي مدينة "سانت لويس" الأميركية، مشيرة إلى أنه من المتوقع أن يواصل التركيز على ذلك أثناء زيارته لأوروبا، حيث سيلقي كلمتين في برلين وباريس، بمناسبة الذكرى الستين لخطة "مارشال"، التي قامت بها أميركا بعد الحرب العالمية الثانية للمساعدة في إعادة بناء أوروبا.

وأكدت الصحيفة أنه ولسوء حظ الرئيس بوش، فإن الكثير من المؤرخين الأميركيين، وقبل رحيله عن البيت الأبيض، توصلوا إلى نتيجة حاسمة تناقض وتنسف كل جهوده وجهود مستشاريه، و هى أنه الأسوأ .

وكشفت الصحيفة ان بوش وفي بداية رئاسته الأولى، لم يكن يبالي بالشكوك حيال ميراثه الرئاسي على المدى الطويل، وانه أجاب عندما سأله مراسل صحيفة "واشنطن بوست" الشهير بوب وودورد في ديسمبر من عام ٢٠٠٣ كيف سيحكم التاريخ على حربك على العراق؟ بقوله : "التاريخ.. لا نعلم، سنكون حينها أمواتاً جميعاً".

واستشهدت بأقوال المؤرخ دوغلاس برينغلي من جامعة "رايس" الذي يقول: الشيء الوحيد الذي يربط جورج بوش بهاري ترومان هو أنهما خرجا من البيت الأبيض بأقل نسبة من التأييد الشعبي لسياستهما، وهذا خيط رفيع جداً.

و هكذا يحسم هذا الاستطلاع الجدل بين المؤرخين الأمريكيين، بعد أن أوضح الاستطلاع أن ٦٠٪ من الناس في ٢٠ دولة لا يثقون في مستر بوش، وبذلك يكون بوش قد حقق - كما يقول جيم لوب - إجماعاً عالمياً حول عدم الثقة به، وأنه أقل رؤساء العالم مصداقية. وبذلك يكون بوش قد شكل صورة سيئة لنفسه وللولايات المتحدة الأمريكية.

يضيف جيم لوب أن عدم الثقة العالمية في بوش قد خلق فراغاً في القيادة على مستوى العالم، كما أن نتائج هذا الاستطلاع تؤكد ما توصل إليه استطلاع آخر أجراه مركز بيو، حيث أوضح أن الناس في ٢٤ دولة لديها اتجاهات سلبية نحو مستر بوش خاصة في غرب أوروبا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

كما أوضح الاستطلاع تناقص نسبة الذين يهتمون بالانتخابات الأمريكية، وهو ما يعني أيضاً أن الناس فقدت الثقة في الديمقراطية الأمريكية.

بوش بإجماع المؤرخين قد قاد أمريكا وحلفاءها إلى كارثة في العراق وأفغانستان، وأن غزو العراق قد جلب على أمريكا الخراب حيث دمر نفسية جنودها وأفقدهم الثقة في أنفسهم، وأفقدهم ثقة الشعوب في قدراتهم كمقاتلين.. وأن الجنود الأمريكيين

أصبحوا مجرمي حرب يدمرون المدن باستخدام الصواريخ التي يطلقونها من بعيد، ويبيدون البشر باستخدام القنابل الفتاكة لكنهم لا يصمدون كمقاتلين أمام قوة المقاومة العراقية الضعيفة، والتي تمتلك عقولاً مبدعة، وإصراراً على تحرير الأرض.

بوش أيضًا بإجماع المؤرخين اتفقوا على أن بوش قد ألحق بأمريكا هزيمة تاريخية، وأنه كان يطمح إلى بناء امبراطورية أمريكية عالمية تسيطر على كل الشعوب، وتستولى على نفط الشرق الأوسط، وعلى ثروات الشعوب فأضاع بطموحه القاتل الجمهورية والديمقراطية وحرية الشعب الأمريكي وكرامته، وأدى إلى تدهور الاقتصاد العالمي حيث ارتفعت أسعار الغذاء بشكل جنوني حتى أصبح الناس يتقاتلون على رغيف خبز، وازدادت الأمراض حتى أصبح الناس يموتون في الشوارع ولا يجدون الدواء، وفتحت السجون السرية في كل دول العالم، وتم انتهاك كرامة الإنسانية كلها في هذه السجون، وفقدت أمريكا صورتها كمدافعة عن حقوق الإنسان، وتحول الأمريكي فى نظر شعوب العالم إلى مجرم حرب.

المؤرخون أيضاً اتفقوا على ان شعوب العالم قد كرهت الرؤساء التابعين لأمريكا والذين كانوا ينفذون أوامر مستر بوش.. وأن أمريكا قد أعانتهم على ظلمهم وفسادهم حتى كرهتهم الشعوب، وكرهت أمريكا، وكرهت الحياة من أجلهم. وان أكبر خسارة لأمريكا هي صورتها كدولة ديمقراطية تدافع عن حقوق الإنسان، حيث جعلها بوش دولة عدوانية أراقت دم العراقيين والأفغان وأيضًا الفلسطينيين بدعم جرائم إسرائيل ضدهم، و حمايتها من أية مساءلة !!

وبالنسبة لحرب العراق فإنه قبل وقت طويل من بدء الغزو في مارس عام٢٠٠٣ ارتفعت أصوات عدد من الساسة المحنكين الذين أعربوا عن معارضتهم تلك الحرب. وكان من بين المعارضين "برنت سكوكروفت" مستشار الأمن القومي السابق في حكومة الرئيس "جورج دبليو بوش الأب" الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة.

وشرح "سكوكروفت" وجهات نظره ضمن مقالة بعنوان "لا تهاجم صدام حسين" نشرتها صحيفة "وول ستريت جورنال" يوم الخامس عشر من أيلول سبتمبر عام ٢٠٠٢.

ونظرا لأن "سكوكروفت" كان مقربا من الرئيس الحادي والأربعين إلى حد كبير اعتُبرت تلك المقالة على نطاق واسع كما يقول إنها طريقة الاتصال الوحيدة بين الأب الذي يشعر بالقلق الشديد وابنه المولع بالقتال. لكن هذا الابن رد على "سكوكروفت" ليس باعتباره في مقام عمه ولكن باعتباره بديلا مملا لوالده فقال: لقد صار "سكوكروفت" مزعجا للغاية حينما أصبح مسنا.

ويعرب "جاكوب واينزبرغ" مؤلف كتاب " مأساة بوش "، عن اعتقاده بأن الرئيس بوش دخل عالم السياسات القومية وهو مصمم على أن يصبح عكس والده الذي اعتبره رئيسا ضعيفا أخطأ حينما أبقى صدام حسين في سدة الحكم وحينما لم يتخذ موقفا متحديا إزاء الصين ولعدم تباهيه على الملأ بانتصار أمريكا في الحرب الباردة.

ويضيف المؤلف أن المحافظين الجدد الذين ازدراهم الرئيس بوش الأب ونأي بنفسه عنهم وفروا للرئيس الابن أسبابا وحججا مقنعة لانتقاد سياسات أبيه الخارجية وقدموا له البديل.

وأضاف "وايزنبرغ" أن غطرسة هؤلاء المحافظين الجدد دفعتهم إلى تجاهل حقائق التاريخ والتشكيلة الدينية للشعب العراقي.

ويستطرد المؤلف فيقول إن بعض المحللين المعنيين بالتاريخ كانوا يعتقدون أن كل المجتمعات سوف تتبنى الديمقراطية حينما تتحرر من الاضطهاد. وكان الرئيس بوش والمحافظون الجدد يتحدثون كثيرا عن النماذج التاريخية لكنهم كانوا يركزون على القياس أو النموذج الخاطئ مثل نجاح عملية إعادة إعمار اليابان وألمانيا وإرساء الديمقراطية فيهما في إعقاب الحرب العالمية الثانية وكذلك الثورة التي اندلعت في أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩.

بوش والمحافظون الجدد لا يعرفون شيئا عن العراق . لقد شعر ثلاثة من المنفيين العراقيين بالصدمة حينما التقى بهم الرئيس بوش عشية الحرب في بداية عام ٢٠٠٣ لإطلاعه على الشأن العراقي واكتشفوا انه لا يعرف الفرق بين السنة والشيعة.

ويتساءل المؤلف: كيف فات الرئيس بوش وهؤلاء المحافظون أن يدركوا أمرا جليا وهو أن الإطاحة بالدكتاتور صدام من شأنها تمكين إيران؟

ويجيب المؤلف أن إيمانهم بإمكانية تحقيق عملية التحول إلى الديمقراطية ورفضهم بعناد الحقائق الخاصة بتوازن القوى في السياسة الخارجية أفقدهم البصيرة على ما يبدو، وأشار إلى أن "برنت سكوكروفت" حذر في وقت مَّا من خطر تقوية شوكة إيران لكن آذان الرئيس بوش كانت صماء.

وبعد خمسة أعوام من بدء الحرب في العراق ما زلنا لا نعرف الكثير: كيف ولماذا ومتى ومن كانوا حاضرين وقت اتخاذ واحد من أهم – وربما من أسوأ – القرارات في التاريخ الأمريكي الحديث. كما أننا لا نعلم شيئا بالتأكيد عن صلة تلك الحرب بالعلاقة المعقدة بين رئيسين - أب وابنه - دخل كلاهما حربا ضد صدام حسين.

وقد لا نعرف أبدا إلى أي مدي يدرك الرئيس بوش – الذي يصف نفسه بأنه "صاحب القرارات" – أنه على العكس تماما من والده الحذر والمتروي في اتخاذ القرارات والمؤمن بسياسة التعاون بين الدول.

لكن كتاب " مأساة بوش " محاولة جادة للتغلغل فيما قد يكون دراما عائلية غير عادية. كما أن الكتاب مبني في جانب منه على تحليل تقارير نُشرت بالفعل، وفي جانب آخر على أمور جديرة بالملاحظة ولكنها في الغالب لم توردها التقارير.

وبالجمع بين تاريخ بوش الشخصي وعلاقته بعائلته وإيمانه الشخصي وأسرته البديلة في البيت الأبيض يخلص المؤلف Weisberg إلى أن قرار غزو العراق نجم

عن ميل ونزوع إلى تبرئة عائلته والدفاع عنها والتفوق على والده عن طريق إنجاز المهمة التي لم يكملها والده حينما سمح بوش الأب لصدام حسين بالبقاء في موقع السلطة بعد انتهاء حرب الخليج الأولى.

وربما يصبح من المعقول أن يكون لعلاقة الأب بالابن والتفاعل بينهما دور محوري في عملية صنع القرار - ولكن هناك الكثيرين الذين دعموا قرار غزو العراق وأيدوه من خارج عائلة بوش استنادا إلى المعلومات التي أبلغت لهم بأن "صدام" يشكل تهديدا.

وفي الواقع كان نفسه واحدا من هؤلاء الذين يُطلق عليهم اسم "الصقور الليبراليين" وكان من المؤيدين للحرب الذين سلموا بأن المنطق الكامن وراء غزو العراق متماسك إلى حد كبير.

يقول المؤلف إنه يعتقد أن من بين العوامل التي دفعت الرئيس بوش إلى شن الحرب رغبته في الانتقام لمحاولة اغتيال والده قبل سنوات أثناء زيارته الكويت— لكنه سلم بأن هذا العامل ليس رئيسيا خاصة وانه لم يتوفر أي دليل على ضلوع العراق في المؤامرة أو على وجود مخطط للاغتيال على الإطلاق - كما أن الجيش الأمريكي لم يعثر على أي ملفات حول تلك المؤامرة المزعومة في ملفات مخابرات صدام حسين بعد الغزو.

ويعتبر كتاب مأساة بوش في حقيقته عبارة عن صورة معيبة لرئيس ورئاسة استنادا إلى عملية تحليل نفسية عميقة.

ويقول "واينزبرغ" إن قرار غزو العراق قرار خاطئ بغض النظر عما سيكون عليه حال تلك الدولة في المستقبل.

ويقول المؤلف إن ما يثير السخرية من المغامرة الكارثية المتعلقة بدخول العراق هي أنها أثبتت صحة خيارات والده، خاصة قرارات بوش الأب في عامي ١٩٩٠ و١٩٩١

الخاصة بإجبار صدام على سحب قواته من الكويت المجاورة وعدم الإطاحة به خشية تفجير صراع عنيف على السلطة بين الأكراد والسنة والشيعة– وهو ما حدث بالفعل منذ الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣. وهكذا أصبح ما اعتبر فشلا من جانب الرئيس الأمريكي الحادي والأربعين لإتمام "المهمة" في العراق. تصرفا حكيما الآن من جانب رئيس يقدر قيمة الحفاظ على الاستقرار.

خطيئة بوش الكبرى، بدأت في اللحظة التي قرر فيها احتلال العراق وتدميره والتبجح باعادة تشكيل مجتمعه وفق المنظور الأمريكي للحياة، ولن تنتهي هذه المأساة بانتهاء فترة رئاسته و إنما ستنتقل إلى خلفه ومن بعد خلفه إلى خلف خلفه إلى ان تنهار أمريكا، كما انهار المغول الذين دمروا بغداد العام ١٢٥٨ ميلادية واحتلوها ولكن المغول لم يعمروا بعد احتلالهم سيدة مدن العالم، أكثر من مئة عام!!!

وسيكتب التاريخ ان إدارة الرئيس بوش وعصابة المحافظين الجدد قد نجحت، خلال ثمانية أعوام، في تحويل أمريكا إلى إمبراطورية الخوف وفي بث الرعب والهواجس بين صفوف الأمريكيين و إقناع الغالبية العظمى منهم، زورا، بأن الحرب على الإرهاب، حرب مفروضة على أمريكا، وهي تهدد أمنها وأسلوب حياتها، لذا لا بد من خوضها "حتى النهاية"، وأن النصر فيها ممكن، ولكن يحتاج إلى تضحيات جسام.

وسيكتب التاريخ أنه كان رئيسا متغطرسا وأن هذا التغطرس كان أحد أوجه مأساته ومأساة طاقمه. إن غطرسة هؤلاء المحافظين الجدد دفعتهم إلى تجاهل حقائق التاريخ والتشكيلة الدينية للشعب العراقي.

وسيكتب التاريخ أن الرئيس بوش لعب دورا خبيثا في زعزعة أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط، كما لم يلعبه أي من اسلافه. لقد تركت فترتي إدارته آثارا تدميرية هائلة ومؤلمة يستغرق علاجها عقودا من الجهد والعرق والتضحيات.

لقد كانت فترة حكمه نقمة وكابوسا مرعبا على منطقتنا، أغرقها في بحور من الدماء والدموع وعاث فيها الخراب والدمار باسم إنقاذ العالم ونشر الحرية والديمقراطية.

سيدون التاريخ، أن العالم قد اكتشف، بعد غزو العراق واحتلاله، كيف اتخذ الرئيس بوش، واحدا من اسوأ القرارات في التاريخ الأمريكي الحديث. وكيف ضلل الأمريكيين والرأي العام العالمي بخوض الحرب بدعاوى كاذبة وملفقة على أساس معلومات استخباراتية زائفة.

ويكتب التاريخ باستهجان واستنكار واشمئزار، صفحات طويلة، عن فظائع وفضائح التعذيب في سجن أبو غريب ومعتقل غوانتانامو. فضائع وحشية يندى لها جبين البشرية. تلك الجرائم التي فقدت جراءها امريكا روحها وعقلها وشوهت المبادئ التي تتغنى بها وتأسست عليها.

وسيذكر التاريخ أنه اقترف جريمة قتل أكثر من مليون ونصف المليون عراقي برىء وشرد أربعة ملايين آخرين ويتم خمسة ملايين طفل وطفلة وارمل ثلاثة ملايين امرأة وخطف وحجز آلاف الاطفال والنساء والشيوخ والشباب واودعهم السجون والمعتقلات من دون أية تهمة أو محاكمة وكان سببا في اغتيال ٥٥٠٠عالم ومفكر عراقي، وكان سببا في إطلاق وحوش الطامحين الجدد ليعيشوا في بلاد الرافدين فساداً وظلما وجورا وظلاما وكان سببا في زج الآلاف من شباب أمريكا في أتون محرقة أدى إلى قتل وجرح وتشويه الآلاف منهم. واستحق بذلك هو وطاقمه بجدارة لقب مجرمي الحرب .

سيسجل التاريخ، أنه أهدر أكثر من ٣ ترليونات دولار في حروبه العبثية. لقد كان هذا المبلغ الفلكي كافيا لتحويل العالم إلى واحة سلام وأمن، يقضي على الجوع والمرض وغلاء اسعار المواد الغذائية، ويبني المدارس والمستشفيات في أفريقيا ويخلق ثقافة التسامح، ويكسب قلوب وعقول العالم يتغنون بحب أمريكا ومبادئها.

سيكتب التاريخ، أن الدافع الأساسي لاحتلال العراق كان هو النفط وأمن إسرائيل. كما أكده أكثر من مسؤول أمريكي رفيع مثل كرين فيسباغ، وزير الخزانة الأمريكية السابق .

وسيدون باحتقار واستهجان قيام قواتها بحماية وزارة النفط العراقية وتركها المتحف الوطني العراقي، لنهبه من قبل اللصوص وعبث الحاقدين وإيغالها في تدميرالآثار العراقية عمدا بمرور دبابات الغزو والعدوان لتحول آثار سبعة آلاف سنة من الحضارة إلى تراب. تلك الآثار التي كانت تعتبر واحدة من أعظم الكنوز البشرية وتراثها، تحكي قصة بداية الحضارة الإنسانية ومراحل رقيها.

سيصف التاريخ أن هذا الرئيس كان مغرورا إلى درجة الهستيريا، ومولعا بسفك دماء الأبرياء حتى الثمالة.

سيكتب التاريخ أنه وقف يوما على أشلاء أطفال فلسطين، وجثث نسائها وشيوخها، وقف على أطلال القرى والبيوت الامنة التي دمرتها جرافات الدبابات الإسرائيلية، ليكرم القتلة ويمتدحهم على فعلتهم الشنعاء.دون أي احترام للدماء التي سالت من جسد كل شجرة ونضحت من عنقود كل كرمة في فلسطين المحتلة.

سيكتب التاريخ، بلا هوادة، أن الرئيس بوش كان متعجرفا يتجنب الاعتراف بالأخطاء ويكره الانتقاد ويتحاشى الاستماع إلى الأخبار السيئة ويرفض أن يسدي أحدهم نصيحة إليه، يستخف بآراء خبراء السياسة؟ ويميل إلى إعطاء الانطباع بأنه ساذج و يكره بعناد مواجهة الحقائق التي لا تروق له.كل هذه الخصال غير الحميدة يذكره روبرت درايبر، في كتابه " تناقضات الرئيس " .

سيدون التاريخ أن الرئيس بوش كان رئيسا فاشلا، وتأكيدا لهذه الصفة، منحه زبغنيو برجينسكي، مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر، درجة (F) في الحكم، يعني راسب في الامتحان، أي فاشل، وكلمة الفاشل، من أكثر الكلمات قسوة وكراهيةً في القاموس الامريكي.

سيؤكد التاريخ، كما يذكر برجينسكي: على أن الولايات المتحدة الأمريكية أهدرت فرصة قيادة العالم في زمن الرئيس بوش. وأن ازدياد سوء الوضع في العراق أو توسيع دائرة الحرب في الشرق الأوسط بمهاجمة إيران ربما يؤديان إلى أن تذكر كتب التاريخ أن عمر الولايات المتحدة كقائدة للعالم كان قصيرا جدا. وأن التفوق العسكري الأمريكي وأوهام واشنطن واتساع نفوذها قد تحطمت على صخور الفشل في العراق.

سيكتب التاريخ، أن حرب العراق كانت كارثة جيوبوليتيكية، اثار مشاعر الاستياء لدى العالم ضد أمريكا ووفرت تربة خصبة لتجنيد المزيد من الإرهابيين وأصبحت مشاعر العداء للولايات المتحدة هي القاسم المشترك بين معظم شعوب العالم. كما يؤكد برجينسكي.

وسذكر التاريخ كيف أعاد بوش تمثيل شخصية طاغية كهتلر، و روع مثله العالم، ولعل هذا هو ما وصفه به جون دين مستشار الرئيس الأمريكي الراحل ريتشارد نيكسون في كتابه الشهير " محافظون بلا ضمير " حيث نعته بـ" النازي هتلر "، ونعت نائبه ديك تشيني بـ" موسوليني " ديكتاتور إيطاليا الراحل !!

في كتابه "محافظون بلا ضمير"يقول دين إنه أي كتابه : "وثيقة دامغة " تؤكد أن بوش الابن سعى – بقوة – لتحويل الولايات المتحدة إلى صورة طبق الأصل من ألمانيا النازية تحت زعامة هتلر، وإيطاليا الفاشية بقيادة موسوليني " !!

ويمضي جون دين في كتابه حيث يؤكد عن قناعته بأن بوش والمحافظين الجدد وعلى رأسهم نائبه ديك تشيني ومعهم العناصر المتطرفة في الحزب الجمهوري في أمريكا يسيرون بالبلاد في نفس الطريق الذي سار فيه أدولف هتلر في ألمانيا، وبينتو موسوليني في إيطاليا، وانتهى في الثلاثينيات بصعود النازية والفاشية.

ويقول المؤلف إن مكمن الخطورة هو أن ٢٣٪ من الجمهوريين و معهم ما يقارب الـ٣٥٪ من المتطرفين من جميع الاتجاهات في أمريكا قد أصبحوا يسيرون

معصوبي الأعين وراء بوش ومحافظيه غلاة التطرف، الذين يتهمهم بتدمير الديموقراطية الأمريكية.

ويعقد دين في كتابه مقارنة بين ما يسميه بـ"الحالة النفسية" التي كان عليها الشعب الألماني بعد الحرب العالمية الأولى، ورغبته في الثأر ورد اعتباره بعد تعرضه للهزيمة والإذلال وإذعانه لشروط المنتصرين، ونفس " الحالة النفسية " التي كان عليها الشعب الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا.

ويقول دين في كتابه: " إنه وكما عزف الحزب النازي بزعامة هتلر في ألمانيا على هذه " الحالة النفسية " وزكاها، واستغلها للانفراد بالسلطة، وإقامة حكم شمولي، قبل الدخول بالعالم في حرب عالمية ثانية، هاهو بوش والمحافظون الجدد يفعلون نفس الشيء، وقد يجرون العالم إلى حرب عالمية ثالثة".

ويحذر دين في كتابه من أن "المحافظين الجدد وعلى رأسهم ديكتاتورهم بوش، كما هتلر و نازييه، يعبئون المجتمع، ويجيشونه لتقبل مشروعاتهم العسكرية، للهيمنة على العالم لدرجة تسمح حتى بقبولهم اللجوء إلى " الخيار النووي "!

ويقول دين: إنه كما فعل ستالين أيضاً في روسيا السوفيتية، يفعل بوش في أمريكا، حيث تحول الحزب الجمهوري إلى ما يشبه الحزب الشيوعي، والمحافظين الجدد يسيرون على خطى الشيوعيين، وبمعنى أوضح سنجد الحزب الجمهوري - كما الشيوعي - حيث وجود أيديولوجية رسمية تعتنقها النخبة الحاكمة والحزب، وتتخذها ركيزة لسياسات الدولة داخليا وخارجياً، وهي تمثل إطارا فكريا متكاملا، يبلور ويحدد الغايات النهائية للمجتمع، ويقدم تفسيرا للواقع الاجتماعي، وتتداخل اختصاصاته مع اختصاصات جميع هيئات ووزارات ووكالات الدولة .

ويؤكد دين أنه إذا كان المحافظون يزعمون بأن القوة العسكرية وليس الدبلوماسية أو العدالة أو الشرعية الدولية هي الأداة الأساسية لمواجهة الشر أو الإرهاب، فإن

هذه العقيدة المغلوطة ستؤدي إلى العكس بل ستكون السبب الرئيسي في انهيار كل ما حققته أمريكا منذ نشأتها من مكتسبات .

ويقول دين إنه يتعين على المحافظين الجدد وقف "المارشات العسكرية" و"سياسات الترويع" ، واستغلال ورقة " الحرب على الإرهاب "، و"التباين الديني" على نحو يؤدي إلى خلق جماعات إرهابية جديدة كنتيجة للسياسات الأمريكية .

ويتناول دين في كتابه الخطاب السياسي والديني للمحافظين الجدد والذي نجحوا به في خداع الأمريكيين - كما نجح هتلر ودعاباته في خداع الألمان - وساعدهم على ذلك هيمنتهم على وسائل الإعلام حيث زرعوا أنفسهم فيها باعتماد لغة المصالح المتبادلة مع مالكيها ومسؤوليها.

ويستدعي دين جانباً من الدراسات التي تؤكد كيف تفوق المحافظون الجدد على سائر الجماعات الأخرى في إعداد الاستراتيجيات وفي كل شيء يساعد على نشر المعلومات نحو الرأي العام ووسائل الإعلام التي من شأنها أن تؤثر على الكونجرس الأمريكي. وتفيد دراسة نشرتها جمعية مراقبة وسائل الإعلام الأمريكية أن أكثر من نصف المعلومات التي نشرتها وسائل الإعلام من إنتاج مجموعات التفكير التابعة للمحافظين الجدد، إلا أن تأثيرهم سرعان ما شهد ارتفاعا غير مسبوق خلال فترة رئاسة جورج بوش، غير أن مجموعات التفكير اليمينية استفادت من دعم ومساندة المؤسسات والأثرياء الأمريكيين المحافظين. خلال السنوات الأخيرة.

ويقول دين إن هناك الآن عشرات المؤسسات التي يقودها المحافظون الجدد ومهمتها رسم الخطط السياسية وتكثيف التواجد في وسائل الإعلام، وأصبحت هذه المؤسسات بمثابة مراكز لتفريخ قادة الرأي والمستشارين السياسيين .

وفي كتاب آخر بعنوان : " الانفراد بالسلطة " يؤكد مؤلفه عالم التاريخ السياسي جيمس ماجريجور بيرنز أن بوش هو أسوأ ديكتاتور في الخمسين عاماً الأخيرة !!

في هذا الكتاب يحاول بيرنز تأصيل ظاهرة ما يسميه بـ "عسف السلطة" في أمريكا، التي بلغت ذروتها في شخصية الرئيس جورج بوش، حيث يتحول المواطنون وأعضاء حزبه وممثلو الشعب من أعضاء الكونجرس، في نظر الرئيس إلى "موظفين" أو "عبيد" يسلمونه زمام أمرهم بانتخابه، ليفعل كل ما يحلو له، دون أن يكون لهم - من وجهة نظره - حق الاعتراض.

ويقول بيرنز: إن رئاسة بوش بما شهدته من كوارث مثل كارثة العراق، وفضائح تعذيب المعتقلين، والتجسس على المواطنين الأمريكيين بزعم حماية أمريكا من الإرهاب، تمثل أزمة في الديموقراطية الأمريكية.

ويكشف بيرنز أن سبب هذه الأزمة هو ما يصفه بـ " رئاسة بوش الإمبريالية " التي تمثل التطور الطبيعي لنصف قرن من ديكتاتورية رؤساء أمريكا، والحد الفاصل بين رؤساء محترمين مثل تيودور روزفلت (الرئيس السادس والعشرون الذي حصل على جائزة نوبل للسلام على دوره في الوساطة لإنهاء الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥) وتوماس جيفرسون (الرئيس الثالث للولايات المتحدة وأكثر رؤسائها احتراماً بحسب المؤلف) وغيرهم، ورؤساء سلطويين مثل ريتشارد نيكسون وبيل كلينتون وجورج بوش.

وبعد أن يستعرض بيرنز مساوئ حكم الرئيس بوش يتوصل إلى أنه من حظ أمريكا العاثر أن تشهد مثل هؤلاء الرؤساء الذين راحوا منفردين يتخذون قرارات كارثية سيدفع الأمريكيون ثمنها باهظاً على المدى البعيد، ويقول: إن دولة عظمى كأمريكا، وشعباً عظيماً كالشعب الأمريكي يستحق زعامات أفضل بكثير من ديكتاتور مثل جورج بوش !!

ويقول عالم التحليل النفسي الأمريكي الشهير فرانك عن بوش في كتاب آخر له بعنوان : على أريكة التحليل النفسي " : " لو أن أحداً من مرضاي كرّر أمامي أشياء وفعل أشياء أخرى، لكنت أردت أن أعرف لماذا يفعل ذلك . وقلقي سوف

يتزايد إذا ما اكتشفت أنه اعتاد استعمال كلمات تخفي معانيها الحقيقية وتؤثر في شخصيته وتحجب جوهر أفعاله . أما إذا أبدى هذا المريض وجهة نظر متعالية ومتصلّبة، تتصف بتمييز مبالغ في تبسيطه بين الصواب والخطأ، الخير والشر، الحلفاء والأعداء، فسوف أتساءل عن قدرته على إدراك الحقيقة بشكل عام. لكنه ليس أحد مرضاي. إنه رئيسنا".

وفي كتابه هذا يروي فرانك سيرة شخصية لبوش، و ينشئ له " بروفيلاً سيكولوجياً " مبنياً على ركام من التفاصيل والمعطيات والمعلومات والملاحظات . يتابعه منذ طفولته المبكرة وعلاقته المضطربة بوالديه . يتوقف كثيراً عند الفترة الماجنة من حياته التي استمرت حتى سن الأربعين حين " ولد ثانية " على يد المبشّر الأصولي بيلي غراهام، فترك إدمان الكحول وارثاً، على الأرجح، أضراراً بالغة تؤثر على سويّته وسلوكياته.

ويخرج فرانك من تحليله بحقيقة مفادها أن بوش ينظر إلى العالم كأنه مدمّر سلفاً نتيجة من سبقه في السلطة، وبينهم والده " وبتأثير الأشرار الأجانب، وكل مخالف في الرأي . وتؤدي هذه النظرة إلى توليد قدرة تدميرية تبحث عن تحقيق نفسها . وقد أنتج تاريخ بوش الشخصي رجلاً يتمتع بتحديات نفسية بالغة وغامضة ومتأصلة، وهي تحديات تجعل من سلوكه العام طريقة في معالجة مخاوفه . لا يعود يعرف كيف يضحك، أو يمشي، أو يتكلم، ويصبح مندفعاً باستمرار إلى إيذاء الآخرين، ولو عبر النكات، أو إظهار تعاطف كاذب ومصطنع !!

والحقيقة أن بوش يميل إلى إنكار يوازيه ميل إلى الاستعراض، ويحتاج إلى ترتيب الأمور الخارجية بتبسيط هو الرد الوحيد على التموجات المخيفة التي تجتاحه في الداخل، ويحول الحزن إلى شعور انتقامي، لأنه يرفض الاستبطان ويندفع إلى الخارج، ويلجأ إلى تنظيم روتينه لطرد القلق، بشكل يحل النظام الصارم محل الكحول في تهدئة الانفعالات .

وقبل أن يترك بوش البيت الأبيض بنهاية عام ٢٠٠٨، بدأ خبراء السياسة يقيمون فترتي حكمه الكارثي، و ما هية الأخطاء الرئيسية التي أفضت إلى فشل إدارة "جورج دبليو. بوش"؟

وحول إجابة هذا السؤال صدرت ثلاثة كتب أمريكية في عام ٢٠٠٨، متناولة "خطايا" تلك الإدارة التي امتدت طيلة سبع سنوات.

يقول " فريد كابلان " في كتابه "المؤمنون الحالمون: كيف استطاعت بعض الأفكار الكبيرة أن تهز القوة الأمريكية" : " يعتبر فشل "بوش" الابن في قراءة كل من نهاية الحرب الباردة عام ١٩٨٩ وهجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هو الخطأ الأساسي في مسار الإدارة الأمريكية الحالية " . ويؤكد - خلافا لمعظم الكتابات والأدبيات الأمريكية - أن هذين الحدثين " لم يُدعما شوكة الولايات المتحدة، ولم يُعضدا قوتها النسبية؛ بل أضعفا كلا منهما ".

ويُكمل "كابلان"، مؤكدا أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١ لم تُغير كل شيء، كما افترضت إدارة "بوش"؛ وأن رد فعل تلك الإدارة المُغالى فيه، مع توجهها نحو صناعة سياسات معتمدة على التفوق الأمريكي، جعل الولايات المتحدة أكثر ضعفا. ويُرجع "كابلان" رد الفعل المُغالى فيه إلى المحافظين الجُدد الذين احتكروا تفسير أحداث سبتمبر؛ وهو التفسير الذي تماشى - وما زال يتماشى - مع حالة الرئيس المزاجية والنفسية.

ويختتم "كابلان" كتابه منتقدا ما يُسمَّى "أجندة الحرية"؛ تلك الأجندة الساذجة - على حد وصفه - التي أوقعت إدارة "بوش" في "مطبات" بالعراق وأفغانستان، لم تستطع الخروج منها حتى هذا اليوم. فهي أجندة لم تهتم بالتفاصيل قدر اهتمامها بالأفكار الكبرى. لقد كان مسئولو تنفيذ تلك الأجندة عازفين عن الاهتمام بأدق تفاصيل الحروب في الشرق الأوسط؛ عازفين عن تفهم حقائق ووقائع المنطقة، وعن إدراك كيفية تحقق الحرية فيها. ويعلق "كابلان" على تلك الأجندة مؤكدا:

"إنه ضربٌ من السذاجة أن يؤمن بوش بأن الإطاحة بالديكتاتور العراقي سوف تُفضي إلى الليبرالية". لقد دمر "بوش" وأعوانه - بهذه السذاجة - المُثل والمصالح الأمريكية معا.

ويخلص "كابلان" إلى حصاد تلك الإدارة طيلة السنوات السبع الماضية؛ ذلك الحصاد الذي أفرز حقيقتين رئيستين: تيارا محافظا جديدا مهيمنا، وسياسة نفعية غير أخلاقية. ويتساءل متعجبا: أنَّى للولايات المتحدة أن تتصرف في القرن الواحد والعشرين في ظل هاتين الحقيقتين السوداوين؟

وفي كتاب "هم يعرفون أنهم على حق" - للمؤلف "يعقوب هيلبرون" كان السبب الرئيسي وراء فشل إدارة "بوش" كامنا في العقلية اليهودية المتأصلة في تيار المحافظين الجدد الذين تعاقدوا وتشابكوا مع "بوش" منذ توليه الرئاسة في عام ٢٠٠٠؛ حيث سلط الكاتب الضوء على تجربة المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة، وترعرعهم في ظل مناخ الأقلية. وبداية، يؤكد "هيلبرون" أن تيار المحافظين الجدد لا يُمثل أيديولوجية أو رد فعلٍ على خيبة أمل اليسار الأمريكي؛ ولكنه يمثل عقلية يهودية، "تم تشكيلها من قِبل خبرة اليهود المهاجرين إلى الولايات المتحدة، ومن قِبَل الهولوكوست، وأخيرا من قِبَل تيارات كفاح القرن العشرين ضد الشمولية".

لقد عاش اليهود المهاجرون إلى الولايات المتحدة - كما يرى "هيلبرون" - تحت وطأة اضطهاد الأمريكيين البيض الأنجلوسكسونيين ؛ وظلوا يعانون من وضعهم كأقلية خارجة عن المجتمع الأمريكي؛ الأمر الذي دفعهم إلى جعل العقيدة اليهودية، بدلا من الأيديولوجية الديمقراطية، المحور الأساسي لمنظومتهم الفكرية.

ويشير "هيلبرون" إلى المنهج التلمودي الذي بلوره "ليو شتراوس" - من أبناء المهاجرين اليهود إلى الولايات المتحدة في القرن العشرين - وكيفية إنزاله لهذا المنهج على النصوص الدينية المختلفة.

كما يشير إلى الجيل الثاني من المحافظين الجدد الذين بدلوا قصص البطولات التاريخية للولايات المتحدة وإسرائيل بقصص الواقع التاريخي اليهودي، معتقدين أن الأقلية المُسلحة بالحق يمكنها تغيير التاريخ، معتبرين أنفسهم أشباه الأنبياء في قلتهم ورسالتهم في إرساء السلام الأبدي.

وإذا كان المحافظون الجدد منحصرين في الحزب الديمقراطي في مرحلة الستينيات، فقد توجهوا نحو الحزب الجمهوري في السبعينيات والثمانينيات، بعد خيبة أملهم في الحزب الديمقراطي الذي مُني بفشلٍ ذريع في مشاريعه المحلية. وإذا كان العقد الأخير من الحرب الباردة قد شهد تحالفا بين المحافظين الجدد وإدارة "ريجان" - مع استمرار ذلك التحالف حتى بعد خروج "ريجان" من الرئاسة- فقد شهدت مرحلة ما بعد أحداث سبتمبر تحالفا بين المحافظين الواقعيين ("ديك تشيني" و"دونالد رامسفيلد") والمحافظين الجدد المثاليين.

ويأخذ "جارفينكيل" على تلك الفرضية، اعتبار المحافظين الجدد الحاليين هم الأصل؛ بينما الحقيقة تقول غير ذلك؛ إذ يتبرأ مؤسسو هذا التيار من مواقف التيار الحالية؛ وهو ما يتجاهل "هيلبورن" ذكره في الكتاب. بمعنى آخر، إن الكاتب لم يتطرق إلى تناول أصل قوة التيار المحافظ الذي كان داعما للقيم الاجتماعية.

وفي كتاب "تراجيديا بوش" للكاتب "يعقوب وايزبيرج"، كانت الفرضية الأساسية هي إرجاع فشل "بوش" إلى علاقته المتأزمة بوالده الذي كان يعتمد أكثر على أخيه "جيب"، نظرا لتفوقه الدراسي على "بوش". فقد كان فشل "بوش" في دراسته، وسيرته العلمية الضحلة، سببا في سحب والده ثقته منه؛ الأمر الذي ولد لديه عقدة نفسية، جعلته دوما ناقما متحديا فشله في محيط أسرته. وقد لا يُسلم "جارفينكيل" بتلك الفرضية "الشكسبيرية-الفرويدية"، مؤكدا بأن "وايزبيرج" ليس كفئا -من الناحية الأكاديمية- للخروج بتلك الفرضية.

ويُقسِّم "وايزبيرج" تراجيديا "بوش" إلى ثلاثة فصول: الفصل الأول يتمثل في "صراع بوش -حتى سن الأربعين- ليكون مثل والده"؛ والفصل الثاني يتمثل

في "تعاظم نجاحاته عبر السنوات الخمس عشرة اللاحقة، بعدما تعلم أن يكون مختلفا عن أبيه"؛ وأما الفصل الأخير فيتمثل في "بحثه عن عقيدة تُفسر له الشؤون الدولية، ومن ثم سقوطه في براثن المسيحية الصهيونية".

لقد كان تفضيل والد "بوش" لأخيه "جيب" -كوريث لتاريخ العائلة السياسي- سببا كافيا ومباشرا لتوجه "بوش" نحو صناعة نجاحه بطريقته الخاصة التي لا تنتمي إلى فرع عائلة "بوش" وإنما إلى فرع عائلة "ووكر"؛ وهما العائلتان اللتان ينتمي إليهما "بوش"، كما يذكر "وايزبيرج".

فإذا كانت عائلة "بوش" البروتستانتية، ذات الأصول الإنجليزية، معروفة بالتواضع وباندراجها في الوظائف العامة، فإن عائلة "ووكر" الكاثوليكية، القادمة من ولاية "ميريلاند" الأمريكية، عُرف عنها الثراء الفاحش الجديد غير الأصيل، والأنانية والسطحية في السلوك.

لقد كانت معظم قرارات "بوش" متأثرة بفرع "ووكر"؛ حيث كان تأثره بجده "بيرت ووكر" واضحا في شخصيته، كما يشير الكاتب. فرد الفعل الأهوج، وصناعة القرار بثقة مفرطة دون تخطيط ناضج؛ كلها كانت تصرفات ورثها وتطبع بها "بوش" منً تلك العائلة؛ لدرجة قيامه بتكوين أسرةٍ جديدةٍ تتفق مع معايير عائلة "ووكر". فإذا به يختار "تشيني" أبا رمزيا له بعد وفاة والده، و"كونداليزا رايس" أختا رمزية له بدلا من أخته التي توفيت في طفولته.

وكما يُرجع الكاتب فشل "بوش" إلى علاقته المتأزمة مع أبيه، فقد يُرجعه أيضا إلى طريقة تدينه، حيث جعل "بوش" الدين جزءا من إرادته السياسية، أو أداة توظيفية للاستخدام السياسي. وعلى كل حال، فعلى الرغم من موافقة "جارفينكيل" على هذا التحليل، فإنه يراه غير كافٍ، مستبعدا أن تكون القرارات الرئاسية مُحددة من قبل العلاقة الديناميكية بين الأب والابن الرئيس؛ معتبرا أن المحيط الأوسع للسياسات المحلية والدولية هو الفاصل الحقيقي.

وهكذا نرى الجميع و إن اختلفوا حول الأسباب إلا أنهم اتفقوا على خطورة تداعيات انتخاب الأمريكيين لبوش .

بقي هنا أن نقول إن بوش الأسوأ، وعباقرة الشر في إدارته كانوا دائما يحاولون تضليل الأمريكيين والعالم وخاصة المستهدفين منه كالعرب والمسلمين، ولكنهم في كل مرة كانوا يمنون بفشل ذريع، لدرجة أن المسؤولين الأمريكيين الذين استعان بهم بوش لتحسين صورته و صورة بلاده التي هوى بها إلى الحضيض تقريبا استقال معظمهم ولم يتوقفوا عن التأكيد في العلن على أن سياسات رئيسهم كفيلة بضرب أي جهود لتحسين صورة أمريكا في العالم .

وقبيل غزو أفغانستان والعراق ظهرت ملامح إستراتيجية أمريكية للتضليل الإعلامي ذات وجهين؛ أحدهما "مدني" والثاني "عسكري"، وهذه الإستراتيجية موجهة بشكل رئيسي للعالم الإسلامي وبصورة عامة للعالم كله، فضلا عن بعد ثالث "خارجي" لهذه الإستراتيجية يتعلق بالضغط في أشكال مختلفة على وسائل الإعلام والفضائيات العربية التي لا تسير في ركاب الاحتلال.

وظهر الجانب "المدني" من هذه الإستراتيجية: عندما كشفت صحف أمريكية عن "خطة لتحسين صورة أمريكا في العالم الإسلامي" عقب ١١ سبتمبر تولتها وزارة الخارجية الأمريكية، وأشرفت عليها خبيرة الدعاية الأمريكية "شارلوت بيرز"، بيد أن شارلوت قدمت استقالتها رسميا في أوائل شهر فبراير ٢٠٠٣ من لجنة "تحسين صورة أمريكا"، وقالت لصحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية في السابع من مارس ٢٠٠٣ بأن محاولتها للدفاع عن سياسات "أمريكية" غير مقبولة في العالم العربي، وقد "كانت بمثابة إدخال الفيل في علبة صغيرة"، لأن صورة أمريكا لدى شعوب العالم -كما قالت- أقبح كثيرا مما يتخيله الأمريكيون".

ومع دخول خطط احتلال أفغانستان والعراق مرحلة التنفيذ، جرت محاولة أخرى لتنشيط هذه الإدارة بهدف نشر البرنامج الدعائي الذي تبنته الإدارة الأمريكية

لتلميع صورة الاحتلال ومنع تفشي الكراهية ضد الأمريكيين في المنطقة العربية، ولكن تم وضع برامج أخرى عديدة عقب احتلال العراق تهدف لإقناع العرب والمسلمين بأن الهدف ليس الاحتلال ونهب ثروات العراق ولكن نشر الديمقراطية، لأن تعاظم الكراهية للأمريكان سيترتب عليه هجمات على غرار ١١ سبتمبر.

وقد أكدت وكالة رويترز يوم ٩ إبريل ٢٠٠٤ وجود هذه الحملة الجديدة نقلا عن مسئولين أمريكان، وقالت أيضا: إن تفاصيلها ما زالت محاطة بالسرية، وتردد أنه تم منح عقد الحملة الإعلانية لمجموعة شركات تضم: "بل بوتينجر كوميونيكيشنز" ومقرها لندن، و"بيتس بان جالف" التابعة لمجموعة "دبليو.بي.بي"، و"بالوتش آند رو" ومقرها بغداد، وقال "مارك ترنبول" من شركة بل بوتينجر لرويتر: إن الهدف هو "حمل الناس على اعتقاد أن الديمقراطية قادمة بالفعل" وقال بأنه يتعين أن توجه الرسالة كذلك بشكل بعيد عن الدعاية الأمريكية المباشرة.

وسبق هذه الحملة تخصيص إدارة وميزانية أمريكية للإعلام وللترويج لمفاهيم وسياسات واشنطن عبر سلسلة من المجلات والصحف المدعومة أمريكيا مثل مجلة "هاي"، وإذاعة "سوا"، وإنشاء محطات فضائية مثل "الحرة"، بجانب دعم صحف ومجلات أخرى بدعم مالي مباشر، واستضافة صحفيين وإعلاميين عرب في برامج تدريبية أمريكية.

ويبدو أن الحملة فشلت للمرة الثانية بدليل أن خبيرة الدعاية الأمريكية "شارلوت بيرز" قدمت استقالتها للمرة الثانية من منصبها -بعد أن عدلت عن الأولى- في لجنة "تحسين صورة أمريكا" في مايو ٢٠٠٤، لأنها لم تجد ما تدافع به عن بلادها إزاء الاتهامات.

أما الجانب "العسكري" من هذه الإستراتيجية الأمريكية: فقد تولته وزارة الدفاع (البنتاجون) ويقوم على أكثر من شق مثل: ترويج المنظور الأمريكي الأحادي -الذي يفتقد الموضوعية- للحملات العسكرية الأمريكية من خلال

المراسلين الغربيين الذين يرافقون قوات الاحتلال، بجانب القيام بحملة أخرى للخداع الإعلامي عبر وحدة شكلها البنتاجون ثم حلها عام ٢٠٠٢ عندما افتضح أمرها حيث أغلق البنتاجون في ذلك العام ما يسمى "مكتب التأثير الإستراتيجي" بعد أن اتهم منتقدون الوزارة بأنها أنشأت مكتب دعاية لنشر أكاذيب في أنحاء العالم بحجة تضليل أعداء الولايات المتحدة.

وجاء الجزء الأكبر من خطة البنتاجون في تبني الدعاية التلفزيونية وتمويل فضائيات عراقية كنموذج أسرع للترويج بتكلفة ٨,٥ مليون دولار بغرض "المساعدة في إقناع العراقيين بصحة التوجه الأمريكي لإقرار ديمقراطية في العراق وعدم الرغبة في البقاء في العراق أو احتلاله كما تقول المقاومة العراقية"، فضلا عن التركيز على "إعلام الحرب" فقط بالعمل على حصر خروج الأنباء من مناطق العمليات (مثل الفلوجة) على المصادر العسكرية الأمريكية وما تسمح به الرقابة العسكرية، واتباع أساليب ليّ الحقائق في البلاغات العسكرية، مثل الإعلان عن تحقيق تقدم عسكري سريع على الأرض ونجاح اقتحام مدن لم يدخلوها بعد، بهدف إنهاك الخصم وتدمير الروح المعنوية للمقاومين، وهي إستراتيجية نجحت خلال غزو العراق، ولكنها فشلت مع المقاومة العراقية.

أما الشق الثالث لهذه الإستراتيجية فيقوم على تكميم الإعلام العربي: فإذا كانت الخطة الإعلامية الأمريكية عموما تقوم على الترويج والدعاية للاحتلال، فالوجه الآخر لها هو حصار أبواق الإعلام العربي التي تنشر حقائق وصورا عن الانتهاكات الأمريكية في العراق وجوانتانامو وغيرهما، وهو ما ظهر بشكل أوضح في الهجوم على قناة الجزيرة الفضائية في عدة مناسبات وإغلاق مكاتبها وضربها في أفغانستان والعراق، وتهديد قنوات أخرى علنا من قبل القادة العسكريين الأمريكان.

وليس أدل على فشل الأمريكيين بكل ما يمتلكون من قدرات و إمكانات إعلامية ومالية لتبييض الوجه القبيح لبوش و إدارته عالمياً من دق مساعدة وزيرة الخارجية الأميركية كارين هيوز مسمارا جديدا في نعش هذه "الدبلوماسية العامة"، ومهمة تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم، باستقالة مفاجئة أربكت البيت الأبيض، بعدما سبق أن استقال قبلها مسئولتان من ذات المنصب.

"كارين هيوز" – الثالثة – هي، بمعايير البقاء، الأقوى، فقد صمدت في منصبها قرابة ٢٦ شهرا منذ تعيينها في مارس ٢٠٠٥ وممارسة عملها في يوليه ٢٠٠٥، ولذلك فهي بطلة هذا المنصب الملعون بلعنات قتلى الحروب والغزوات العنترية الأمريكية التي ورط فيها الرئيس الأمريكي بوش بلاده وجلب عليها كراهية العالم كله خصوصا العرب والمسلمين ضحايا غزواته.

فقد سبقت "هيوز" اثنتان شغلتا هذا المنصب من قبل، الأولى هي "شارلوت بيرز" – الاسم الشهير في عالم الدعاية والإعلانات – وذلك لفترة لا تزيد عن ١٨ شهرا في مرحلة ما بعد هجمات ١١ سبتمبر، والثانية هي "مارجريت تاتوايلر" – السفيرة السابقة في المغرب – التي لم تبق في هذا المنصب الحساس سوى نحو ستة أشهر!

والفارق بين الثلاثة أن المسئولتين السابقتين أعلنتا بوضوح أن سبب استقالتهما هو فشلهما في تلميع صورة أمريكا أمام العالم الإسلامي والعربي بسبب الانحياز الأمريكي الأعمى لإسرائيل، واستمرار العداء الأمريكي للعرب والمسلمين، أما هيوز فلم تعلن شيئا بصورة واضحة وتركت لوزيرة خارجيتها مهمة إنقاذ ماء وجه إدارة بوش – خصوصا بعد استقالة عدة مسئولين من إدارته بشكل درامي متتابع – فلم تجد كوندوليزا رايس ما تقوله سوى أن "أسبابا عائلية" كانت وراء استقالة هيوز!

والأمر لا يحتاج لاجتهاد كبير لكي تتضح الصورة، فكل واحدة من هؤلاء المسئولات الثلاثة تحملت إحدى كوارث إدارة بوش، حيث تحملت الأولى (شارلوت) العبء

الأكبر في محاولة تحسين صورة بلادها عقب هجمات ١١ سبتمبر وما تلاها من غزو لأفغانستان، وتحملت (تاتويلر) عبء الدفاع عن السياسة الأمريكية المعادية للعالم العربي وغزو العراق، في حين تحملت "هيوز" أعباء الأخطاء الأمريكية المتراكمة، وما ترشح عنها من جرائم جوانتاناموو أبو غريب وغيرهما، ولهذا يصعب تصور أن يقبل أي مسئول أمريكي بشغل هذا المنصب الملعون وحرق نفسه في العام الأخير من ولاية بوش ليبقى المنصب فارغا!

والحقيقة أن هيوز ألمحت بدورها لذات السبب الذي بسببه استقالة المسئولتين السابقتين وهو مسألة الانحياز الأمريكي لإسرائيل بما يجعل العالم العربي والإسلامي غير واثق في حيادية أو عدالة واشنطن، فضلا عن تصاعد العنصرية الأمريكية تجاه العرب والمسلمين.

ورغم طرح هيوز مشروعا جديدا من نوعه - ولكنه زائف - لتحسين صورة بلادها يقوم على فكرة استمالة الشباب والمثقفين والإعلاميين العرب ضمن ما يسمى برامج التبادل التعليمي والثقافي، بهدف أن يجذب المدرسين والصحفيين وقادة الشباب وكل من لهم القدرة على التأثير في دوائرهم المحيطة بهم، والقيام بتحسين عملية منح تأشيرات الدخول (الفيزا)، وإقناع الشباب أن أمريكا تريدهم أن يأتوا إليها ويدرسون بها، بغرض غسيل أدمغة هؤلاء النخبة واستخدامهم حصان طروادة في تمهيد الطريق للغزو الثقافي الأمريكي الجديد الذي تأثر بفعل الاعتداءات الأمريكية في أفغانستان والعراق وتشجيع الاحتلال الصهيوني في فلسطين، فقد فشل هذا المشروع بدوره!

بل إن استطلاعات الرأي الأمريكية المتعلقة بتحسين صورة حكومتها في أعين العالم ككل أكدت هذا الفشل، حيث كشف استطلاع لـ "مركز بيو" عن شعبية بوش، أن نسبة الاستياء من سياسة الولايات المتحدة، وصلت إلى ٧٥٪ عالميا مطلع هذا العام، أي بارتفاع بنسبة ٧٪ عما كانت عليه قبل تولي هيوز منصبها، ما يؤكد فشلها

الذريع في تحسين هذه الصورة، رغم زياراتها المتكررة للمنطقة، وإنشاء مكاتب إعلامية في دبي ولندن للتواصل مع الإعلام العربي وعقد لقاءات مع شباب ومثقفين عرب في بعض الدول العربية!

ومن الواضح أن هيوز كانت أكثر فشلا من سابقتيها، فكل من "شارلوت" و"تاتويلر" كانتا أكثر صدقا مع النفس حينما سعتا لتحسين الصورة الأمريكية من الداخل عبر مخاطبة الجهات الداخلية الأمريكية بمحاولة التوازن فيما يخص الملفات العربية - خصوصا القضية الفلسطينية - ووقف الانحياز الأعمى للدولة العبرية، والنظر للمصالح الأمريكية في التعامل مع العالم العربي والتي تؤدي لإحباط الحكومات، وكراهية الشباب والمثقفين لأمريكا، وعندما وجدتا استمرارا للانحياز من إدارة بوش لتل أبيب استقالتا، خصوصا أنهما تعلمان جيدا أن الإدارة مليئة بالمحافظين الجدد الموالين للفكرة الصهيونية التوراتية، وبالعناصر الموالية للوبي الصهيوني!

أما هيوز فعلى العكس، لعبت بالورقة الخطأ، وسعت لتغيير العقلية العربية والإسلامية وتطويعها عبر فكرة الغزو الثقافي الأمريكي القديمة، بجلب الشباب والمثقفين والإعلاميين لأمريكا والسعي لغسل أدمغتهم بالثقافة الأمريكية، فضلا عن محاولة تنفيذ هذا الغزو على أرض الدول العربية والإسلامية بمؤتمرات مع المثقفين والشباب كما فعلت في مصر والسعودية وتركيا مستعينة بوجوه ذات أصول عربية مثل المصرية الأصل "دينا باول حبيب" (التي سبقتها في الاستقالة)، فكان فشلها مضاعفا لأنها تصرفت وكأن المطلوب هو تغيير صورة العرب والمسلمين في عقول العرب والمسلمين، وليس تغيير صورة أمريكا في عقولهم!

ويكشف كتاب "كوندوليزا رايس وتشكيل شرعية بوش"، للصحفي غلين كسلر في "واشنطن بوست" جانبا من هذا الفشل حين يلمح لأن هيوز - شأنها شأن كثيرين أحضرهم بوش معه من تكساس وهم يفتقرون للخبرة - كانت تظهر

جهلا بمدى تأثير التجاهل الأمريكي للقضية الفلسطينية على صورة أمريكا في الشارع العربي، وأن تصريحاتها التي قالت فيها إنها كانت "تجهل تأثير القضية الفلسطينية في الشارع العربي حين زارت الشرق الأوسط "، أثارت تحفظا بين أركان الإدارة الأمريكية.

وربما لهذا لوحظ اهتمام إعلامي أمريكي مؤخرا بقضية فلسطين وعاد بوش للحديث عن حل القضية الفلسطينية، ويبدو أن مؤتمر "أنابوليس" كان جزءا من هذا الاهتمام الإعلامي الذي هو أشبه بالضجيج الذي لا ينتج عنه "طحن"!

وربما كانت الحقيقة في استقالة هيوز هي ما أقرته هي في مقابلة تلفزيونية أجرتها مؤخرا وقالت فيها: إن "تحسين صورة الولايات المتحدة في العالم يمثل تحديا طويل الأمد ويحتاج عدة سنوات لتحقيقه"، وأضافت أن:

الحرب في العراق كانت القضية الثانية التي كان يثيرها معها عرب ومسلمون لدى لقائها بهم، مشيرة إلى أن القضية الأولى هي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي".

وكشفت أنها أوعزت للرئيس بوش والوزيرة رايس قبل عامين بضرورة إيجاد حل لهذا الصراع من أجل تحسين موقف الولايات المتحدة على الساحة الدولية.

حتى ندرك أهمية هذه الوظيفة - الدبلوماسية العامة - نشير إلى أن من يتولى هذا المنصب يشرف على ثلاثة مكاتب في وزارة الخارجية، يصل عدد العاملين فيها إلى ٨٦٠ موظفا وموظفة، وهذه المكاتب لها أيضا عقود خارجية مع ١٤٠ جهة في إطار برامج لتوزيع الأدوار والمهام على جهات خارج الحكومة، وأن هذه الإدارة منذ نشأتها عام ٢٠٠٢ أعدت ٣٠ تقريرا حول ما يسمى بالدبلوماسية العامة.

ولكن المشكلة - باعتراف مراكز الأبحاث الأمريكية التي قدمت مساعداتها لـ"كارين هيوز" - هي أن السبب الأول لتشويه صورة الولايات المتحدة في العالم الإسلامي هو دعمها الظالم للاحتلال الإسرائيلي حسبما أظهرت دراسة

لمجموعة "تشارني للأبحاث" في مايو ٢٠٠٦، وهو ما اعترفت كل من تولّت مسئولية هذا الملف به، وأن العلاقات الأمريكية الغريبة مع تل أبيب ودفاعها عن المصالح الإسرائيلية ولو على حساب المصالح الأمريكية كان أهم سبب لكراهية المسلمين أمريكا.

والأولى التي شغلت هذا المنصب عقب هجمات ١١ سبتمبر - "شارلوت بيرز"- خرجت من منصبها وهي تنتقد تحيز الإدارة الأمريكية لإسرائيل، وتقول: إن هذا سر تدهور وتشوه صورة أمريكا في العالم الإسلامي، والثانية التي تولت المنصب - "مارجريت تاتوايلر" - عانت نفس الازدواجية في تعامل الإدارة الأمريكية مع العرب والمسلمين ومع إسرائيل.

أما الثالثة - كارين هيوز - التي جاءت في أشد الفضائح من إهانة القرآن الكريم في معتقلات جوانتانامو وجرائم أبو غريب وغيرهما، فاعترفت أيضا ليس فقط بأثر القضية الفلسطينية في تكون صورة سلبية لأمريكا في العالم العربي، وإنما بتأثير غزو العراق أيضا الذي دمر هذه الصورة الأمريكية في أعين العرب والمسلمين.

وحينما نشرت صحيفة "واشنطن بوست" تفاصيل خبر استقالة أول مسئولة أمريكية (شارلوت بيرز) في السابع من مارس ٢٠٠٣ بعد فشلها في مهمتها لتحسين صورة أمريكا لدول العالم الإسلامي، قالت إن الاستقالة كانت متوقعة بسبب دعم أمريكا المطلق لإسرائيل، وتهديداتها بضرب العراق، ونقلت عن الخبيرة شارلوت اعترافها بأن: "محاولتها للدفاع عن سياسات غير مقبولة في العالم العربي كانت بمثابة إدخال فيل كبير في علبة صغيرة؛ لأن صورة أمريكا لدى شعوب العالم - كما قالت - أقبح كثيرا مما يتخيله الأمريكيون".

وقالت إن الأمر وصل لغض طرف أمريكا عن المذابح الإسرائيلية ضد الفلسطينيين العزل، وتهديد أمريكا الفلسطينيين كلما قاموا بعمل مقاوم ضد قوات الاحتلال رغم أن القانون الدولي يعطيهم هذا الحق.

أما كارين هيوز فنذكّر فقط بما لقيته من هجوم من طلبة وطالبات مصريين وسعوديين وأتراك حينما ذهبت لتحسين صورة بلادها هناك (٢٣-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥)، ففتيات السعودية قلن لها إنهن سعيدات بالتزامهن ولسن مضطهدات كما يزعم الإعلام الأمريكي، وإن الكيل طفح لديهن بسبب الحديث عنهنّ وكأنهنّ لا يتمتعن بأي حقوق بسبب عدم السماح لهن بقيادة السيارات وبالتصويت.

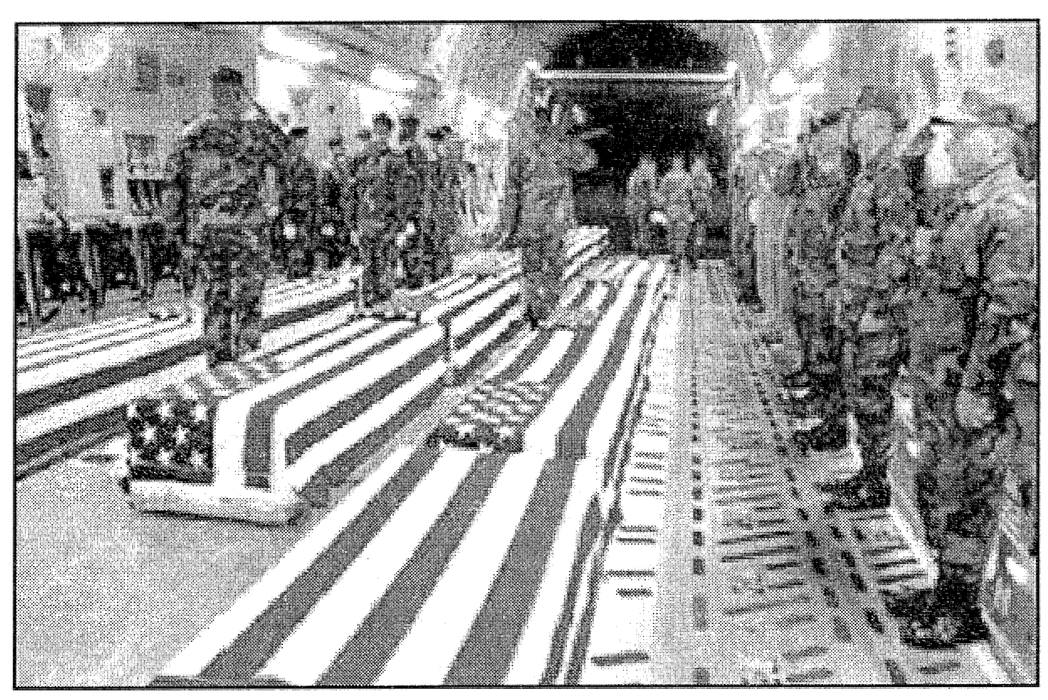
وطلاب الثانوي المصريون الذين حصلوا على منحة أمريكية للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة - ٥٤ طالبا وطالبة - لم يمتدح أحد منهم السياسة الأمريكية أو هيوز أو زميلتها (نائبتها) المصرية الأصل دينا باول حبيب رغم محاولة الأخيرة خطب ودهم وتحسين صورة واشنطن بالقول إنها تحب أكلات الملوخية وورق العنب المصرية، وأسمعوها انتقادات حادة للسياسة الأمريكية تجاه فلسطين والعراق وإيران وأفغانستان تحديدا، فضلا عن السجل الأمريكي الأسود في تعذيب معتقلي جوانتانامو وأبو غريب.

لقد خسرت هيوز باستقالتها ما أسمته هي لحظة توليها "معركة العقول والقلوب"، وأثبتت أن الفشل الأمريكي مزمن، وأن القدرة على إزالة هذا الانحياز الأمريكي لإسرائيل أو لأفكار حفنة من المحافظين الجدد، هي أمور تحتاج لتغيير فعلي في العقل الأمريكي السلطوي نفسه، والتصدي لنفوذ اللوبي الصهيوني القوي هناك.

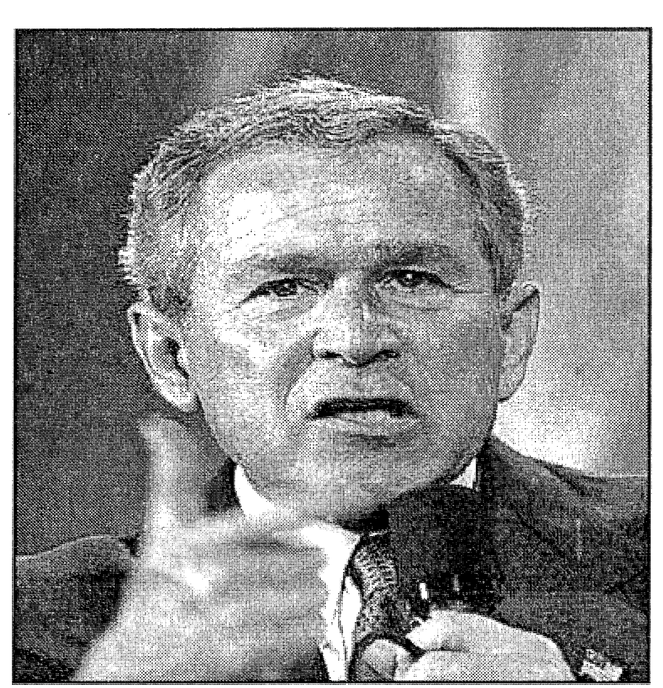




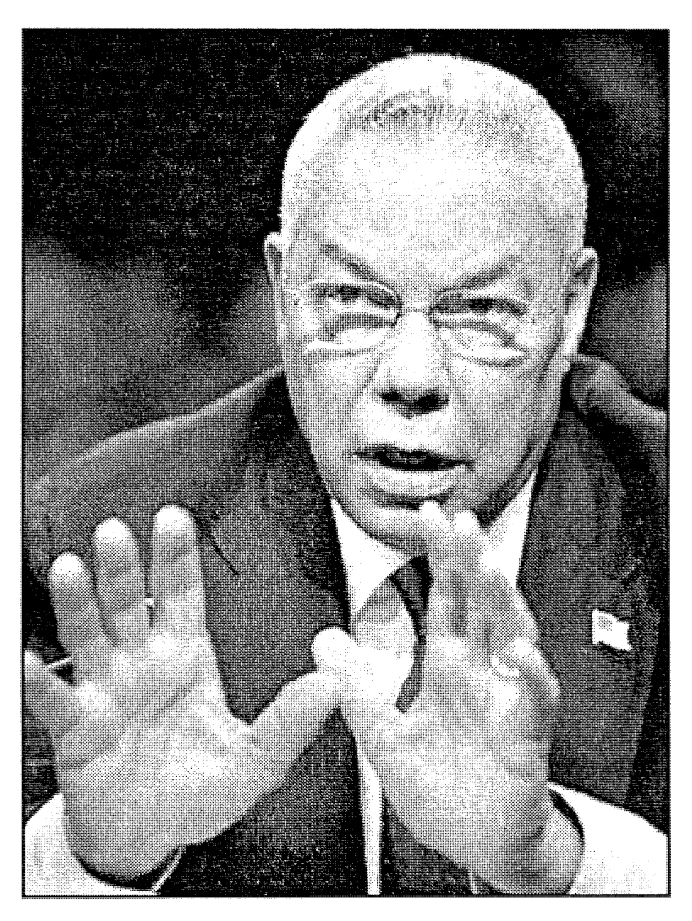
مظاهرات أمريكية أمام البيت الأبيض احتجاجا على حروب بوش غير المبررة ونزيف دماء أبنائهم، ومعها أموال دافعي الضرائب !!



جثث الأمريكيين في العراق لدى وصولها واشنطون .. إنه مشهد متكرر منذ غزو أفغانستان ثم العراق الحربين اللتين شنهما بوش تحت وهم إقامة الإمبراطورية الكونية !!



بوش سقط عنه القناع برغم كل محاولاته تزييف الحقائق و تبرير الجرائم التي ارتكبها في حق الأمريكيين والعالم !!



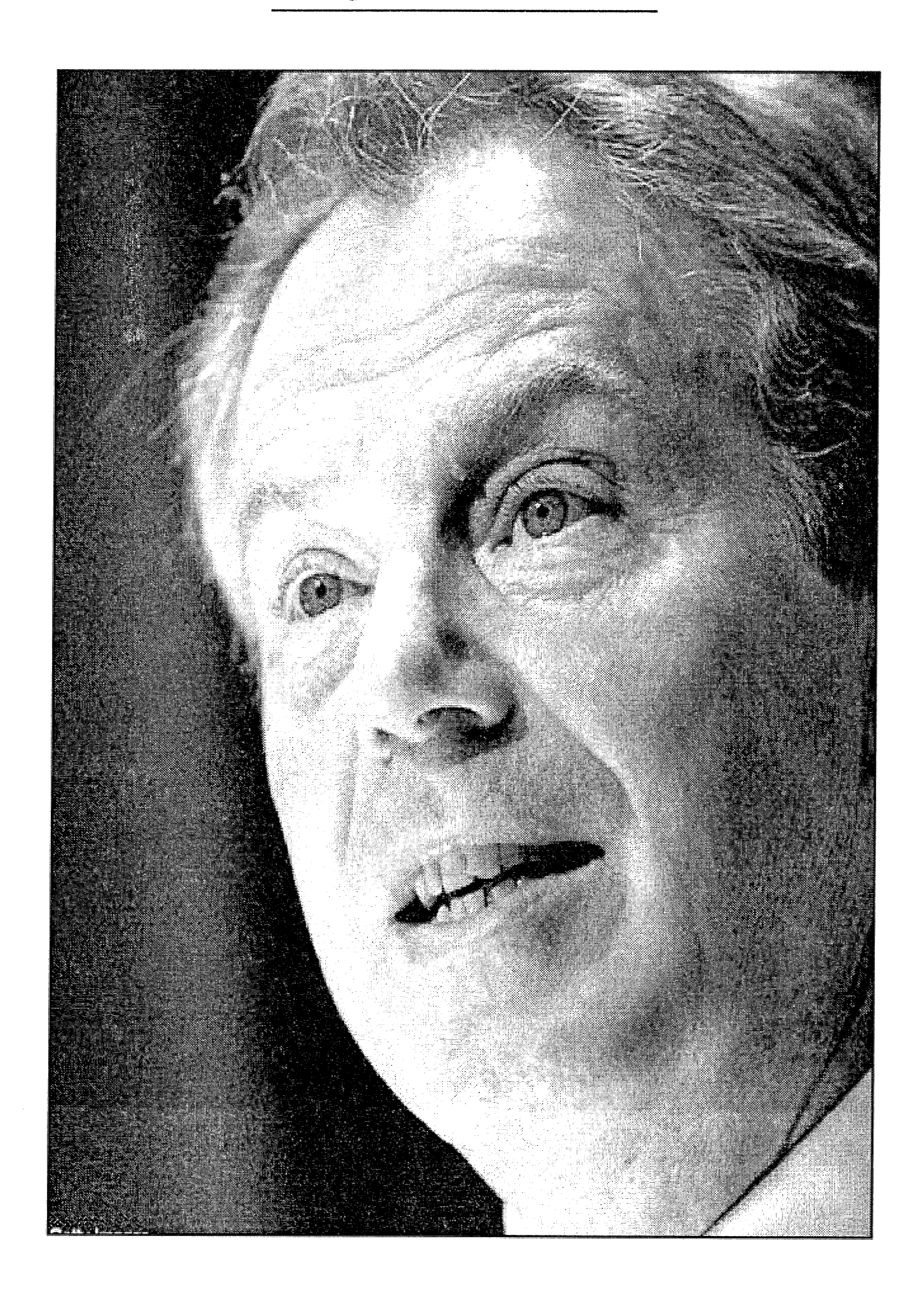
كولين باول اعترف في مذكراته بعد استقالته بفبركة بوش وإدارته لمبررات غزو العراق وأنه كان هو وصقوره يعدون العدة لهذا الغزو منذ وصولهم البيت الأبيض !!



كارين هيوز مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية التي استقالت من منصبها احتجاجا على تقويض بوش لجهودها في تحسين صورة أمريكا واستمراره بسياساته وخاصة المعادية للعرب والمسلمين في زيادة كراهية العالم لبلاده !!

٩- توني بلير.. بعد سطوع نجمه

اختار "مزبلة التاريخ" !!



في الديمقراطيات العريقة، يمكن للشعوب أن تغفر للزعيم السياسي الذي تحبه أي شيء إلا شيئًا واحدًا هو " الكذب " لا سيما إذا كان كذبه من ذلك النوع الذي يتمخض عنه إراقة الدم، أو استنزاف الثروات .. والخطأ الأكبر الذي ارتكبه توني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق إبان حكمه أنه استخف بعقول مواطنيه، وسمح لنفسه بأن يكذب كذبة مميتة أراق معها دماءهم و استنزف معها ثرواتهم، والأغرب أنه – كمن صدق كذبته – راح يدافع عنها حتى جعل من نفسه مجرمًا وأضحوكة في الوقت نفسه، لينتهي به الأمر إلى " مزبلة التاريخ " كما يقول البريطانيون أنفسهم!!

لقد كان بلير دومًا يلقب بـ " السياسي الشاطر " و " الزعيم العمالي العظيم " الذي استطاع أن يعيد حزب العمال إلى السلطة بعد أن حُرِم منها طويلا، في سباقه التاريخي عليها مع حزب المحافظين .

وكانت لدى بلير الفرصة لكي يجعل من اسمه نجمًا ساطعًا يتبوأ مكانته في سجل الخالدين من زعمماء بلاده السياسيين، و لكنه أبى و راح يرتكب الخطيئة الكبرى لينطبق عليه القول الشائع " غلطة الشاطر بألف " !!

عندما أخبرني غوردن بأنه ذاهب إلى العراق سألته عن مدى معرفته بالأوضاع السيئة هناك فأجاب بلا، وقال أنا لا أعرف حتى أين يوجد العراق، هذه كلمات أم جندي بريطاني قُتل في العراق من أجل حرب بُنيت على أكاذيب كما تقول هي .

وبينما كانت روز جنتل تطالب وغيرها من أمهات وأسر الجنود البريطانيين في العراق توني بلير رئيس الوزراء البريطاني – آنذاك - بفتح تحقيق مستقل أو المثول أمام المحكمة، أصر بلير على أن الحرب كانت ضرورية ولو اضطر لفعلها مرة ثانية، و قال بلير: أنا لن أعتذر عن الإطاحة بصدام.. لن أعتذر عن الحرب.. لقد كان القرار الصائب حينها وما زال حتى الآن.. وهي ضرورية من أجل أمن المنطقة والعالم بأشمله !!

روز جنتل امرأة أخذت على عاتقها تحدي توني بلير رئيس الوزراء البريطاني بسبب قراره المشاركة في الحرب، فالحرب كما تقول بُنيت كلها على أكاذيب، و منذ أن فقدت روز ولدها غوردن في العراق لم تعد غرفته مجرد مكان تستعيد فيه ذكريات الطفولة والأمومة بل أصبحت مقراً رئيسياً للحملة التي تقوم بها عائلات الجنود ضد الحرب، وسط إصرار من جانب هذه العائلات على تحميل بلير مسؤولية مقتل أبنائهم ومطالبته بتبرير الأسباب التي دعته إلى إشراك بريطانيا في الحرب.

و قالت : سنظل ننتحب بسبب أكاذيب بلير عن أسلحة الدمار الشامل التي ليس لها أي وجود، و قتله أولادنا لا يجب أن يمر هكذا .

وكان غوردن جنتل قد قتل في يونيو عام ٢٠٠٤ بعدما انفجرت عبوة ناسفة زرعت على جانبي الطريق في مدينة البصرة جنوبي العراق، انفجرت في دوريته فقُتل ليصبح واحداً من الجنود الذين لاقوا مصرعهم منذ غزو العراق في مارس ٢٠٠٣، قتل ولم يكن عمره يتجاوز ١٩ ربيعاً.

وقالت الأم روز جنتل : أنا لا أعتقد أن أياً من هؤلاء الصغار الذين التحقوا بالجيش كان على دراية بالوضع السيئ الذي ستكون عليه العراق لأنه عندما أخبرني غوردن أنه ذاهب إلى العراق سألته عن مدى معرفته بالوضع السيئ هناك لكنه كأي صغير في سنه هز كتفيه وقال: لا أعرف بل لا أعرف حتى أين توجد العراق، و اتصل غوردن بنا في أحد أيام الجمعة وأخبرنا أن الرصاص يتطاير من فوق رأسه وطلب

من والده ألا يخبرني حتى لا أشعر بالذعر، ثم في يوم الاثنين كنا نشاهد التلفاز، وسمعنا عن مقتل أحد الجنود البريطانيين في العراق، وشاهدت جثة ملقاة على الأرض، ولكن الرأس كان مغطى ثم اكتشفت أن تلك الجثة الملقاة التي أراها في التلفاز هي فعلاً جثة غوردن !!

وقالت أم جندي آخر : لقد دفع الكثير من الشباب حياتهم بلا مقابل وتغيرت حياة عدد من العائلات إلى الأبد، أنا لا أريد أن أكون من بين هذه العائلات التي يطرق أحد باب بيتها ليخبرها بأن ابنها لن يعود، عندما التحق ابني بيتر بالجيش كنت فخورة به وأنا أعلم في قرارة نفسي بأنه سيُستدعى إلى الحرب لكني كنت لأتقبل الأمر بسهولة أكبر لو كانت الحرب من أجل الدفاع عن بلدنا وليس من أجل غزو بلد آخر، وأنا أعتقد أن هذا هو شعور الكثير من الأسر هنا التي ذهب أبناؤها إلى العراق، إنها ليست حربنا لقد فقدنا الكثيرين .. إنها حرب بلير و بوش، و لست حرنا نحن .

وأضافت الأم المكلومة : لقد أرسلت رسالة إلى توني بلير أسأله فيها: لماذا يورطنا في شيء ليس لنا علاقة به ؟ .. لماذا نغزو العراق ؟ فالعراقيون ليس لديهم أسلحة دمار شامل وكالعادة لم أتلقَّ إجابة منه.

أما بروس جورج (عضو في البرلمان البريطاني فيقول : كان قرار بلير بالذهاب للحرب بتزييف الحقيقة، و الزعم الكاذب بأن لدى عراق صدام أسلحة دمار يمكن أن تضربنا بها إذا أرادت خلال ٤٥ دقيقة كان خطيئة دمرت شعبيته ودخلت به "مزبلة التاريخ " !!

وإذا كان هذا هو موقف أسر الجنود الذين خاضوا و يخوضون حربًا أرادها رجل واحد أحمق استجابة لرجل أحمق آخر اسمه جورج بوش، فهناك شهادة مهمة دمرت ما تبقى من شعبية و سمعة و شرف بلير و انتهت باضطراره للاستقالة للهرب من فضيحة فبركة مبررات الحرب التي تطارده، حتى أنه أصبح مرفوضًا من حزب

العمال الذي يتزعمه، و أبلغه أنه سيعين زعامة جديدة حتى لا يفقد بسببه مكانته لدي الناخب البريطاني .. إذا كان هذا هو موقف أسر الجنود، فقد كانت شهادة كلير شورت الوزيرة بحكومة بلير نفسه في غاية الخطورة، جعلت الصحف تطلق على بلير اسم " الكاذب الأكبر " و " الأفاق " و " قاتل الجنود "، ومن ثم بدأت المطالبات الشعبية بطرده خارج السلطة !!

لقد اختار توني بلير رئيس حكومة حزب العمال في بريطانيا أن يتحالف مع اليمين المتطرف في الولايات المتحدة بزعامة جورج بوش لشن حرب على العراق، ليدفع البريطانيون الثمن غاليًا، قبل أن يعاقبوه بدفعه خارج الحكم، و إلقائه إلى "مزبلة التاريخ " و ليس إلى سجل رجالاتهم العظماء، علمًا بأنه لولا جريمته هذه لكان قد خلد اسمه نظرًا لما كان قد ناله قبل الحرب من مكانة و تقدير و شعبية !!

فآثار هذه الحرب كانت كارثية بالنسبة إلى سمعته الشخصية والى سياسة بريطانيا الخارجية والتماسك الأوروبي، وللسلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وفوق كل ذلك طبعاً العذاب الطويل الذي يعانيه شعب العراق والآلاف الذين يموتون هناك، والدولة التي تتجزأ وتنهار.

ولقد أدى الغضب المتصاعد عند العرب والمسلمين تجاه السياستين البريطانية والأميركية إلى جعل العالم كله محفوفاً بالخطر. ولا أدل على ذلك من موقف روبن كوك وزير الخارجية البريطاني السابق الذي استقال من حكومة بلير في شهر مارس ٢٠٠٣ لمعارضته حرب العراق والذي تحول إلى الناقد الأقسى لسياسات بلير.

وفي مقال له في صحيفة " جارديان "، وصف روبن كوك الحرب على العراق بأنها خطأ لا يقل خطورة عن حرب السويس - في إشارة إلى العدوان الثلاثي الفاشل على مصر عام ١٩٥٦ الذي كلف أنطوني إيدن منصبه كرئيس للحكومة !

ورغم أنه كانت هناك فرصة أخيرة بعد الحرب للاعتراف بـ "خطيئته" و فك الارتباط بسياسة أميركا الكارثية في الشرق الأوسط كحاجة ماسة و ملحة، إلا أن بلير لم يقدم عليها !!

وفي مجلس اللوردات مثلا حمل اللورد ولاس المعروف بالبروفسور وليام ولاس بجامعة لندن للعلوم الاقتصادية الناطق باسم حزب الأحرار الديموقراطيين " حزب بلير " .. حمل بشدة على توني بلير في خطاب بعنوان " انهيار السياسة الخارجية البريطانية ".

وعاد اللورد بالذاكرة إلى خطاب ألقاه بلير لدى توليه الحكم عام ١٩٩٧ وقال فيه بأن هدف السياسة الخارجية البريطانية هو أن تكون قوية في أوروبا وقوية مع أميركا من دون أن يكون هناك مجال للخيار بين الأمرين، " فنحن الجسر بين أميركا وأوروبا ". وعلق اللورد ولاس على ذلك بقوله " لقد تهدم الجسر الآن من طرفيه ولا يمكن إعادة بنائه " .

وأضاف قائلاً: " علينا أن ندرك ونعترف بأن المسلمات التي قامت عليها السياسة الخارجية البريطانية خلال الأربعين سنة الماضية قد انهارت ". وأما الادعاء بأن لبريطانيا نفوذاً استثنائياً في واشنطن فقد ثبت بأنه من دون أساس.

وقد أكد ولاس بأن الخطوة الأولى في إعادة بناء السياسة الخارجية البريطانية هي في التسليم بأن العلاقة " الخاصة " مع أميركا قد ماتت.

وأضاف أن الخطوة الثانية هي إعادة بناء العلاقات مع شركاء بريطانيا الرئيسيين في أوروبا والإسهام في رسم أجندة الاتحاد الأوروبي. وأما الخطوة الثالثة فهي إقناع الرأي العام البريطاني بأن الاندماج في أوروبا هو في مصلحة بريطانيا وأن التعاون مع الحكومات الأوروبية الأخرى هو الأساس الضروري للنفوذ البريطاني في السياسات العالمية.

غير أن اللورد ولاس أعرب عن أسفه لأن مصداقية بريطانيا لدي شركائها الأوروبيين في وضع يصعب إعادة اعتبارها، بعد أن دمرها بلير، "بتوظيفه الكثير من رأسماله الشخصي والسياسي للسير ببلاده في ركاب بوش"، و رغم أن هذا التوظيف لم يعد عليه ولا على بلاده بتنازلات تذكر في المواقف السياسية الأميركية !!

ويختم لورد ولاس خطابه قائلاً: " لقد فقد بلير الأهلية التي تسمح له بأن يقنع الناخب البريطاني بأن يختار ما بين متابعة العلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة أو العودة على شراكة أقوى مع أوروبا "، وبعبارة أخرى فإن بريطانيا "مقطوعة" على جسر لا يؤدي على أي جهة لأن بلير قاد سياسة البلاد الخارجية إلى طريق مسدود.

وفي المقال الذي كتبه روبن كوك في جريدة " جارديان " ركز على كذب بلير، وعدم وجود أساس شرعي للحرب على العراق إذ أن بريطانيا بررت دخولها الحرب قائلة إن العراق لم يف "بالتزاماته بنزع السلاح" وبذلك خرق قرار مجلس الأمن لوقف إطلاق النار. ولكن الحقيقة هى أن العراق أوفى فعلاً بالتزاماته كما دلت على ذلك نتائج البحث عن أسلحة الدمار الشامل و بذلك تزول أي شرعية للغزو والاحتلال " !!

وكان بلير قد ترأس حزب العمل البريطاني سنة ١٩٩٤ بعد وفاة رئيسه جون سميث وما كان ليمكث في منصبه كرئيس للحكومة لو جهر منذ بداية ترأسه للحكومة بمواقفه الموالية قلبا وقالبا لأمريكا، فالرجل كان يركّز في عهدته الأولى والثانية على القضايا الداخلية و يولي معضلات بلاده الاقتصادية والاجتماعية اهتماما كبيرا، ولذلك نجح في مخادعة الشعب البريطاني و تولى رئاسة الحكومة البريطانية لثلاث فترات متتالية وهو بذلك يعتبر الأعتد في هذا المنصب ولا تضاهيه إلاّ المرأة الحديدية مرغريت تاتشر.

غير أنّ بلير وفي رئاسته الثالثة ربط وبالكامل مصير بريطانيا بأمريكا و رئيسها جورج بوش، وأيد كالأعمى عسكرة السياسة الدولية، وتورط مع بوش في ملفات أفغانستان والعراق والصومال وغيرها من الملفات التي تخدم مصالح أمريكا على حساب مصالح المجتمع الدولي، وحلفاء بريطانيا الأوربيين !!

وقد انكشف توني بلير بالكامل أمام شعبه في الحرب الأمريكية الأخيرة على العراق حيث ورغم خروج الملايين البريطانيين منددين بهذه الحرب إلاّ أنّه قرر الذهاب إليها مع بوش الابن وأرسل جيشه إلى جنوب العراق وكلف بمهمة عسكرية هناك لحساب أمريكا طبعا !

وكان توني بلير يتصوّر أنّ المهمة العسكرية في العراق ستكون سهلة وسرعان ما ينقاد العراق للجيوش الغازية وبالتالي سوف تكون الحصيلة الاقتصادية كبيرة، وكانت حسابات بلير كما بوش تقضي بأنّ تضحي الدولتان ببعض العساكر مقابل نفط لا ينضب أبدا، ولما أختلّت أطراف المعادلة، وتبين لاحقا لتوني بلير أنّ المسألة ليست كما تصور مع حليفه بوش قرر التنحي قبل إكمال مهمته، و هو بذلك ليحصن نفسه من ملاحقة قضائية حتمية مستقبلا بعد انكشاف الأرقام الحقيقية لخسائر الجيش البريطاني و الأمريكي في العراق، و بداية ظهور حقائق التجاوزات الخطيرة للجيش الأمريكي و البريطاني في حق المدنيين العراقيين!!

وتوني بلير الذي درس القانون في بريطانيا ومارس مهنة المحاماة بين سنتي ١٩٧٦ و ١٩٨٣ لم يحكّم أي قاعدة قانونية يوم قرر هدم أفغانستان والعراق، ويوم قرر إيجاد تحالف بين السلاح البريطاني و السلاح الأمريكي و توجيه السلاحين إلى الجغرافيا الإسلامية في محاولة لإعادة صياغتها على قاعدة الحلم الإمبراطوري البريطاني القديم !!

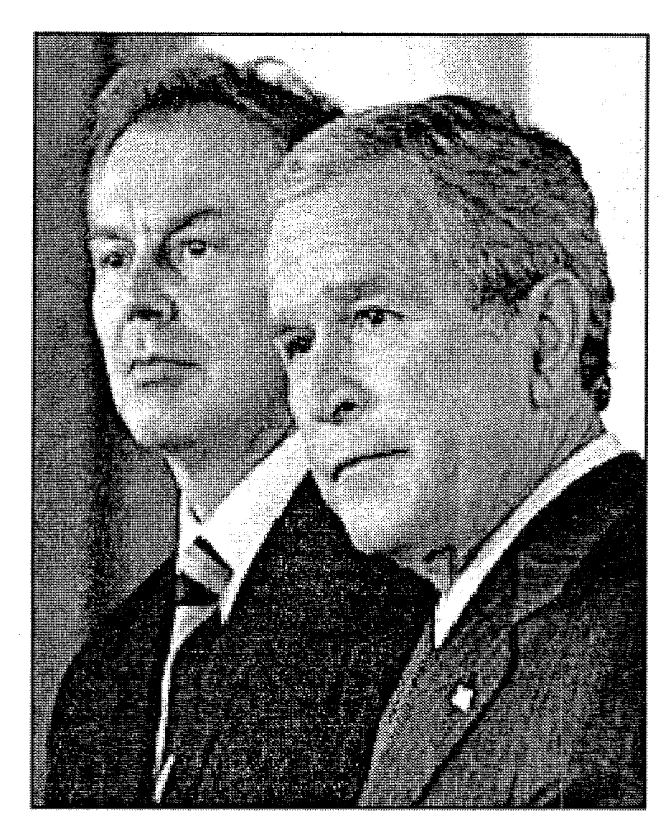
لقد أخفق توني بلير بالكامل والمحامي الذي كان ناجحا تبين أنَّه فشل في كل شيء، فشل داخليا؛ حيث تهاوت مكانته وسمعته، وباتت أي جريدة بريطانية تعتبره

مواليا بالكامل لجورج بوش الابن، وتدنّت شعبيته حتى وصلت إلى الحضيض، وخارجيا أصبح جيشه في العراق يتلقى الصفعة تلو الصفعة على يد المقاومة العراقية بشقيها السني والشيعي ،

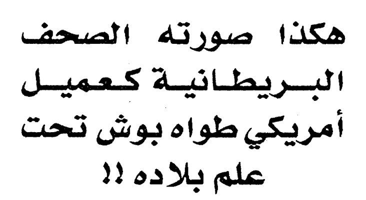
وأتعس ما في حياته السياسية أنّه لاذ بالفرار من دوائر القرار السياسي فيما كان جنوده لا يزالون يتساقطون بين قتلى و جرحى !!

وكان انسحابه بهذه الطريقة هو إقرار منه بأنّه فشل في مهمته، وأخفق في مرافعته الأخيرة في الدفاع عن سياسته التي هي نسخة طبق الأصل عن السياسة الأمريكية، و قد يحمل له المستقبل القريب الكثير من المفاجآت بعد بداية انكشاف الحقائق حيث يترك منصة الدفاع ليدخل إلى قفص الاتهام كمسؤول بريطاني ورط بلاده في أكثر المعضلات السياسية تأزما و دموية وكل ذلك لحساب الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ومن المؤكّد أي يرثيه المحافظون الجدد إلى زمن ليس بقصير، فتوني بلير كان محافظا جديدا بامتياز، بل كان عضوا مركزيا في هذه الجوقة المسيحية المتصهينة، و أحد الأذرع الفاعلة لتفعيل أجندة هؤلاء التدميريين الجدد !!

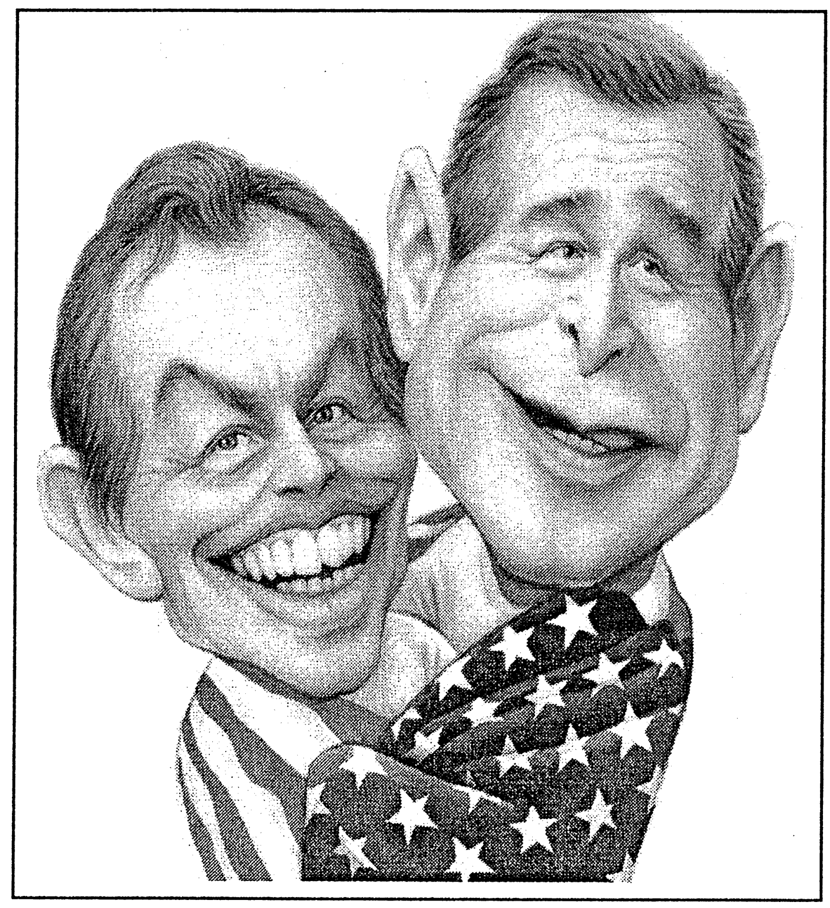
وسوف لن يتمكن خلفه غوردن برون ٥٦ سنة في فترة قصيرة من ضخّ الحياة في مسار حزب العمال الذي أوصله توني بلير إلى الهاوية بسياسته العرجاء داخليا وخارجيا !!



بلير سار في ركاب بوش فسقط في أعين شعبه والعالم !!



هكذا صورته الصحف البـريطـانيـة كـعميـل أمريكي طواه بوش تحت علم بلاده !!




DAILY Mirror

INSIDE TODAY
ALL the goals
ALL the action

Four-midable

Pete's not a pervert - says Jerry

HOLD YOUR FIRE, TONY

Short warns Blair on Iraq war plans


DAILY Mirror

CHELTENHAM 8-PAGE GUIDE INSIDE

Blair's too scared to sack war rebel Clare Short.. BECAUSE SHE'S RIGHT

WEAPON OF Ms DESTRUCTION

كلير شورت فضحت بلير وأكاذيبه كما تظهر على غلاف مجلة "ميرور" !!



THE INDEPENDENT

HOW WE WILL MISS HIM

ALISON JACKSON, ALISTAIR BEATON, JON CULSHAW, DAVE BROWN & MORE

As Tony Blair prepares to resign as Prime Minister and claim his place in political history ...

THE DAY OF JUDGEMENT

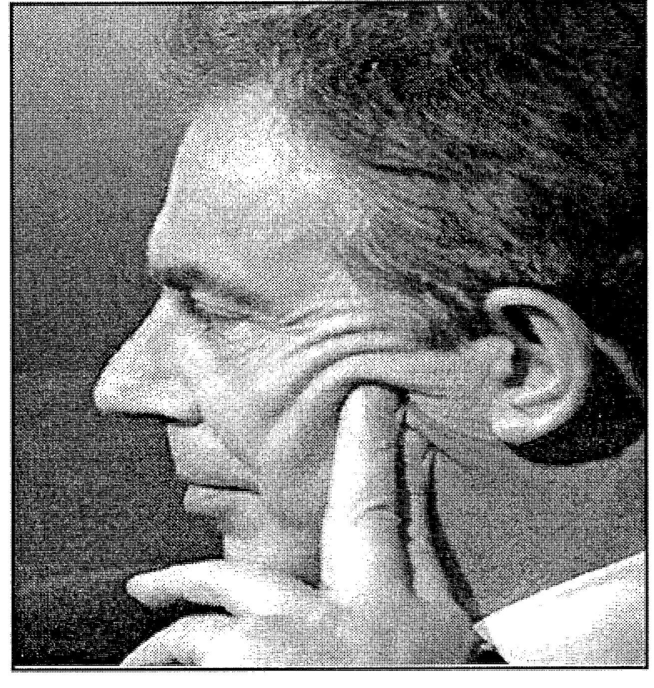
... these two men face jail over a secret memo that exposed the true relationship between Blair and Bush in the run-up to war in Iraq

Trevor Nunn's folly
The real tragedy of King Lear

Cooper Brown
Out on the town with Hugh Grant

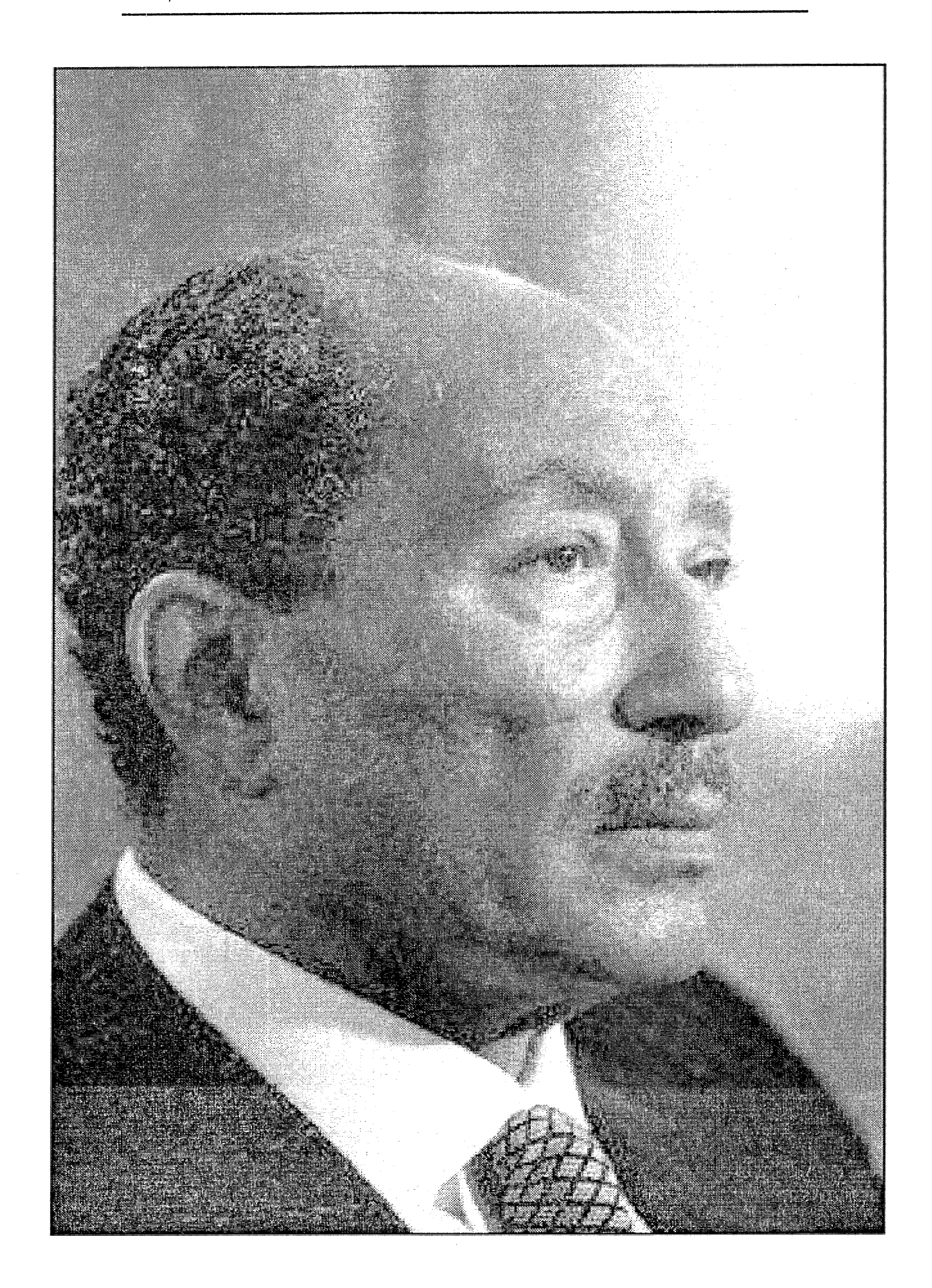
PLUS
education
&careers

خبر استقالة بلير نشرته صحيفة "إندبندنت" البريطانية على غلافها تحت عنوان " يوم الحساب " !



بلير خرج من السلطة غير مأسوف عليه !!

١٠ - أنور السادات .. إطلاق المارد من القمقم !!



صباح يوم الخامس عشر من يوليو عام ٢٠٠٣ صدرت جريدة " الشرق الأوسط " تحمل في صدر صفحتها الأولى حوارا مع كرم زهدي رئيس " مجلس شورى الجماعة الإسلامية " من داخل سجن العقرب شديد الحراسة . في هذا الحوار فجر كرم زهدي مفاجأة بتصريحه أن السادات قد مات " شهيدًا " في " قتال فتنة " !

وقال زهدي إنه لو عاد به الزمن ما اشترك في قتله، جاء هذا التصريح بعد سنوات من مبادرة وقف العنف، التي أعلنها قادة الجماعة من وراء القضبان، والمدعومة بسلسلة من أربعة كتب تعلن فيها تراجعها عن الأخطاء، التي ارتكبتها في الماضي، بسبب إساءة فهمها لمفهوم " الجهاد " .

البعض قابل هذه التوبة بترحيب شديد، البعض الآخر شكك في صدق النيات واشْتَمَّ رائحة صفقة ما مع أجهزة الأمن المصرية، لكن مِن المؤكد أن الجماعة الإسلامية بتصريحها هذا قد أعادت نفسها إلى دائرة الضوء، بعد ثلاثة وعشرين عاماً من ارتكابها إحدى أهم جرائم الاغتيال في المنطقة، والأولى من نوعها في تاريخ حكام مصر .. جريمة اغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات .

ورغم تأكيدنا على بشاعة الجريمة، و بشاعة القتلة، و وحشية المشهد، وبقاء حادث " المنصة " شاهدًا على نهاية مأساوية ما كان يجب أن يتعرض لها رئيس في حجم السادات، الذي تتجاوز انجازاته، و خاصة انتصار أكتوبر ١٩٧٣ كل ما يحيط بفترة حكمه من اتهامات، أو تحفظات، ليبقى من أهم من تولوا حكم مصر .. رغم تأكيدنا على هذه الحقيقة، إلا أن هذا لا يعفي السادات – رحمه الله – نفسه من المسؤولية عما حدث عند المنصة !

وغلطة السادات الكبرى أنه أراد - رحمه الله – ان يضرب الناصريين والشيوعيين فى مقتل، فلم يجد سوى الإخوان المسلمين للقيام بهذه المهمة، ولكنه لم يحسن تقدير العواقب، و دفع حياته فيما بعد ثمنًا لهذه الغلطة، التي ما كان ليقع فيها رئيس يمتلك ذكاء و دهاء السادات و حنكته السياسية !!

نعم غلطة السادات الكبرى، أو خطيئته، هى تحالفه مع الإخوان المسلمين لأنه تصور أنه يستطيع أن يضرب قوة بقوة فاتفق عليه الناصريون و اليساريون مع الإخوان المسلمين وتولى كل فريق الترتيب لمصرعه حسب إمكانياته .. الناصريون باغتياله معنويا فى الصحف ووسائل الإعلام التى سيطروا عليها، والإخوان عبر جماعات العنف التى أداروا مؤامراتها من وراء الستار.

السادات الذي كان يتمتع بطلة شعبية و كان يتحدث بلغة بسيطة يستطيع أن يفهمها رجل الشارع العادي وكان يعيش بروح كبيرة العائلة كما كان يحب أن يطلق على نفسه دائما ، بل وظل حريصا على أن يرتدي زيا ريفيا (جلبابا وعباءة) عندما يذهب لقريته "ميت أبو الكوم" بمحافظة المنوفية لِيشْعِر الناس أنه لا يزال واحدا منهم.

لذلك ،لم يكن يتصور أبدا أن أحد أبناء العائلة مهما وصلت درجة عقوقه له أن تمتد يده لتقتله ، حتي إنه كان يصور الجماعات الإسلامية المتشددة التي استفحلت حركتها المتطرفة من التكفيريين والجهاد والجماعة الإسلامية على أنهم (مش فاهمين رؤيته للأمور) ولم يتعامل معهم على أنهم أعداء يدبرون لقتله .

وفجأة انكشف الوجه الآخر للإخوان وشركائهم فى حادث المنصة الذى راح ضحيته الرئيس السادات، وكان جزاؤه أن يلقى الموت على يد المارد الذى أطلقه من السجن وكانت خطيئة السادات الكبرى.

وللسادات قصة صعود درامية مدهشة لرجل يتمتع بشخصية كاريزمية شديدة الذكاء، هو محل تقييم متناقض إلى أقصى درجة، عند البعض هو بطل العبور

وشهيد السلام بينما يراه البعض الآخر ديكتاتورا فاسدا وخائناً وعميلا والأكيد أن شعبية السادات قد رسمت في فترة حكمه خطاً بيانياً غريب الانحناء .

فقد استطاع السادات بعد سنوات من تنصيبه رئيسا لمصر أن يحقق لشعبه حلما غاليا أعطى لحكمه شرعية ومكانة في قلوب المصريين فهو صاحب قرار حرب أكتوبر وهو القائد الأعلى للجيش المصري الذي حقق أول انتصار في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي .

في هذا الوقت كان السادات زعيما منتصرا في أوج قوته وكان نظامه السياسي يثبت جدارته في الحكم وفي هذه الذروة بدأت جذور الأزمة.

بدأت عندما تصور السادات أن بإمكانه اللعب بورقة الدين في معركته مع الناصريين واليسار، بدأ جهاز الأمن المصري انتهاج سياسة تدعم التيار الديني وتوفر له حرية لم يعهدها من قبل وأطلق السادات على نفسه لقب الرئيس المؤمن وأعلن قيام دولة العلم والإيمان، رأى البعض أن الرئيس السادات أراد بهذه الصورة الجديدة أن يصبغ على نفسه صفة ولي الأمر الذي له الطاعة بعد الله ورسوله وبذلك يضمن تحالف الغالبية المسلمة من المصريين مع نظامه.

ففي أوائل السبعينيات غيّب الموت الرئيس جمال عبد الناصر وخلفه الرئيس الراحل أنور السادات، وكانت ردة الفعل لنكسة يونيو ١٩٦٧ لم تزل تحدث تطوراتها في المجتمع المصري بإحلال وتبديل للقناعات والأفكار والقيم التي كانت سائدة طوال عقدين سابقين أو يزيد قليلا .

وكان السادات الذي اعتلى سدة الحكم فجأة دون أن يكون له تنظيم داخله قد أطلق الإخوان المسلمين من سجونهم وأطلق لهم العنان في التحرك العلني بحرية تامة، وكانت أهم التجمعات التي جرى خلالها وقائع التغيير هي الجامعات المصرية.

ولإنجاح مساعيه كلف السادات في البداية اثنين من رجاله بإحياء نشاط الجماعة .. المرحوم محمد عثمان إسماعيل فى أسيوط و الدكتور محمود جمعة فى طنطا ثم أطلق سراحهم من السجون و المعتقلات، وأطلق على نفسه لقب " الزعيم المؤمن " .

وصل الأمر إلى حد استدعاء سيد مرعى أمين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى فى بداية السبعينيات لمحمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط، وطلب منه تزويد طلاب الجماعة الإسلامية بالأسلحة البيضاء و المطاوى و الجنازير، ولم يكذب عثمان إسماعيل الخبر وأحضر "قفة " مليئة بالأسلحة البيضاء وقام بتوزيعها على الطلبة فى مبنى الاتحاد الاشتراكى بأسيوط .

كان محمد عثمان يهب واقفا ويترك أى اجتماع مهما كانت أهميته إذا أبلغوه أن ناجح إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية فى أسيوط يريد مقابلته .. وكان يتصور أن الدولة التى حضرت العفريت تستطيع أن تصرفه، وأحكم الطلاب قبضتهم تماما على جامعة أسيوط ثم بقية جامعات الصعيد، وتحكموا فى الأنشطة الطلابية وفى بعض الأحيان كانوا يعطلون الدراسة ولا يسمحون بعودتها إلا إذا حصلوا على مطالبهم.. وعاد من جديد التنظيم المسلح للإخوان الذى ضربه عبد الناصر وفككه وقضى عليه .

فى ذلك الوقت سمعنا نفس الكلام الذى يقوله بعض المثقفين اليوم، وأن هؤلاء المتطرفين من حقهم أن يردوا على تطرف الأمن و الحكومة وأن الطلاب يشعرون بالقهر وأنه التعبير الحقيقى عن وطأة الظلم وأن هؤلاء أولاد البلد وليسوا أولاد الإخوان المسلمين وأنهم هادئون ومسالمون لأن العنف ليس من أدبيات الإخوان المسلمين وتبارى الذين " يمسكون العصا من النص " فى اختراع تبريرات كاذبة للدفاع عن الإخوان ظنا منهم أنهم القادم الجديد إلى السلطة و الحكم فأرادوا أن يقدموا لهم عربون الصداقة .

وفى الوجه القبلي تحديدا تجمع ثلة من قيادات العمل الطلابي فيه، وكانت أهم الأسماء التي شاعت آنذاك كرم زهدي وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام درباله وفؤاد الدواليبي وطلعت فؤاد قاسم وحمدي عبد الرحمن وصلاح هاشم وأسامة حافظ، استطاعوا السيطرة على "الجماعة الدينية" التي كانت تعمل بوحي من أجهزة الدولة ورضائها وحولوها إلى "الجماعة الإسلامية" .

وعملوا من خلال نشاطاتهم في الأجواء المسموحة على نشر الدعوة الإسلامية والقضاء على التيار الشيوعي رغبا ورهبا، ومع تعاظم نفوذ "الجماعة الإسلامية الطلابية" تقدمت الخطى نحو السعي إلى تغيير الأجواء في أروقة الجامعات والمدن الجامعية، وارتضى رؤساء الجامعات قرارات الجماعة الإسلامية فصل الطلبة عن الطالبات في المدرجات وقاعات المحاضرات وحظر اختلاطهم حتى في الأماكن العامة بالجامعات.

وفى سبيل توسيع دائرة النفوذ أقيمت المعسكرات الإسلامية في العطلات والإجازات الموسمية، وألهبت خطب كرم زهدي التي كان يلقيها في مساجد المنيا أو زوايا الكليات هناك حماسة الطلاب والتف من حوله قيادات الجماعة الإسلامية وتأثروا به تأثرا بالغا.

وبينما تكشفت مساعي "الإخوان المسلمين" للسيطرة على زعماء الحركة الطلابية داخل الجماعة الإسلامية بجامعات مصر بادر زهدي إلى تكريس قيادته عليها في الوجه القبلي، مستعينا بجهاديين من الوجه البحري كان في صدارتهم المهندس محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب "الفريضة الغائبة" والمقدم- مخابرات عبود الزمر، وكانت أبرز ملامح اختلاف تيار "الجماعة الإسلامية" بالوجه القبلي عن تلك التي سيطر عليها الإخوان في الوجه البحري نوازع الثورية ومعاداة نظام الحكم في مصر واعتباره فاقدا للشرعية.

ولم يجد زهدي صعوبة في الحصول على موافقة زملائه على تكوين التنظيم الجديد في الصعيد مستقلا عن تيار الإخوان المسلمين، واستقى فكره من كتب

كثيرة أهمها تفسير ابن كثير والعقيدة الطحاوية ومعارج القبول لحافظ بن الحكمي ونيل الأوطار للشوكاني ورياض الصالحين للنووي، وخلطت مصادر فكره السلفي بأفكار سيد قطب التي تتمرد على النظام الحاكم في مصر وتصمه بالجاهلية، بالإضافة إلى كتاب "الفريضة الغائبة" لعبد السلام فرج.

وأفرزت تلك الخلطة أهم ملامح ذلك الفكر الذي قامت عليه "الجماعة الإسلامية" في صعيد مصر والتحامها بقيادات الجهاد، إذ قامت على تكفير أنور السادات معتبرة إياه "لا يحكم بما أنزل الله" باعتبار أنه مرتكب للكفر الأكبر وفق تمييزهم بين الكفر والظلم والفسق الأكبر الذي يخرج مقترفه من ملة الإسلام، في حين لا يصل لذلك الكفر والظلم والفسق الأصغر الذي يعني ارتكاب المعاصي والآثام بما لا يخرج صاحبه من الملة، كما اعتبرت دعوته فصل الدين عن السياسة تجريدا للإسلام من روحه ليحوله صورة باهتة بلا حياة.

ولجأ التنظيم الجديد - آنذاك - لاستمرارية نشاطه إلى كسب الأعضاء الجدد، كما لجأ إلى طرق مختلفة أخرى للتمويل مثل إقامة أسواق خيرية لبيع السلع وبيع الكتب الدراسية والدينية والزي الإسلامي للطالبات، وتطورت الحاجة للتمويل، وبناء على فتاوى استحلال أموال النصارى و كانت أولى العمليات القتالية للتنظيم بالاستيلاء على المشغولات الذهبية ببعض محلات بيع الذهب التي يملكها نصارى بمدينة نجع جمادى في صعيد مصر والاستيلاء أيضا على إيراداتها المالية.

وقاد تلك العملية على الشريف حيث جرى اقتحام محلين للذهب ذات يوم جمعة من العام ١٩٨٠، وبعد قتل من قتل ونجاة من نجا كانت أول غنيمة غنمتها الجماعة أربعة آلاف جنيه مصري وخمسة كيلوجرامات ونصف من الذهب. وهديا على نجاحها قاد نبيل المغربي عملية مماثلة في اقتحام محل ذهب لمالك نصراني في منطقة شبرا الخيمة بالقليوبية.

وفي بداية مواجهة السادات مع الجماعات الإسلامية وفي مقدمتها جماعة الإخوان، كان السادات — رحمه الله - يقف ويتحاور وجها لوجه مع معارضيه

على الهواء مباشرة وكان للإخوان المسلمين معه جولتان من أندر المواجهات بين رئيس وخصومه .

ففي بداية عام ١٩٧٧ دعا السادات مجلس اتحاد طلاب مصر ليناقش معهم أحداث الانتفاضة الشعبية والتي سماها (انتفاضة الحرامية) ويشرح رؤيته في بناء مصر فوقف له عبدالمنعم أبو الفتوح طالب بكلية الطب ورئيس اتحاد الطلاب بجامعة القاهرة وسأله بكل شجاعة وحماسة الشباب " أزاي حضرتك بتقول دولة علم وإيمان ودولة ديمقراطية ويطلع علينا الأمن المركزي يضربنا عشان خرجنا في مظاهرة سلمية للاعتراض على التنكيل بالشيخ الغزالي واستكمل وقال له ياريس الناس اللي حولك منافقين " ووقتها ثار السادات عليه بشدة وطالبه بالسكوت إلا أن أبو الفتوح رفض واستكمل حديثه.

الدكتور أبو الفتوح روى هذه الشهادة بعد مرور ما يزيد عن ثلاثين عاما وهو عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان وعلق قائلا بأنه : لم يكن أحد قبل الرئيس السادات يلتقي مع الطلاب بهذا الشكل ويستمع لمعارضتهم له ولم يأت أحد بعده يقوم بهذه التجربة

وقد دار خلاف شديد بين الجماعة والسادات أثر موقف الإخوان المعادي لاتفاقية السلام (كامب ديفيد) فبدأ السادات يثير وقتها قضية عدم شرعية الجماعة .

وفي ندوة الفكر الإسلامي التي عقدت في الإسماعيلية في أغسطس ١٩٧٩ وحضرها عمر التلمساني المرشد الثالث للجماعة ووجه السادات له وللإخوان تهما عديدة من بينها عداء الوطن والتخريب والتي وقف فيها التلمساني للسادات وقال له قوله الشهير : : "لو أن غيرك وجه إلى مثل هذه التهم لشكوته إليك، أما وأنت يا محمد يا أنور يا سادات صاحبها، فإني أشكوك إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، لقد آذيتني يا رجل، وقد أَلزم الفراش أسابيع من وقع ما سمعته منك" .

وارتج وقتها السادات لوقع ما سمعه من التلمساني وطلب منه أن يسحب شكواه إلى الله لأنه يخاف الله .

في تلك الفترة، كان السادات قد فقد جزءًا من رصيده الشعبي بعد أن اتخذ نظامه سلسلة من القرارات والإجراءات أدت عن حالة من تردي الأوضاع على كافة المستويات فتعالت نبرة الغضب على نظام الرئيس .

وكان لهذا الغضب أسباب كثيرة تختلف باختلاف فكر وأهداف كل شريحة من الشرائح الغاضبة .. البعض من زيارته للقدس وتوقيعه معاهدة سلام مع إسرائيل، ومن ثَم إعلان المنطقة العربية قطع علاقتها مع مصر، والبعض من ظهور قوانين معطلة للحريات وممارسات ضد الديمقراطية، والبعض من تدهور الأوضاع المعيشية للطبقات الدنيا من جراء الاندفاع العشوائي نحو تطبيق سياسة انفتاح اقتصادي، الثراء الفاحش الغير المشروع لأفراد يلتفون حول النظام في ظل فساد الأداء الحكومي وتغييب أجهزة الرقابة، و قرار رفع الدعم عن السلع الأساسية الذي أدى إلى تفجر المظاهرات عام ١٩٧٧ .

كما توترت العلاقة بين السادات ورجال الكنيسة المصرية واشتعل فتيل فتنة طائفية بوقوع أحداث عنف في منطقة الزاوية الحمراء فأصبح الشارع المصري متحفظا على النظام، و استثمرت الجماعات الإسلامية كل هذا لإثارة الشباب وخاصة في الأحياء الفقيرة ضد السادات، و استطاعت تجنيد أعدادٍ كبيرة منهم!

منذ خروجهم من السجون في أوائل السبعينيات ترسخت لدى الإخوان قناعه بأن ملعب السياسة كما ترسمه التجربة الحزبية لا يناسبهم، وأن البناء عليه كالبناء على الرمال، وزاد من نفورهم منه ميراث تاريخي ثقيل من عدم الثقة والتشكك في نية النظام السياسي تجاههم وأن المواجهة معه آتية لا ريب فيها، وكان التنظيم هو الحل .

بدأ إخوان السبعينيات إستراتيجية ترمي لبناء تنظيم هرمي محكم خارج سيطرة الدولة ورقابة أجهزتها ومؤسساتها المختلفة، باعتبار أن هذا التنظيم المحكم هو الضمانة الحقيقية والوحيدة لوجود الجماعة التي كان قد صدر القرار الإداري من النظام الناصري بحلها نهائيا عام ١٩٥٤، ولم يكن واردا أن يعيد إليها الرئيس السادات مشروعيتها القانونية رغم وضعية السماح وشرعية العمل الفعلي التي أعطاها لقيادات الجماعة، وهي الرسالة التي وصلت الجماعة حين فاتح مرشدها عمر التلمساني السادات أن يعيد وضع الجماعة القانوني فرد عليه : تقدم بطلب للشؤون الاجتماعية !

دشن إستراتيجية إعادة بناء التنظيم وقادها قيادات تربت جلها في النظام الخاص السري للجماعة قبل الثورة، وكان أبرزهم الأساتذة: مصطفي مشهور وأحمد الملط وحسني عبد الباقي وكمال السنانيري وأحمد حسنين وجميعهم صاروا أعضاء في مكتب الإرشاد - أو المجلس الحاكم للجماعة- قبل وفاتهم ولم يتبق منهم إلا الأخير الذي يعاني المرض، شفاه الله، وآتت هذه الإستراتيجية ثمارها المرجوة سريعا، إذ لم ينته عقد السبعينيات حتى صارت الجماعة التنظيم الديني الأقوى في مصر بعدما ابتلعت معظم التنظيمات الإسلامية الجديدة التي كانت قد حلت بديلا عنها في غيابها وأهمها الجماعة الإسلامية في جامعات مصر- التنظيم الطلابي الصاعد بقوة، بعد أن نجحت قيادات الجماعة في إقناع مجلس أمراء الجماعة يرأسهم عبد المنعم أبو الفتوح بالانضمام إليها.

أغرى الانتشار الواسع وتسارع عجلة بناء التنظيم قيادات الإخوان بأن من الأفضل المضي في طريق التنظيم والكف عن استجداء القانونية من النظام، ليس قناعة برفضه الحتمي فقط وإنما ثقة بأن الوضع غير القانوني أفضل للجماعة وأنه يعفيها من تكاليف تفوق كثيرا عوائد القانونية.

ورسخ هذه القناعة أن التسامح الذي كان يبديه السادات مع الجماعة بدا في طريقه للأفول مع حسني مبارك الذي افتتح عهده بلقاء مع زعماء كل القوي

السياسية بالقصر الجمهوري مستثنيا منها جماعة الإخوان. هي رسالة أكدت لها أن طريق القانونية صار حلما بعيد المنال. وعززت خيار قيادات التنظيم السري مقلصة آمال جيل جديد لم يكن لديه مشكلة بنيوية في ولوج بوابة القانونية.

في هذه الفترة تحددت إستراتيجية الجماعة بالقبول بالدخول في اللعبة السياسية دون الالتزام بأهم قواعدها – وهو الترخيص القانوني بحزب- واختصرت موقفها من فكرة الحزب بالقبول بالتنسيق مع الأحزاب الموجودة (حالة الوفد ١٩٨٤) أو التحالف معها في أفضل الأحوال (حالة العمل والأحرار ١٩٨٧) دون الرهان عليها كصورة أخيرة لابد أن تنتهي إليها الجماعة على الرغم من مشاريع أحزاب (مثل الأمل والإصلاح) طرحها بعض أبناء الجماعة لكنها ظلت قيد أدراج مكتب الإرشاد الذي دائما ما امتلك مبررات عدم الدفع بها ودائما ما كان النظام يمنحه مبررا أقوى بإعلانه الحاسم بالرفض القاطع لوضع قانوني للجماعة، وحين خرج أحد هذه المشروعات للنور خروجا على المعادلة – مشروع حزب الوسط – خرج معه رأس المشروع نفسه، أبو العلا ماضي، من الجماعة!

اختصر الإخوان من روعهم – بقصد أو من دون قصد – في بناء تنظيم قوي حديدي خارج القوانين المنظمة يمكن أن يوكل له مهام إنجاز المشروع الإسلامي للتغيير. لم يفصلوا كثيرا في معالم مشروعهم بقدر ماعكفوا في دأب ودقة متناهية يحسدون عليها على صقل كفاءة هذا التنظيم وتطوير قدراته، وصاغوه على مثال الدولة نفسها حتى في أدق تقسيماته الإدارية التي كانت تصل إلى حد التماهي مع التقسيمات الإدارية للدولة، فمكتب الإرشاد يوازي مجلس الوزراء، ومجلس الشورى يقوم بمهام البرلمان، ومكاتب الجماعة الإدارية هي نفسها المحافظات، والمناطق تنطبق حدودها مع الدوائر الإدارية والانتخابية تماما، بحيث صار التنظيم دولة بإزاء الدولة، إلا أنها من دون جيش أو أجهزة أمنية.

وتغلغل التنظيم في كل تفاصيل وتضاريس ومؤسسات المجتمع والدولة المصرية باستثناء الجيش والشرطة والمؤسسات السيادية الأخرى كخط أحمر التزمت به

قيادة الجماعة وفي وعيها المواجهة الدامية التي خاضتها مع النظام الناصري والتي كان أبرز أسباب دمويتها محاولة النظام اجتثاثهم من مؤسسات نافذة كانوا قد تغلغلوا فيها قبل الثورة، يمكنها الانقلاب المضاد.

وكان أبرز ما انتهى إليه العقل الإداري للإخوان "مشروع التمكين" الذي اشتغل عليه أهم عقول وقيادات الجماعة من الصف الثاني والثالث (جيلا السبعينيات والثمانينيات)، وهو مشروع يعيد تنظيم الجماعة إداريا ويرتب هياكلها ومؤسساتها المختلفة بطريقة بالغة الدقة، ويرسم لها خطوات محددة وممنهجة للسيطرة على جهاز الدولة وتولي السلطة سلميا، وهو المشروع الذي اكتشفت وثائقه عام ١٩٩٢ على ديسكات كمبيوتر في شركة "سلسبيل" والتي صارت عنوانا على أشهر قضية للجماعة، وباكتشافها تأكد للنظام بالدليل قوة الجماعة وأنها صارت أقرب لدولة موازية له لكنها تفتقد لكل عيوب وترهلات الدولة التي يديرها هو!

انتهت الجماعة إلى بناء تنظيم عملاق تتفاوت التقديرات بشأن عدد أعضائه ما بين مائة ألف إلى نصف المليون عضو عامل بالتنظيم يدفعون الاشتراكات المالية الشهرية وينتظمون في الأسر الإخوانية التي هي أصغر وحدة تنظيمية تنعقد لقاءاتها أسبوعيا، إضافة إلى دوائر الأنصار والمؤيدين والمتعاطفين الذي يزيد عددهم عدة مرات عن عدد الأعضاء، وهي تقديرات تختلف بحسب جهات التقدير ومواقعها السياسية والأيدلوجية، وإن كانت في كل الأحوال تقريبية تفتقد الدقة خاصة في ظل سياسة التجنيد السرية والإكثار من دوائر الأنصار والمتعاطفين التي تحول دون القدرة على التقدير الدقيق للعدد الحقيقي للأعضاء حتى من قبل الأجهزة الأمنية، بل ومن قبل مؤسسات الجماعة نفسها التي ترفض إجراء أي تقدير داخلي لها أو الكشف عن أي معلومات بخصوصه ولو كانت تقريبية حتى على المستوي الداخلي، وهو ما صار خطا أحمرَ لا يصح تجاوزه في قاعدة أمنية تجعل من يخالفها عرضة للتخوين بتهمة كشف أسرار التنظيم.

وفي ضوء تصاعد وتيرة الخلاف بين السادات والتيار الإسلامي ألقى السادات بيانه الشهير و الأخير إلى الأمة في ١٤ سبتمبر ١٩٨١.

ومع استمرار تدهور العلاقة بين السادات و الجماعات، وإصداره قرارات التحفظ على العديد من قيادات وأعضاء هذا التنظيم جاءت عملية اغتيال السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١ منطلقا من تلك القناعات أو المعتقدات السالف بيانها، ورغم أن خالد الإسلامبولي اتخذ قرار التخلص من السادات منفردا وعرض قراره على محمد عبد السلام فرج الذي دعا على الفور مجلس الشورى لبحث الأمر.

وفي منزل "عبد الحميد عبد السلام" بضاحية عين شمس شرق القاهرة بسط الإسلامبولي خطته وطالبهم بتوفير الأفراد المعاونين له لإتمام خطته، وتعهد فرج بتوفيرهم، كما طالب مجموعة قبلي بزعامة زهدي إمداده بقنابل أربع كانت في حوزتهم إلا أنهم لم يرسلوها إليه.

وبعد نجاح خالد و عبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة وحسين عباس ومن ورائهم عبد السلام فرج مخططا ومعاونا ومعدا في اغتيال السادات، اجتمع على الفور في أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلي بزعامة كرم زهدي، حيث اتفقوا على مواصلة العمل الجهادى الرامي لقلب نظام الحكم باستهداف خمسة أهداف للأمن في أسيوط هي مديرية الأمن هناك وقسم ثان والدورية اللاسلكية ومباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك لمحافظات الوجه البحري وتثوير الجماهير.

وكانت ساعة الصفر حيث قاد العملية على الشريف وعاصم عبد الماجد، وتم اقتحام مديرية الأمن وقتل فيها عدد كبير من الضباط والجنود وتم فتح النار أيضا على بعض سيارات الأمن المركزي التي كانت تحمل الجنود في الميادين والشوارع العامة بأسيوط، كما تم اقتحام نقطة شرطة إبراهيم، لكن إصابات دربالة التي أدت لبتر يده اليمنى وعلي الشريف في بطنه إصابات شديدة أدت إلى فشل المخطط

والقبض عليهم أحياء ومعهم كرم زهدي وترحيلهم في طائرة خاصة للقاهرة بصحبة وزير الداخلية آنذاك اللواء النبوي إسماعيل.

وإذا كان الانفصال بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد قد وقع داخل السجن في غضون العام ١٩٨٣ فإنها استمرت في موقفها المتشدد من نظام الحكم في مصر، ففي رسالة نشرتها مجلة (المرابطون) الناطقة بلسان الجماعة عدد يوليو ١٩٩٠ للدكتور ناجح إبراهيم "طالب خلالها بضرورة كشف وتعرية ما أسماه بـ النظام العلماني الحاكم وبيان عدائه للإسلام ومحاربته لأهله وتوضيح أن القنوات الدستورية والسبل القانونية التي تم العمل بها على بعض السذج ليست إلا سرابا ووهما وخداعا".

وختم رسالته بأنه لن يرتدع الطغاة عن فتنة المسلمين ولن تتم إزاحتهم عن كراسي الحكم إلا بالقتال، "وبدا ذلك واضحا حتى العام ١٩٩٣ عندما قبلت وساطة مجموعة العلماء لوقف العنف الدائر بينها وبين الحكومة المصرية، غير أن قرار الإطاحة بوزير الداخلية الأسبق عبد الحليم موسى أفشل تلك الجهود، وكان اغتيال الدكتور علاء محيى الدين الناطق الرسمي للجماعة عام ١٩٩٠ دافعا للجماعة في استمرار عمليات الثأر والانتقام ضد رموز النظام المصري.

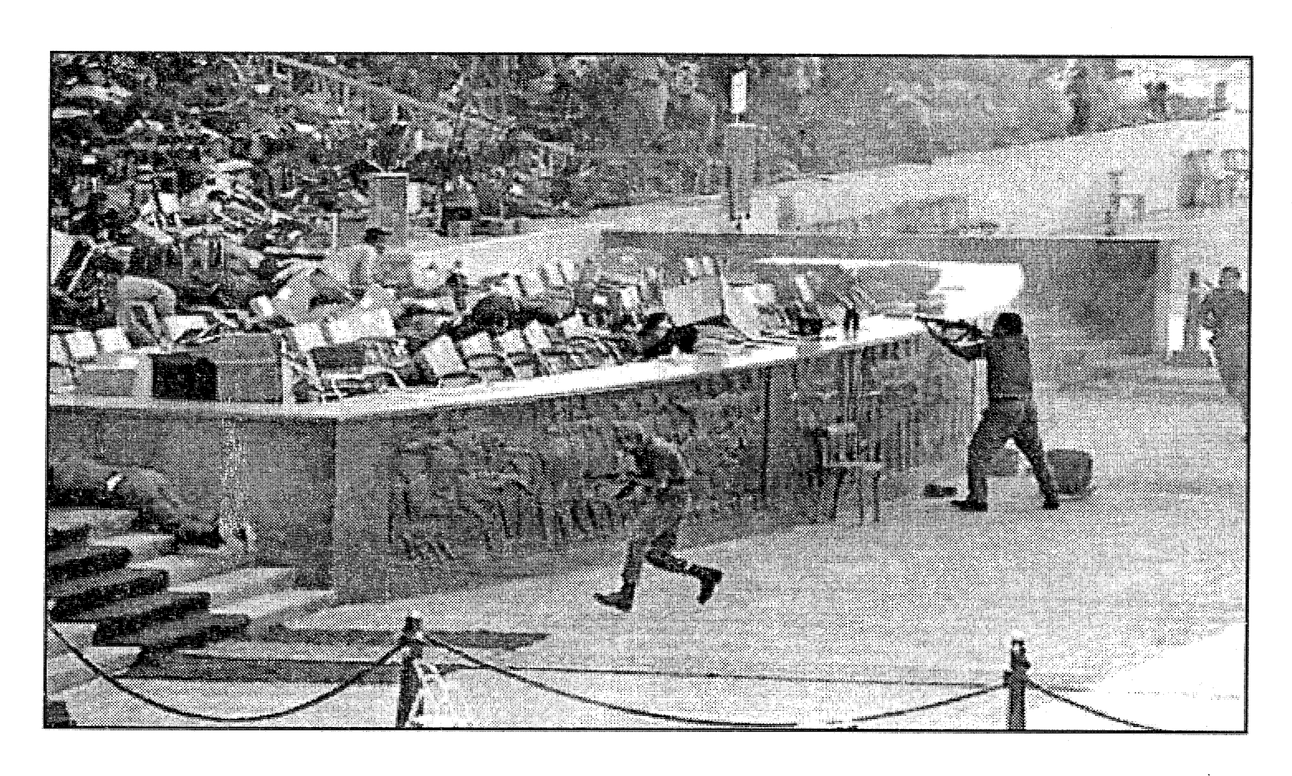
فبادرت باغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب آنذاك، وقال ممدوح على يوسف أحد أبرز قيادات الجماعة والمتهم الأول في قضية اغتيال المحجوب في كلمة له بقاعة المحكمة في أولى جلساتها في يونيو ١٩٩١ "إن الإجراءات الحكوميه لن تثني عن المضي في طريقهم".

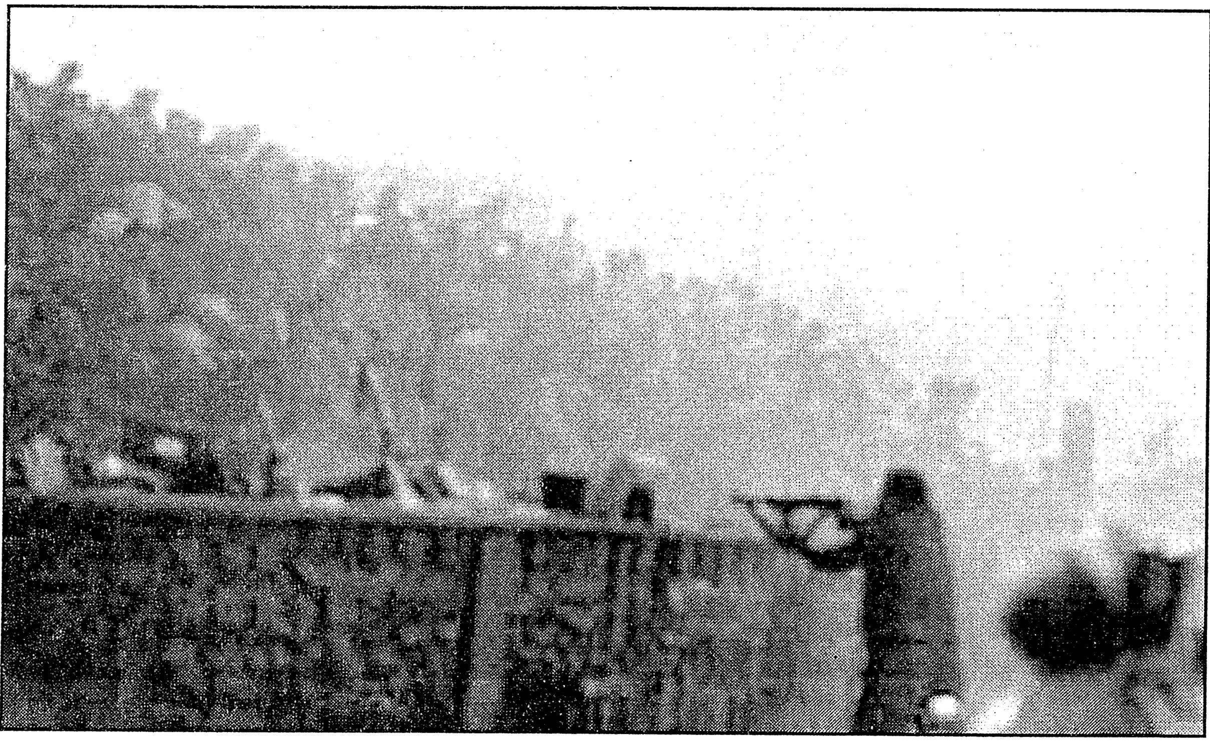
ودخلت كوادر الجماعة المسلحة في الداخل وقياداتها في الخارج في مواجهة عنيفة بينها وبين الحكومة المصرية في الفترة من العام ١٩٩٢ حتى العام ١٩٩٧ حيث أعلن شيوخ الجماعة في الخامس من يوليو ١٩٩٧ مبادرتهم السلمية الأحادية وقف كل الأعمال المسلحة داخل مصر وخارجها.

وبقيت تلك المبادرة تجتاز العوائق والعقبات، سواء من بعض الرافضين لها -وفي هذا السياق وقعت حادثة الأقصر في نوفمبر ١٩٩٧- أو من دوائر السلطة التي استمرت في إجراءاتها وتدابيرها الأمنية والقضائية ضدها، حتى قاد مكرم محمد أحمد حوارا موسعا مع قيادات الجماعة وكوادرها على مرأى ومسمع من الجميع، في خطوة ذات مغزى خلص بعده إلى صدق هذه المراجعات ورغبة قيادات الجماعة في التصالح مع المجتمع، بما كشف عن تغير في الموقف الرسمي إيجابيا لصالح دعم المبادرة.

واستغرب البعض انفراج العلاقة بين دوائر السلطة في مصر مع الجماعة الإسلامية، في الوقت الذي تواصل فيه توجيه ضربات متواصلة للإخوان المسلمين، غير أن هذا يعكس ازدواجية في التعاطي الرسمي مع ملف التيار الإسلامي، بينما تطرد المؤسسة الأمنية في التعامل مع ملف الجماعة الإسلامية باعتباره ملفا أمنيا محضا كان يسبب قلقا بالغا بحالة العنف التي تنعكس على الاستقرار والاقتصاد والسياحة سلبا حيث إن ملف الإخوان المسلمين هو سياسي بالدرجة الأولى .

وهكذا، فعلي الرغم من أن الرئيس الراحل محمد أنور السادات هو الذي فتح الباب واسعا أمام الحركات الإسلامية من جماعات إسلامية وجماعة الإخوان المسلمين للعمل علنا ونشر الدعوة الإسلامية برؤيتهم داخل مصر، إلا أنه لم يسلم من معارضتهم له في حكمه بل وكانت نهايته على أيدي المتطرفين منهم في ذلك الوقت .



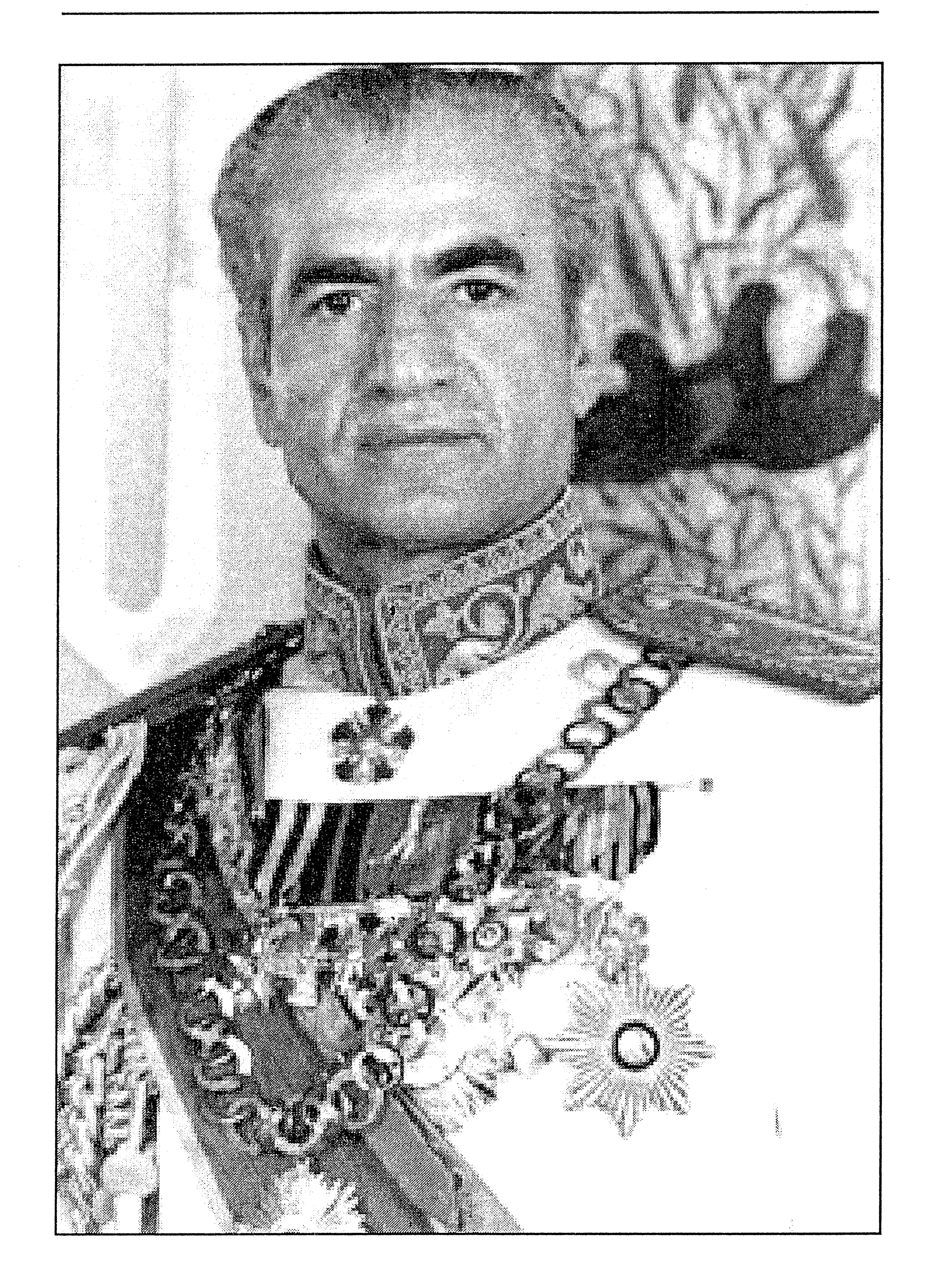


هكذا كان المشهد لحظة اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات عند المنصة أثناء احتفاله بانتصار أكتوبر !!



الرئيس الراحل أنور السادات في آخر لقطة له قبل اغتياله في المنصة .. نهاية غير متوقعة لزعيم منتصر !!

١١ - الشاه وماركوس.. يخسر من يراهن على الأمريكيين!!



خطأ تاريخي كبير يقع فيه أي حاكم إذا اعتقد ولو لبرهة واحدة أن أية قوة عظمى خارجية يمكن أن تضمن له الاستمرار في السلطة، لأن الضمانة الوحيدة هنا هى شعبه و ليس أية قوة خارجية، و التاريخ شاهد على هذه القوى و كيف تبيع أصدقاءها بمجرد أن تراهم آيلين للسقوط، لأنها ببساطة لا تراهن على جواد خاسر، حتى ولو كانت هى أحد أسباب السقوط، وربما ترفض حتى استقبالهم في بلادها، ولو للعلاج، لأنها تريد أن تراهن على البديل، فلربما تحتويه، لتبدأ اللعبة من جديد !!

و من يتتبع سقوط الزعماء والقادة من حلفاء واشنطن ومن حاولوا الاستقواء بها، أو التقرب إليها على حساب شعوبهم، وتخليها عنهم فجأة، وذلك لخدمة مصالحها أولاً، سوف يلحظ أن هذا السقوط قد تكرر لأكثر من قائد في أكثر من دولة، حيث تجربة الولايات المتحدة في الانقلاب على حلفاء سابقين كانوا "ملائكة" ثم صاروا "شياطين" .. هذه التجربة غنية بالغدر باصدقائها وحلفائها وتخليها عن أصدقائها بعد استنفاد قدراتهم على القيام بالأدوار المتجددة! أو تراجع قوتهم ونفوذهم أمام القوى المعارضة! أو في حال كان البديل الإسلامي عنهم يتقدم فتتخلى عنهم لصالح بديل آخر من حلفائها في بلاد العالم الإسلامي، ما يجري في باكستان اليوم يفتح المجال لبعض التفكير والاستشراف بمستقبل البلاد والمنطقة في ظل تجارب سابقة في باكستان نفسها، بالطبع الطريقة تتغير بين مزاعم الديمقراطية والانقلاب العسكري والثورة الشعبية لا فرق، لكن في النهاية تتخلى الولايات المتحدة عن حلفائها وأصدقائها دون رحمة .

تجربة شاه إيران محمد رضا بهلوي عندما لم يجد أرضا تؤويه ولا مكانا يقبل قبره عام ١٩٧٩، وتجربة فرديناند ماركوس في الفلبين عندما جادت عليه الولايات المتحدة بطائرة هليوكبتر تقله من القصر وزوجته مع ما خف وغلى من المجوهرات والأحذية والملابس إلى غير رجعة، لتتحالف بعده الولايات المتحدة مع عدوته كورازون اكينوعام ١٩٨٦،

وهناك شاه إيران رضا بهلوي الذي كان من أخلص حلفاء أمريكا التي رفضت استقباله بعد أن أطاحت به ثورة الخميني، واستقبله الرئيس أنور السادات واستضافه حتى دفن في مصر، وذلك انطلاقا من موقف إنساني.

وتجربة بنما عندما قامت وحدة كوماندوز أميركية بخطف الرئيس البنمي مانويل نورييغا عام ١٩٨٩ وهو الذي كان جنديا مخلصا لجهاز المخابرات المركزية الأميركية في أمريكا اللاتينية، وتجربة الباكستان ذاتها عندما اندلعت الثورة الشعبية العارمة ضد الرئيس ذو الفقار على بوتو (والد بي نظير بوتو) لتقلعه من الحكم عام ١٩٧٧.

وسوف نتاول هنا ثلاثة نماذج للرهان الخاسر على الأمريكيين، الأول يخص محمد رضا بهلوي شاه إيران الراحل والثاني ديكتاتور الفلبين الراحل فرديناندو ماركوس، أما الثالث فهو إدوارد شيفلدنادزه رئيس جورجيا السابق ،

في طهران، وبالتحديد في قصر نياوران الإمبراطوري، كان شاه إيران، محمد رضا بهلوي، وضيفه الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يحتفلان ويتبادلان النخب احتفالاً بليلة رأس السنة الميلادية في ٣١ ديسمبر ١٩٧٧، عندما وقف كارتر رافعاً كأسه لتحية مضيفه الإمبراطور الإيراني قائلاً "جلالة الشاه، أهنئكم على تمكنكم من الحفاظ على مملكتكم كبحيرة هادئة وآمنة في هذا العالم المتلاطم الأمواج والمتنوع العواصف".

وبعد عشرة أشهر من هذا الحديث المبهج للأسارير الملوكية الفارسية، وذلك الاحتفال الملوكي الأخير برأس السنة الميلادية في إمبراطورية الطاووس الإيراني، وبالتحديد في أكتوبر ١٩٧٨، وفي ذات القصر، كان الإمبراطور الإيراني محمد رضا بهلوي يستقبل الجنرال هايزر، مبعوث الرئيس الأمريكي، والسيد وليم سوليوان، السفير الأمريكي في طهران آنذاك، ليسلماه رسالة الإدارة الأمريكية المتضمنة طلباً مباشراً من جلالة الشاه بمغادرة إيران، و"ترك الجمل بما حمل.

وهكذا خرج محمد رضا بهلوي من إيران مستسلماً للإرادة الأمريكية ليعيش متشرداً في المنافي إلى أن مات دون أن تقدم له الولايات المتحدة أي نوع من أنواع المساعدات، حتى الإنسانية منها!

هذه التجربة السياسية القاسية، سوف تبقى على مدار التاريخ كأسوأ الشواهد على تلك المفاهيم اللاإنسانية واللاأخلاقية السائدة والمتأصلة في القاموس السياسي الاستعماري الغربي بشكل عام، والأمريكي بشكل خاص.. مفاهيم تُمارَس ولا تُحكَى لشدة همجيتها ولا إنسانيتها... مفاهيم يعبّر عنها الضمير السياسي الغربي، وإليها تستند الاستراتيجيات والمشاريع السياسة الغربية.. مفاهيم مقولبة في قالب مادي جامد لا روح فيها ولا حياء.. مفاهيم تعد ألف باء العلوم السياسية الغربية.. هذه المفاهيم تؤكد أن "ليس هناك في العرف السياسي الغربي مبدأ الصداقة الدائمة أو العداوة الدائمة، بل هناك مبدأ المصلحة الدائمة التي تتغير حسب الظروف"، فتارة تكون تلك المصلحة مع الأنظمة، وتارة مع الشعوب!

وحسب تلك المصالح تتفرع علاقات وتحالفات المستعمر مع وضد الأطراف وموازين القوى في أية لعبة سياسية، وفي أية بقعة من الأرض، وفي أي زمن من الأزمان... وهنا نتوقف قليلاً للاستزادة من ذلك الزمان في التاريخ الإيراني القريب... تاريخ يحكي قصة قيام إمبراطورية وانكسارها تحت وطأة مفاهيم مصالح المستعمر والمحتل، وفي إطار ذلك المبدأ السياسي المختل... لربما نأخذ من ذلك الزمان وذلك التاريخ حكماً وعبراً على جانب كبير من الأهمية والضرورة

لأقطارنا العربية التي بدأت بالدخول، فرادى، في عصر جديد فقدت فيه الأنظمة والشعوب معالم علاقاتها مع بعضها ومع الآخرين..

ومما لا شك فيه إن إيران كانت دوماً أرضاً خصبة لتجارب السياسات الأمريكية والبريطانية. ومما يعجب له أن البريطانيين أطاحوا بحكم شاه إيران (الأب)، رضا بهلوي، ونفوه إلى خارج إيران عام ١٩٤٢... والأمريكان عملوا على الإطاحة بعرش الشاه (الابن)، محمد رضا بهلوي عام ١٩٧٨ كما عملوا على نفيه بطريقة أو بأخرى... وفي كلتا الحالتين لم تكن أهداف التغيير نبيلة أو ذات علاقة بالمصلحة الوطنية، بقدر ما كانت ذات علاقة مباشرة بالمصالح الاستعمارية في مختلف مراحل الصراعات الدولية والإقليمية... وعلى مدار ذلك التاريخ كانت العناصر الأساسية المساندة والداعمة لهذه التجارب الاستعمارية على أرض إيران تتمحور حول رضوخ الإرادة السياسية الإيرانية لإرادة المستعمر من جهة، وارتهان الإرادة الشعبية الإيرانية، لإرادة نفس المستعمر من جهة أخرى... واعتماداً على هذه العناصر الداخلية رسمت العلاقات والتحالفات في إيران، فأجاد الاستعمار البريطاني ومن بعده الأمريكي إدارة اللعبة السياسية وتوزيع الأدوار وتأسيس الاختراقات، وتحريك العلاقات والتوازنات، السرية والعلنية، مع كل طرف من طرفي الصراع على حدة... فتمكن المستعمر من الاستمرار في الهيمنة والنجاح في تحقيق مصالحه... بينما أضاع النظام والشعب الإيراني جميع الفرص الممكنة لتغيير نظام الحكم في إيران وفشلا في تحقيق المصالح الإيرانية.

في فترة حكومة محمد مصدق لم يتمكن آية الله كاشاني من الفوز برئاسة البرلمان، وجاء الفوز بالرئاسة من نصيب الدكتور منظمي ذى التوجه الليبرالي ليعبر عن توجه البرلمان الليبرالي في ذلك الوقت، مما يعطي مؤشرا هاما حول عمق الفجوة بين النمط الثقافي الشعبي التابع للمؤسسات الدينية، والتوجه الرسمي الطموح لبناء دولة المؤسسات الليبرالية.

وعندما أسقطت حكومة مصدق بانقلاب عسكري من ترتيب "كيم روزفلت"، رجل الاستخبارات الأمريكية، عام ١٩٥٣، تم تقديم كل الشخصيات الليبرالية التابعة للدولة الانقلابية للمحاكمة العسكرية.

كانت تلك الفجوة بين الشارع الإيراني بثقافته، وبين السلطة السياسية التي حاولت الاستفادة من تجارب مختلف التيارات السياسية الإيرانية بإشراكها في الحكومات المتعاقبة، هذه الفجوة هي التي ساندت وأدامت الوجود الاستعماري في إيران على النمط الذي كان موجوداً في ذلك العهد الإمبراطوري الشاهنشاهي.

وفي تلك الفترة الحساسة من تاريخ إيران، ومع ارتفاع المطالبات بمغادرة الشاه للأراضي الإيرانية، أستدرك الشاه، بعد فوات الأوان، بأنه ضحية مؤامرة كبرى، وضحية مناورات واختراقات وتعاون حليفه الأنغلو-أمريكي مع أبناء شعبه... ولكنه تعلق بأمل واحد قد يكون فيه إنقاذه وإنقاذ عرشه من الانهيار، وهو إيصال الجبهة الوطنية إلى السلطة، أي تسليم رئاسة الوزراء إلى رجالات الدكتور محمد مصدق، فجاء بشاهبور بختيار الذي جازف مجازفة مصيرية بقبول منصب رئيس الوزراء.

ولكن، ورغم كل ما كان بينه وبين الشاه من النوايا الحسنة لبناء مملكة دستورية.. إلا إن القرار الأمريكي-البريطاني كان واضحا بإسقاط النظام الملكي في إيران، وكان قد بدأ تنفيذه... وهكذا أصدر الحليف الأمريكي العتيد الأوامر الصديقة بمغادرته أرض الوطن إلى أي مكان يختاره.. ولكن مما يعجب له أشد العجب إن هؤلاء الأصدقاء الأعداء الذين خدمهم شاه إيران على حساب مصالح بلاده وشعبه منذ توليه العرش عام ١٩٤٢، لم يسمحوا له بالحصول على حق اللجوء السياسي لا في الولايات المتحدة ولا قي بريطانيا ولا في فرنسا.. وعندما مات لم يحصل حتى على قبر يأوي جثمانه في وطنه.

ربما تكون الصورة قاتمة بعض الشيء، إلا أن تاريخ الصراعات الإقليمية والدولية حافل بالأمثلة والدلالات التي تكررت في غير موقع وأزمة، وقد يكون المثال الإيراني

هو الأبرز والأقرب من واقعنا جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً، مما يستدعي التمعن والقراءة واستخلاص النتائج والعبر التي قد تمكننا، كمجتمعات تقع ضمن نفس الظروف الاستعمارية الخطيرة، من تجاوز الوقوع في مصيدة التحالفات والصداقات مع أطراف لا تمتلك مفهوم الشراكة والصداقة إلا في إطار مصالحها.

وفيما يتعلق بحليف آخر لأمريكا هو الرئيس الفلبيني الراحل فرديناندو ماركوس، فالأمر لم يختلف كثيرًا عما هو الحال مع شاه إيران، ربما تختلف التفاصيل، لكن السيناريو واحد !!

بعد فترتين رئاسيتين كان على ماركوس أن يرحل ويسلم السلطة لرئيس جديد ولكنه فاجأ العالم بانقلاب على الدستور ألغي فيه البرلمان وأعلن الأحكام العسكرية وحكم البلاد حكما دكتاتوريا لمدة اثنين وعشرين عاما .. سنوات عجاف من القهر والاستبداد والنهب والفساد .

في عام ١٩٦٥ انتخب فرديناند ماركوس رئيسًا للجمهورية. وفي عام ١٩٧٢ أعلن ماركوس الأحكام العرفية وألغى حرية الصحافة. أما التنمية الاقتصادية فكانت تمول بقروض أجنبية إلا أن مبالغ كبيرة منها كان ماركوس يقوم بتحويلها لحسابه الشخصي. وأعلن ماركوس دستورًا جديدًا في يناير ١٩٧٣ وجعل نفسه رئيسًا، أما زوجته إيملدا فحصلت على سلطات واسعة في عام ١٩٧٨ جعلتها تتولى الإشراف على التخطيط والتنمية، وازداد الفساد السياسي انتشارًا.

في يناير ١٩٨١ رفعت الأحكام العرفية، لكن ماركوس ظل محتفظًا بسلطات كبيرة في ظل قانون الطوارئ الذي قيل إن البلاد في حاجة إليه لمحاربة ثورات المسلمين والشيوعيين. وفي يونيو من نفس العام (١٩٨١) أعيد انتخابه رئيسًا للجمهورية لمدة ست سنوات أخرى.

وفي عام ١٩٨٣ اغتيل زعيم المعارضة البارز بنيجنو أكينو في مطار مانيلا وسط قوات الحكومة، مما أشعل شرارة المظاهرات المنادية باستقالة ماركوس.

وتدفق إلى شوارع مانيلا عشرات الألوف من الفلبينيين لتشييع جثمان سناتور "بنينو أكينو" إلى مثواه الأخير .. وسرعان ما تحولت الجنازة المهيبة إلى مظاهرة عارمة، هتفت فيها الجماهير الغاضبة لأول مرة بسقوط ماركوس ونظامه الفاشي، كأنّ الجماهير بحدّسها الفطري كانت على يقين بمسؤولية ماركوس عن هذا الاغتيال..

لم تكن هذه أول حادثة اغتيال سياسي لمعارضي السلطة الحاكمة، فقد تواترت عمليات تصفية المعارضين منذ سنة ١٩٧٢ عندما ألغي ماركوس البرلمان وألغي الأحزاب وأعلن الأحكام العسكرية وحظر التجول في مانيلا.

كانت تقارير الأمن تنسب مصارع هؤلاء الضحايا إلى حوادث عارضة، أو أنها نتيجة صراعات ومنازعات محلية بين عائلات متنافسة. ولكن اغتيال "بنينو أكينو" كان في وضح النهار وأمام عدسات المصورين والصحفيين والعديد من أنصار الرجل الذين هبوا إلى المطار للترحيب به يوم عودته إلى الوطن .. ومن ثم لم تكن الشرطة لتستطيع تلفيق الحقائق .. فقد ارتفعت صيحات منظمات حقوق الإنسان في الداخل والخارج لإجراء تحقيق سريع في حادثة الاغتيال وكانت أصابع الاتهام تشير بقوة إلى أتباع الرئيس ماركوس في القوات المسلحة، مما دفع الكونجرس الأمريكي للمطالبة بتحقيق عاجل ومستقل .. خصوصا وأن "بنينو أكينو" باعتباره زعيم المعارضة الفلبينية استضافه الكونجرس الأمريكي في شهادة للتعرف على رأيه في مستقبل العلاقات الفلبينية الأمريكية .. فقد كانت أمريكا قلقة على قواعدها العسكرية في الفلبين في حالة سقوط ماركوس واستيلاء الشيوعيين على الحكم.. و من ثم كانت أمريكا – آنذاك – تعد البديل، و كان زعيم المعارضة أكينو، بعد أن قررت أن تبيع ماركوس حليفها التاريخي !!

ونلخص فيما يلي النقاط الأساسية في خطاب "أكينو" أمام الكونجرس الذي يهاجم فيه ماركوس حليف أمريكا بكل جرائمه التي استفاد منها الأمريكيون، بعد أن قررت حليفته واشنطون بيعه، و إعداد أكينو كبديل :

- تمر الفلبين بأزمة سياسية واقتصادية خطيرة .. والقمع الأمني هو الأسلوب السائد في معاملة المعارضة الوطنية.

- الفساد المتفشّي واصل إلى أعلى القيادات في السلطة.

- سوء الإدارة في الاقتصاد والسياسية مع القمع الأمني أدى إلى اندفاع الفلبينيين إلى المعارضة وعلى الأخص المعارضة المسلحة.

- تسيء الحكومة استخدام الجيش على نطاق واسع فقد زجّت به في مغامرات عسكرية خاسرة ضد رجال حرب العصابات اليساريين الذين يسيطرون على ثلثي الأراضي في شمال الفلبين وضد المسلمين الذي يسيطرون على الجنوب وما كان هذا التمرد الواسع أن يحدث لولا انعدام الرؤية السياسية الصحيحة لنظام حكم عنيد وفاقد للشرعية والحكمة.

وينتهي أكينو في خطابه إلى حقيقية أن ماركوس بسلوكه العنيد قد أغلق الباب أمام الانتقال السلمي والديمقراطي للسلطة .. أغراه على ذلك: أنه يملك زمام سلطة واسعة ويسيطر على النظام القضائي والإعلامي ويتحكم في شريحة ضخمة من ثروة البلاد .. وفوق كل هذا يحظى بدعم مالي وعسكري وسياسي من الولايات المتحدة..

إن ماركوس يقترب الآن من سن السبعين ويعاني من أمراض خطيرة والذي يمارس السلطة الحقيقية باسمه زوجته إميلدا وبعض القيادات العسكرية وفريق من التكنوقراطيين الموالين لأسرة ماركوس .. وقد دبّ الصراع الخفي بينهم على خلافة ماركوس .. وقد ينجح الجيش في الاستيلاء على السلطة لتسقط البلاد في مزيد من العنف والفوضى.

ويري أكينو أن البديل الوحيد لكل هذا هو المصالحة الوطنية التي اتفق على خطوطها ومبادئها قادة حركة المعارضة السلمية في يونيه ١٩٨٣، ثم سعوا لدي قادة المعارضة المسلحة لمنح العملية الديمقراطية فرصة أخيرة، وطلبوا من ماركوس إصدار عفو عام عن جميع المتمردين السياسيين وإلغاء قانون الطوارئ وجميع القوانين والإجراءات الاستثنائية ورفع يده عن أحزاب المعارضة ووقف التدخل العسكري في الشؤون المدنية..

وعبّر أكينو عن يقينه بأنه إذا أصرّ النظام على موقفه المتحجر فإن الثورة قادمة لا محالة وسيكون الثمن غاليا.. فلن تأتي الثورة إلا بالدماء والضحايا والكوارث، ولن يكون هناك منتصر ومهزوم بل مهزومون فقط في وطن مهزوم.. ولذلك فإن "أكينو" لا يري مناصا من دعوته لإجراء مصالحة وطنية وإقناع "ماركوس" بالتخلي عن السلطة لحكومة ائتلاف وطني تشرف على إجراء انتخابات حرة ولكن ماركوس وبطانته كانت لهم رؤية أخرى بدلا من الإصلاح والمصالحة أن يقتلوا الرسول قبل أن يبدأ في تبليغ رسالته .. وهكذا أطلقوا الرصاص على رأسه من الخلف وهو يهبط من سلم الطائرة في مطار مانيلا ، واتضح من التحقيقات الأولية أن ثلاثة من ضباط المخابرات التابعة للجنرال "فابيان فير" في القوات المسلحة كانوا متربصين به في المطار، وأنهم اختفوا تماما في لحظات الهرج والمرج التي حدثت بعد إطلاق النار وسقوط "بنينو أكينو" مدرجا بدمائه.

أسرع ماركوس بتشكيل محكمة خاصة للتحقيق فكانت تحقيقات اللجنة الأولى وبرأت ساحة القوات المسلحة من دم أكينو وألصقتها بشخص مختل عقليا محسوب على الحركة اليسارية الشيوعية.

و في فبراير ١٩٨٦ أعلن فوز ماركوس في انتخابات الرئاسة على كورازون أكينو، أرملة زعيم المعارضة القتيل وذلك بعد حملة انتخابية مريرة وقيل إن ماركوس زوّر كثيرًا فأعلن حالة الطوارئ في ٢٤ فبراير، لكن منافسته كورازون أكينو استعانت

بقوى الشعب لترغم ماركوس على الفرار من البلاد في ٢٦ فبراير. واعترفت الولايات المتحدة وغيرها من الدول بأكينو رئيسة لجمهورية الفلبين، و لا عزاء لماركوس و لا غيره !!

ونفس الشيء حدث مع رئيس جورجيا " إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق " ادوارد شيفاردنادزه الذي حلم بالانضمام إلى حلف شمال الأطلسي والذي زار واشنطن، و طلب التواجد العسكري الأميركي بنفسه، و هو نفسه الذي كان قد ساهم من قبل مع الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف في تفكيك الإمبراطورية السوفيتية لحساب الأمريكيين، تحت شعار الحرية و الديمقراطية !!

وسمح شيفاردنادزه لفرق أمريكية تضم عشرات الخبراء العسكريين الأمريكيين لزيارة بلاده لبحث إقامة مراكز للتدريب، تكون غطاء لقواعد عسكرية أمريكية على الأرض، وادرجت مقترحاتهم في خطة وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاغون " !

ثم جاءت لاحقاً أحداث جمهورية جورجيا المعروفة بـ " ثورة الورود " والتي أزاحت من السلطة الحليف الهرم للولايات المتحدة إدوارد شيفاردنادزه، وأحلت محله الحليف الجديد االشاب ميخائيل ساكاشفيلي، و هنا اعترفت واشنطون به، و باعت شيفاردنادزه، بعد أن أدركت إمكانية لعب نظام ميخائيل ساكاشفيلي نفس الدور، والقيام بعملية استنساخ جديدة لنظام إدوارد شيفاردنادزه !!

وقد قدمت المعارضة الديمقراطية في جورجيا درساً بليغاً لشعوب العالم الثالث وأحزابه وسياسييه، عندما أجبرت الرئيس ادوارد شيفاردنادزه على الاستقالة، والتنازل عن الحكم، دون إراقة نقطة دم واحدة، أو نهب مؤسسة عامة أو خاصة واحدة.

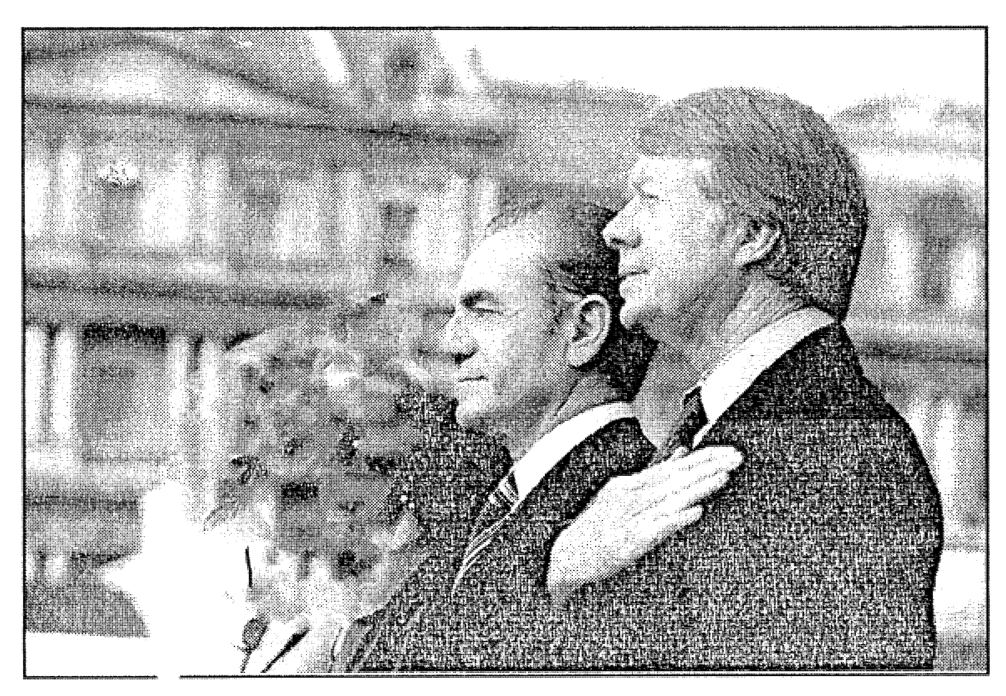
ويسجل للمؤسستين، الأمنية والعسكرية، انحيازهما الكامل للشعب، و وقوفهما على الحياد، رغم نداءات الرئيس شيفاردنادزه واستغاثاته المتكررة بالتدخل،

فالزعماء يأتون ويذهبون في الدول الديمقراطية، اما الشعب فهو الباقي، وهو المصدر الوحيد للسلطات.

الرئيس شيفاردنادزه اضطر في نهاية المطاف للرضوخ لمطالب الشعب، تماماً مثل سوهارتو في أندونيسيا ، وماركوس في الفيلبين، والشاه محمد رضا بهلوي في إيران، وتشاوتشيسكو في رومانيا و غيرهم، و رحل عن السلطة !!



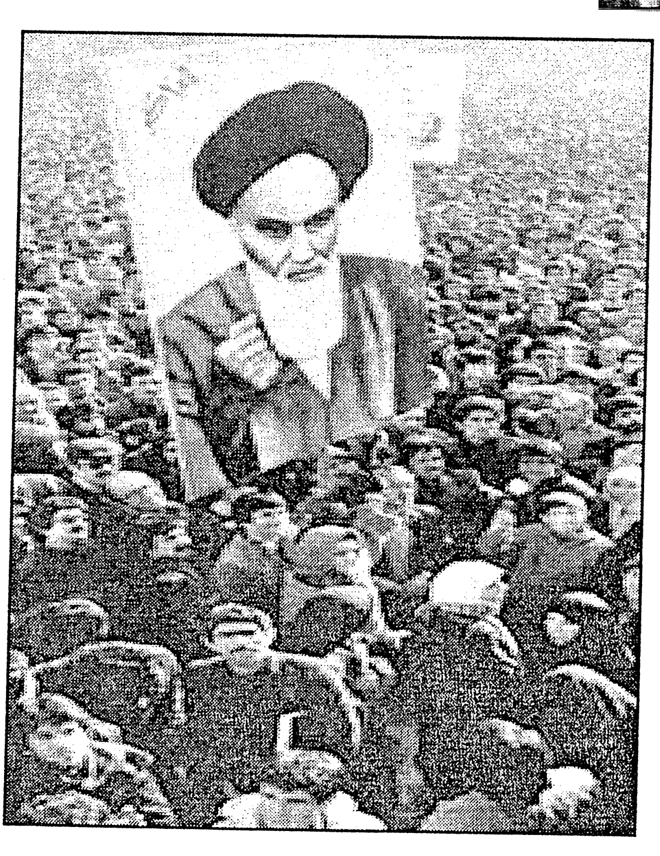
شاه إيران و كارتر والملك حسين وآخر لقاء رسمي مع رئيس أمريكي قبل سقوط الشاه !



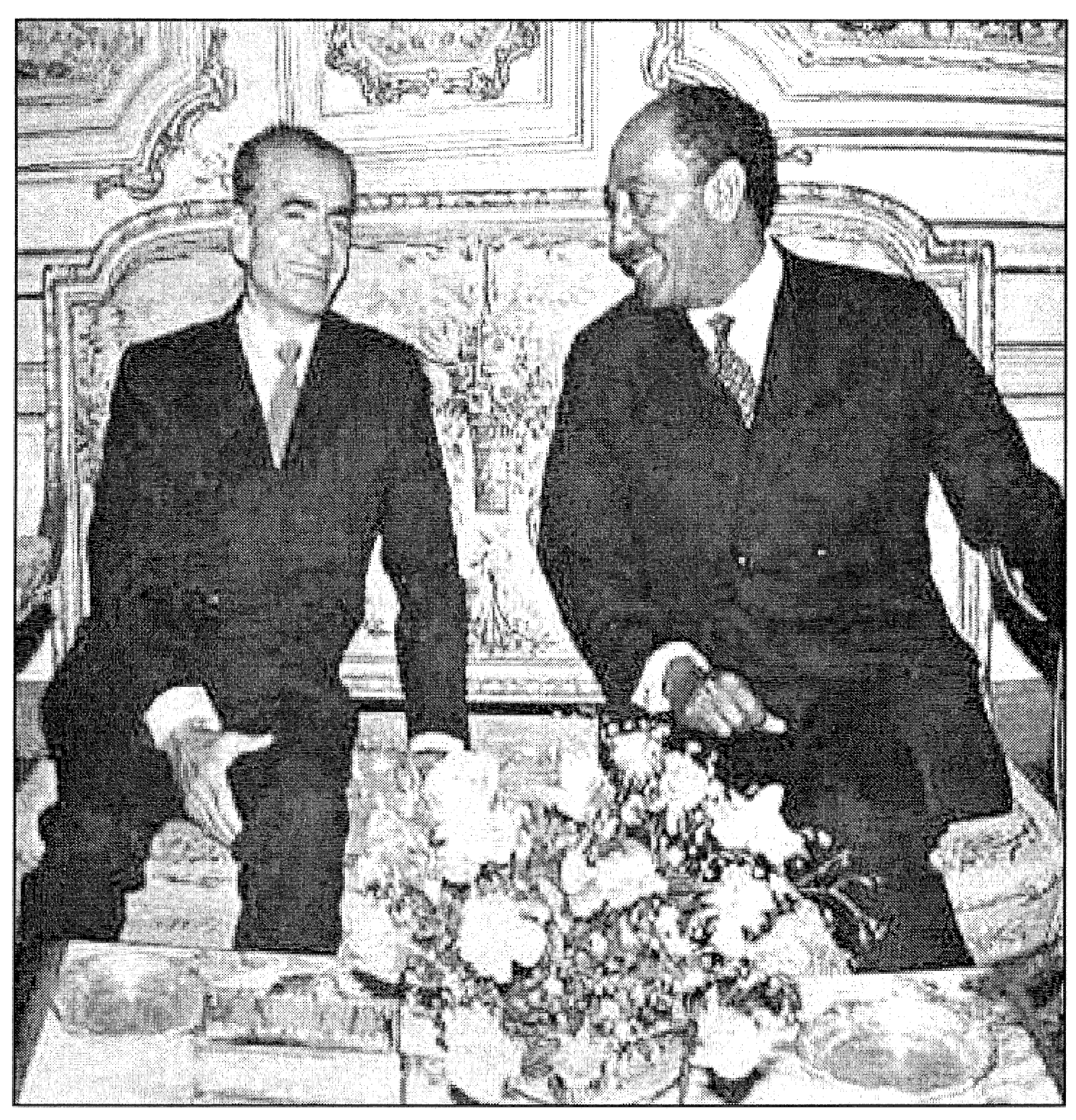
كارتر وزوجته روزالين والشاه وزوجته في واشنطون .



الشاه وزوجته الشاهبانو لم يدركا أن الرهان على الأمريكيين خاسر!!



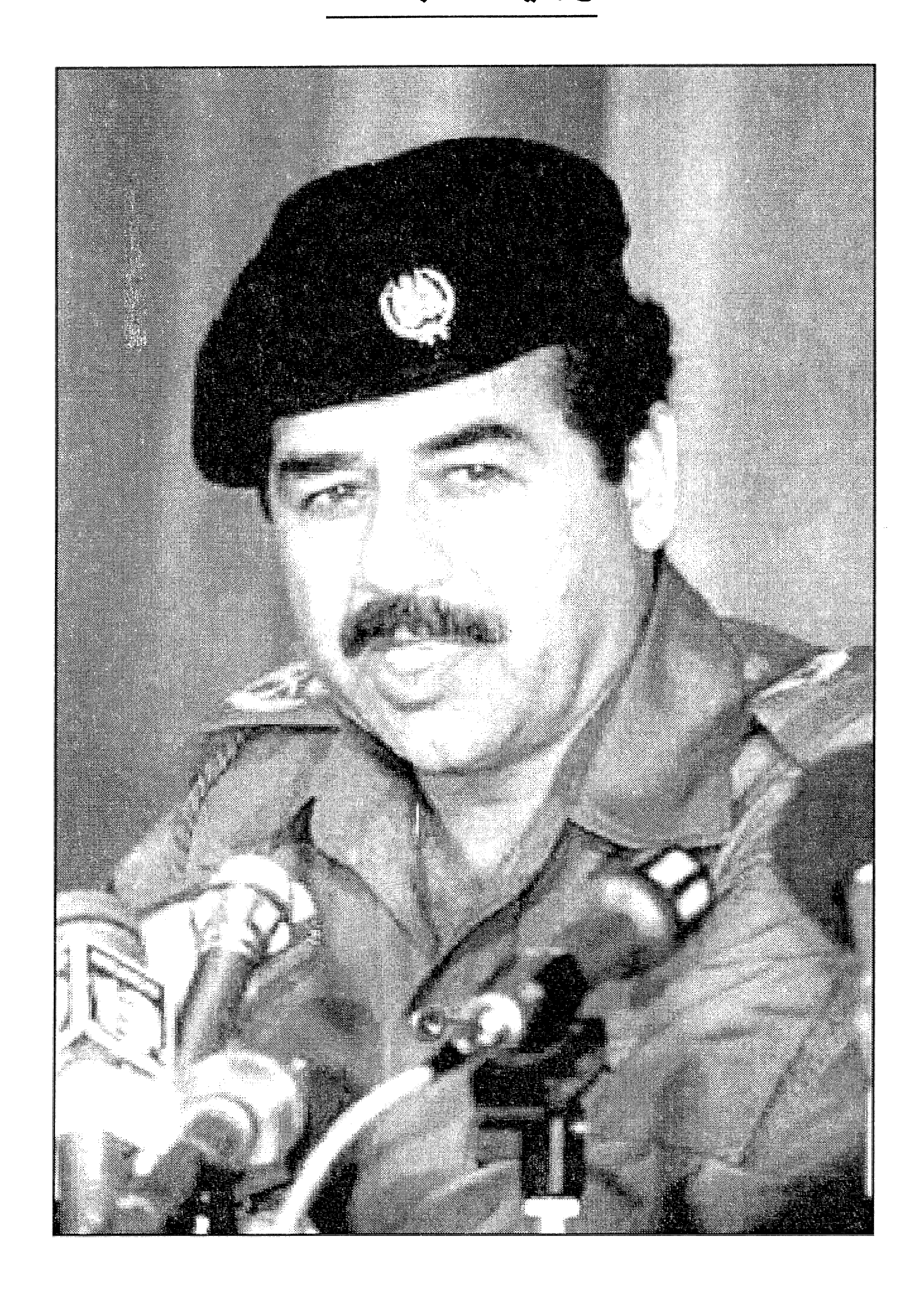
الثورة الإيرانية هزمت الشاه ولم يستطع حلفاؤه الأمريكيون إنقاذه !!



السادات الوحيد الذي وافق على استقبال الشاه بعد سقوطه في الوقت الذي رفض فيه حلفاؤه الأمريكيون السماح له باللجوء إليهم !!

١٢ - صدام وغزو الكويت .. حسابات مغلوطة

ونهايات مفجعة !!



لم يسقط صدام حسين بدخول القوات الأمريكية بغداد في عام ٢٠٠٣، ولكنه سقط عمليًّا بغزوه جارته الكويت، و كل ما حدث فيما بين هذين التاريخين هو عملية تمهيد لنهايته !

عندما أمر صدام جحافل قواته التي خرجت لتوها من حرب طاحنة مع إيران، بالزحف صوب الكويت، فإنما كان يرتكب أحد أكبر الأخطاء التي يمكن أن يقدم عليها حاكم أحمق مندفع و متهور في التاريخ المعاصر .

لقد أسقط صدام الذي أطاح حلفاؤه القدامى " الأمريكيون " بنظامه وحاكموه وأعدموه من حساباته كل ما كان من الممكن أن يثنيه على الوقوع في هذا الخطأ التاريخي، ويحول دون إقدامه على عملية انتحار كبرى له و لنظامه بغزوه الكويت!!

كانت مرحلة عبث حقيقية ساهمت في صناعة و تسويق نظام عدواني كان موهوما بالعظمة و الغرور تصور خلالها من أن هيمنته على الكويت ستكون مجرد نزهة عسكرية سريعة

قيل حوالى خمسة عشر عاما دخلت القوات العراقية الكويت كان ذلك بمثابة بركان انفجر في العالم العربي .

بدأت الجيوش الأمريكية والغربية تتدفق على منطقة الخليج استعداداً لتحرير الكويت وهو ما تم فعلا في بدايات عام ١٩٩١ . تسعون الف جندي عراقي وقعوا في الأسر وعاد الباقون إلى العراق أو قتلوا في اكبر حملة قصف شهدتها الكرة الأرضية.

كان الثاني من أغسطس أكبر نكبة عربية بعد نكبة ١٩٤٨، و نكبة ١٩٦٧، و نكبة غزو لبنان ١٩٨٢.. فقد ضرب كل آمال الوحدة العربية، و قسم العالم العربي إلى دول الـ " مع " و دول الـ " الضد " .. من يساند صدام في عدوانه ضد الكويت، ومن يقف ضده و يرفض السماح له بمواصلة مخططه الشيطاني . و من آثار الغزو أيضًا تكريس التواجد العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط !!

فعندما أعلن العراق وإيران إنهاء الحرب رسمياً بينهما، والتي دارت رحاها على مدى ثماني سنوات، لم يكن بمقدور الشعب العراقي تصديق حقيقة انتهاء الحرب حتى عاد أبناؤه من ساحتها؛ فالحرب تحولت إلى شبح يطارد حياتهم بكل تفاصيلها اليومية، وعلى قرع طبولها نشأت أجيال عدة؛ فالجيل الذي عاصر الحرب حين اندلاعها وهو في مرحلة الطفولة تحول إلى مرحلة الشباب بفعل التقادم الزمني للحرب، وأفنت الحرب آلافاً منهم بعد وصولهم إلى سن التجنيد وسوقهم إلى ساحات المعارك، والجيل الذي ولد مع ميلاد الحرب تفتحت مداركه على أخبار الحرب، وتشبعت حواسه بأحاسيسها وتداعياتها، ولا ننسى أن مئات الآلاف منهم جاؤوا إلى الحياة ووجدوا أنفسهم في عداد الأيتام بعد أن قضى آباؤهم في الحرب؛ لأجل ذلك لم يكن الناس ليصدقوا أن الحرب انتهت لولا أن عاد أبناؤهم منها.

ولكن الحقيقة التي لم يكن يدركها الناس هي أن الحرب إنما توقفت لالتقاط الأنفاس فقط ليس إلا، وقبل أن يتسع الوقت لإعمار ما دمرته الحرب من خراب على الأرض، وفي الاقتصاد والتنمية، وفي الأنفس؛ دقت طبول الحرب من جديد هذه المرة من حيث لم يكن أحد ليحتسب قط، ولا ليخطر على قلب مؤمن ولا عربي؛ فمن كان يظن أن العراق سيغزو الجارة الشقيقة الكويت التي وقفت مع العراق والعراقيين في أحلك الظروف وأصعبها، وفي الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠، حلت الكارثة هذه المرة ليس على العراقيين فقط بل على العرب والمسلمين، وعلى مقدرات الأمة ومنطقة الشرق الأوسط بأكملها.

قبل ذلك اليوم كانت السفيرة الأمريكية ببغداد تنصب الفخ الذي وقع فيه صدام مستغلة ما هو معروف عنه من تهوره و اندفاعه و قبل ذلك انتهازيته وأطماعه، فاللقاء الأخير بينها وصدام حسين كان ينبئ بخبر شؤم عظيم يلوح في الأفق. كان الحديث عن أسعار النفط وعن حقل الرميلة، وكانت السفيرة تدفع بتأزيم الوضع بين معطيات تتهيأ لخطيئة ومغامرة حمقاء لشطب دولة من الخارطة الجغرافية والسياسية، بعد سنتين من إسدال الستار على حرب عبثية دامت ثماني سنوات عجاف، أتت على الأخضر واليابس في بغداد كما في طهران.

وهكذا وبعد سبعة عشر عاما، ضرب صدام الوحدة العربية التي رفع شعارها حين غزا الكويت في مقتل بغزوه المجرم، بل كان التفتيت هو العنوان الواسع الذي أعقب الثاني من أغسطس، وكانت بلاد الرافدين هي المحطة الأولى لتجريب دول الطوائف والقبائل المتناحرة على طريقة الجاهلية الأولى.

وحتى نتبين حجم الأخطاء الكارثية التي ارتكبها صدام بغزوه الكويت و التي كانت وبحق مسمارًا في نعشه، حيث أسست لسقوط نظامه - فيما بعد — على أيدي حلفائه القدامى " الأمريكيين " الذين أجهزوا عليه بعد غزو و احتلال و اعتقال و محاكمة و إعدام .. حتى نتبين هذا يجدر بنا الوقوف عند الظروف والملابسات التي سبقت زحف جحافل صدام نحو دولة يفترض أنها عربية ومسلمة وشقيقة وعضو في الجامعة العربية، ناهيك عن عدم مشروعية مثل هذه الجريمة الكبرى بغض النظر عن كل ما أشرنا إليه !

بالعودة إلى فترة ما قبل الغزو سنجد أن صدام كان قد خرج لتوه بالعراق من حرب ضروس مع إيران زج هو بشعبه فيها، بوضع اقتصادي لا يحسد عليه، فقد استنفد كل احتياطيات البلاد من العملات الأجنبية، والذهب، البالغة ٣٦ مليار دولار، وكل موارده النفطية خلال سنوات الحرب، والتي تقدر ب ٢٠ مليار دولار سنوياً، وفوق كل ذلك خرج العراق بديون كبيرة جداً، للكويت، والسعودية، وفرنسا،

والاتحاد السوفيتي السابق، والبرازيل، وغيرها من الدول الأخرى، وقد جاوزت الديون ٩٠ ملياراً من الدولارات .

وصار العراق ملزماً بدفع فوائد باهظة لقسم من ديونه بلغت حدود ٣٠ ٪، مما جعل تلك الفوائد تتجاوز ٧ مليارات دولار سنوياً . بالإضافة إلى ما تطالب به إيران من تعويضات الحرب، بعد أن أقرت لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة بأن العراق هو المعتدي في تلك الحرب، وكانت إيران تطالب بمبلغ ١٦٠ مليار دولار كتعويضات حرب .

وهكذا كانت الديون تثقل كاهل الاقتصاد العراقي، فتوقفت معظم مشاريع التنمية، هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه تعمير ما خربته الحرب من أموال وجهود، فقد أجمعت التقارير عن أن وضع العراق الاقتصادي بعد حربه مع إيران كان على النحو التالي :

- إن الوضع الاقتصادي لم يكن يبشر بخير، فقد وصل الدخل إلى ٢٥ مليار دولار، في عام١٩٨٨ ولكن صورة الاقتصاد العراقي خلال السبعينيات قد تلاشت، وحل محلها وضع اقتصادي مظلم، وخراب واسع في أنحاء البلاد، و تحول الاقتصاد من سيئ إلى أسوأ، مما كان ينذر بسياسات صدامية متهورة، في محاولة للخروج من المأزق الاقتصادي الذي يمر به، و ذلك في ضوء ما يعرف عن شخصيته !

كان العراق بعد حربه مع إيران يملك القوة، ولكنه في الوقت نفسه يعاني من اقتصاد متدهور، وديون تثقل كاهله، وجواره بلدان ضعيفة عسكرياً ولكنها غنية جداً، تغري ثرواتها أصحاب القوة، وخاصة بالنسبة إلى بلد مثل العراق، الذي يحكمه نظام دكتاتوري يقوده رجل كصدام حسين، هذا الرجل الذي أصابه غرور لا حدّ له، بعد أن انتهت في حربه ضد إيران وأصبح لديه جيش جرار، وترسانة هائلة من الأسلحة التقليدية، ومصانع حربية متطورة، ولكنه يفتقد إلى المال لسداد ديونه، وتعمير ما خربته الحرب، هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه لإدامة جيشه، ومواصلة تسليحه، ناهيك عن مشاريع التنمية التي تحتاجها البلاد، والتي توقفت خلال سنوات الحرب .

ولاشك أن هذه الظروف الاقتصادية الصعبة، التي خلقها صدام نتيجة تهوره، واندفاعه لتنفيذ المخططات الإمبريالية، بشنه الحرب ضد إيران والتي ظنها نزهة قد تدوم بضعة أسابيع، أو بضعة اشهر على أبعد الاحتمالات، وأراد لها مخططوها أن تدوم سنوات طوالا، وبقوا يغذونها باستمرار، تارة يقدمون المساعدات للعراق، وتارة أخرى لإيران .

وقد أكد هذه الحقيقية وزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر في مذكراته حيث تحدث عن تلك الحرب قائلاً : " إنها الحرب التي أردناها أن تستمر أطول مدة ممكنة، ولا يخرج منها أحد منتصراً " . وهكذا كان على الولايات المتحدة أن تساعد الطرفين كي يستمر لهيب الحرب بينهما، التي حصدت أرواح نصف مليون من خيرة شباب العراق، ورملت عشرات الألوف من النساء، ويتّمت مئات الألوف من الأطفال، ومزقت قلوب الآباء والأمهات .

وبسبب تلك الظروف الاقتصادية الصعبة التي سببتها الحرب للعراق بات على صدام أن يفكر في تحقيق موارد جديدة للعراق تعوضه عن خسائر الحرب، وتفتقت عقليته البليدة عن مشروع غزو الكويت وضمه إلى العراق حيث توهم أن بمقدوره أن يحقق هدفين كبريين من وجهة نظره، تمثل الهدف الأول بالاستحواذ على موارد نفط الكويت، وتمثل الهدف الثاني في الحصول على منفذ واسع على الخليج يمكنه من تصدير نفطه بيسر وسهولة بالإضافة إلى توسيع المنافذ التجارية للعراق .

وهكذا افتعل صدام نزاعًا مع الحكومة الكويتية متهماً إياها بالعمل على تخفيض أسعار النفط من خلال زيادة الإنتاج مما سبب أضراراً شديدة بالاقتصاد العراقي المنهك أصلاً ، كما طالب الحكومة الكويتية بالتنازل عن ديونها البالغة ١٠ مليارات دولار، وقد رفضت الكويت اتهامات العراق ورفضت التنازل عن ديونها، وطالبت العراق بتخطيط الحدود بين البلدين .

وبدأت العلاقات بين العراق والكويت تأخذ مجرى خطيرا، فالكويت أصرت على مواقفها، وصدام يمارس الضغوط عليها ويصعد من تهديداته، في إطار مخططه الإجرامي للاستيلاء على ثروات الكويت باجتياح عسكري .

وقد حاولت كل من السعودية والأردن التوسط بين الطرفين، لكن المحاولة لم تثمر، بل على العكس ظهرت أشياء جديدة أخرى على سطح الأحداث، فقد أخذ صدام يتحدث عن حمايته لأمن الخليج بحربه مع إيران طيلة ٨ سنوات، و أن العراق دفع ثمناً غالياً من دماء مئات الألوف من أبنائه، وردت الكويت على دعاوى العراق، بأنها قد ساعدت العراق حيث قدمت له بعد أسابيع من بداية الحرب قرضاً بمبلغ ٥ بلايين دولار، وأنها كانت تصدر لحساب العراق ١٢٥ ألف برميل من النفط يومياً للإيفاء بالتزامات العراق المالية المتعاقد عليها مع الدول الأخرى لغرض التسلح .

أما صدام حسين فقد رد على الكويت قائلاً : إن الأموال هي أرخص تكاليف الحرب، وإن القرض هو دين علينا أن نرده، وأن العراق خسر مئات البلابين، ومئات الألوف من أرواح أبنائه دفاعاً عن الخليج !!

وردت حكومة الكويت بأنها هي أيضاً تعرضت لنيران الحرب، حيث جرى قصف منشآتها النفطية وناقلاتها ،واضطرت لشراء الحماية من الدول الكبرى لناقلاتها .وجاء الرد العراقي متهماً الكويت بأنها لم توافق على إعطائه تسهيلات في جزيرتي" بوربا، وبوبيان" وأن الكويت لو فعلت ذلك لاستطاع العراق تحرير الفاو منذ زمن طويل .

وردت حكومة الكويت بأنها لو أعطت تلك التسهيلات للعراق، لتمسك بها، ورفض الخروج منها، ولم يكد صدام يسمع الجواب حتى بادر إلى القول أن الجزيرتين عراقيتان، وسارع حكام الكويت إلى الرد بأن النظام العراقي بدأ يكشف عن أطماعه في الكويت .

وهكذا تصاعدت لهجة حكام البلدين إلى درجة تنذر بعواقب وخيمة، فقد اتهم العراق حكام الكويت باستغلال انشغال العراق في الحرب، للزحف داخل الأراضي العراقية، وتغير الحدود، وسرقة نفط حقل الرميلة الجنوبي، وأن الكويت باعت نفطاً من هذا الحقل ما مقداره ٢٠٠٠ مليون دولار .

وردت حكومة الكويت بأن العراق يرفض تثبيت الحدود بين البلدين، وأن له أطماعا في الكويت، وأن ادعاء حكام العراق عن زحف مزعوم للحدود الكويتية تجاه العراق، وسرقة نفط حقل الرميلة الجنوبي لا أساس له من الصحة .

وفي واقع الحال كان العراق يتهرب دائماً من مسألة تثبيت الحدود بين البلدين، بشتى الوسائل والأعذار، مدعياً بأن العراق منشغل في حربه مع إيران، وأن الوقت غير مناسب للبحث في هذا الموضوع .

وهكذا أخذت الأزمة بين العراق تتعمق، والمخاطر تتصاعد، ولاسيما وأن صداما يتميز بالتهور، ويعشق الحروب، وقد ظهرت أطماعه في الكويت بادية للعيان وتم رصد تحركات عسكرية عراقية بالقرب من حدود الكويت .

أما الولايات المتحدة فقد كانت تنتظر بفارغ الصبر أن يقدم صدام حسين على مغامرته، وأوعزت لسفيرتها لمقابلة صدام ،وكان الهدف من المقابلة إبلاغه بأن الولايات المتحدة لا تنوي التدخل في الخلافات العربية، وأن على الحكام العرب أن يحلوا مشاكلهم بأنفسهم، وأرادت الولايات المتحدة بذلك، أن توصل الإشارة لصدام بأنه حر اليدين في التعامل مع الكويت .

طلبت السفيرة الأمريكيةكلاسبي المقابلة، وتمت الموافقة عليها في اليوم التالي، ٢٥ يوليو ١٩٩٠ ، وكان لدى صدام حسين شيء يريد أن يقوله للرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، قبل إقدامه على غزو الكويت . لقد أراد أن يبلغ الرئيس بوش، أن العراق لا ينوي التعرض للمصالح الأمريكية في الخليج، وبصورة خاصة، مصالحها النفطية، لكي يضمن حيادها !

وتمت المقابلة، وبدأ صدام حسين الحديث مع السفيرة، مستعرضاً تطور العلاقات بين العراق، والولايات المتحدة، منذُ أن قطعها العراق إثر حرب ٥ يونيو عام ١٩٦٧، وحتى إعادتها عام ١٩٨٠، قبل قيامه بالعدوان على إيران بحوالي الشهرين، وكان صدام حسين خلال حديثه الذي استغرق ٤٥ دقيقة يعمل جاهداً لتوضيح موقف العراق من الولايات المتحدة، وضرورة تفهم بعضهم للبعض الأخر، وداعياً إلى إقامة علاقات جديدة من التعاون، والثقة المتبادلة والمصالح المشتركة .

كما تحدث صدام حسين عن حربه ضد إيران، مذكراً الولايات المتحدة أن النظام العراقي هو الذي وقف بوجه إيران، ولولا العراق لما استطاعت الولايات المتحدة إيقاف اندفاع حكام إيران !!، فالولايات المتحدة لا تستطيع تقديم عشرة آلاف قتيل، في معركة واحدة !!، لكن العراق قدم أضعاف مضاعفة لهذا الرقم لحماية المصالح الأمريكية .

كان لسان حال صدام حسين يقول للسفيرة، ألم نحارب ٨ سنوات نيابة عنكم، وخدمة لمصالحكم ؟مضحين بأرواح نصف مليون مواطن عراقي، ذلك أن قيمة الإنسان لدى هذا الدكتاتور المتوحش، لا تساوي شيئاً .

وبعد استعراض العلاقة الأمريكية العراقية، انتقل صدام في حديثه مع السفيرة إلى الوضع الاقتصادي في العراق، بعد حربه مع إيران قائلاً :

إن العراق يواجه اليوم حرباً اقتصادية، وأن بعض الدول كانت أدوات هذه الحرب، تجاوزت حصص الإنتاج، وأغرقت الأسواق العالمية بالنفط، بحيث سبب ذلك في تدهور أسعاره، وبالتالي خسر العراق ما يزيد على ٧ بلايين دولار سنويًا، في وقت هو أحوج ما يكون لها لإعادة إعمار ما خربته الحرب، والنهوض بمشاريع التنمية، التي توقفت خلال الحرب، وأخيراً الديون التي تراكمت على العراق، أوجبت أن عليه أن يدفع فوائد لتلك الديون بما يتجاوز ٧ مليارات دولار سنويًا، وإن العراق لا يمكن أن يرضى بهذا الوضع، إنهم يهدفون إلى إذلال شعب العراق .

وقد تناسى صدام أنه قد أذل شعب العراق ،منذ جاء إلى الحكم بانقلاب عسكري، وجعل من نفسه دكتاتوراً ليس له مثيل في عالم اليوم ،وأشعل الحروب، وسبب المآسي والويلات لشعبه .

وانتقل صدام إلى مسألة الحدود، موضحاً للسفيرة، أن الكويت استغلت انشغال العراق في حربه مع إيران، وزحّفت حدودها نحو العراق، وقامت باستغلال حقل الرميلة الجنوبي، وسرقت من النفط ما قيمته ٢٤٠٠ مليون دولار، وأردف صدام قائلاً :

إن حقوقنا سوف نأخذها حتماً، سواء غداً، أو بعد شهر، أو بعد عدة أشهر، فنحن لن نتنازل عن أي من حقوقنا.

وأنتقل صدام بعد ذلك إلى محاولة تطمين الولايات المتحدة على مصالحها النفطية في الخليج قائلاً :

نحن نفهم تماماً حرص الولايات المتحدة على استمرار تدفق النفط، وحرصها على علاقات الصداقة في المنطقة، وأن تتسع مساحة المصالح المشتركة في المجالات المختلفة، ولكننا لا نفهم محاولات تشجيع البعض لكي يلحق الضرر بنا.

وأخيراً اختتم صدام حديثه بتوجيه التحية إلى الرئيس بوش، راجياً السفيرة أن تُطّلع الرئيس على نص حديثه معها شخصياً .

وبعد أن انتهي صدام من حديثه، جاء دور السفيرة كلاسبي ،التي شكرت بادئ الأمر صداما على حديثه معها، وأعربت عن حرص الولايات المتحدة على صداقتها مع العراق، وتطوير العلاقات معه في مختلف المجالات، ثم أضافت قائلة :

سيدي الرئيس أود أن أعلق على نقطتين أساسيتين وردتا في حديثكم، النقطة (الأولى حول موضوع الحرب الاقتصادية التي ذكرتموها، وأود هنا أن أقول باسم حكومتي، أن الرئيس بوش، لا يرمي إلى الحرب الاقتصادية ضد العراق، وإنما يود

أن تكون هناك علاقات أفضل بين البلدين، ولكن الولايات المتحدة لا تريد أسعاراً عالية للنفط، وتود أن يكون هناك استقرار لسوق النفط، فإن أي اضطراب لسوق النفط، وللأسعار، يؤثران تأثيراً بالغاً، ليس على اقتصادنا فحسب، بل اقتصاد جميع الدول الأخرى) .

ورد صدام حسين قائلاً : إن سعر ٢٥ دولارا للبرميل ليس غالياً.

ثم انتقلت السفيرة إلى النقطة الثانية، والتي هي بيت القصيد في تلك المقابلة، فقد تحدثت عن الخلافات العربية قائلة :

إن التوجيهات الموجهة إلينا، هي إننا لا ينبغي أن نبدي رأياً حول القضية، فلا علاقة للولايات المتحدة بها، ونحن نتمنى حل المشاكل بينكم بأي طريقة مناسبة، فنحن لا ننوي التدخل في هذه المشاكل .

لقد أرادت السفيرة أن تقول لصدام حسين، إنه حر في تصرفاته إزاء الأزمة مع الكويت، وفهم صدام أن الضوء الأخضر قد أشعل أمامه ليقوم بمغامرته، التي كانت الولايات المتحدة تنتظرها بفارغ الصبر .

أما صدام فقد اعتقد أن كلام السفيرة كلاسبي هو كارت أخضر لغزو الكويت، وهكذا وقع في الفخ الذي نصبته له الولايات المتحدة لتوجيه الضربة القاضية لقواته وأسلحة الدمار الشامل التي زودوه بها خلال الحرب مع إيران .

و في الساعات الأولى من فجر الثاني من أغسطس ١٩٩٠، بدأت جحافل القوات العراقية الغازية بالتحرك نحو مدينة الكويت، فيما حلقت الطائرات العراقية فوق المدينة، وأنزلت القوات المظلية في مطارها، واحتلته ،و بدأت الانفجارات يُسمع دويها في مختلف أنحاء المدينة، وركزت الطائرات العراقية هجماتها على المراكز الحساسة فيها، ولم تمضِ سوى ساعات قليلة حتى استطاعت القوات العراقية من الوصول إلى العاصمة، وإحكام سيطرتها عليها.

وسارع أمير الكويت إلى طلب المساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة لطرد القوات العراقية الغازية من الكويت، وإعادة الشرعية للبلاد .

أما النظام العراقي فقد سارع في صباح ذلك اليوم إلى الإعلان عن وقوع انقلاب عسكري في الكويت !! من قبل عدد من الضباط الشبان، على عائلة الصباح الحاكمة، وأعلن العراق عن طريق الإذاعة والتلفزيون أن قادة الانقلاب قد طلبوا المساعدة من العراق لمنع أي تدخل أجنبي، وقد تم تلبية الطلب، وإرسال قوات عراقية إلى الكويت، وأن هذه القوات سوف تبقى أسبوعاً أو بضعة أسابيع ،ريثما يستقر الوضع، ثم تنسحب من الكويت .

كما أعلنت حكومة العراق عن غلق الأجواء العراقية أمام الطيران المدني، وإغلاق الحدود، ومنع السفر إلى خارج العراق، تحسباً لكل طارئ .

وفي حقيقة الأمر كان ادعاء حكام العراق، على درجة كبيرة من السخف والغباء، فالقوات العراقية كانت قد جرى حشدها على الحدود منذُ مدة، وكانت تهديدات النظام العراقي تتوالى كل يوم، وإن كل ما قيل عن وقوع انقلاب هو محض هراء، ولا وجود لمثل أولئك الضباط الانقلابيين، ولم تنطلِ تلك الأكاذيب على أحد، لا في العراق، ولا الكويت، ولا في أي مكان من العالم .

لم يقدر صدام الأمور تقديراً صائباً ،وأوقع نفسه بأخطاء جسيمة، وجره تعنته إلى نقطة اللا عودة . لقد استهان صدام حسين بالتطورات التي حدثت على المستوى العالمي، بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، وبداية تفكك الاتحاد السوفيتي، وظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم، دون منازع .

لقد أخذ صدام الغرور من تعداد جيشه، وأسلحته التقليدية منها، وأسلحة الدمار الشامل، الكيماوية والبيولوجية والجرثومية، وصواريخه بعيدة المدى إضافة إلى سعيه الحثيث لامتلاك القنبلة النووية .

لقد ظن صدام نفسه قادرا على منازلة الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، الذين لهم مصالح كبرى في الخليج تجعلهم على استعداد لعمل كل شيء من أجل الحفاظ عليها، حتى لو أدت إلى حرب ذرية، ووصل الأمر بصدام أن يقف أمام عدسات التلفزيون، يستهزئ بقوة الولايات المتحدة، وتكنولوجيتها العسكرية قائلاً : إن طائرة الشبح التي يهددوننا بها لا تخيفنا، وإن بإمكان راعي الغنم أن يسقطها ببندقية البرنو!

أضاف صدام قائلاً : إنني واثق كل الثقة بأننا سننتصر إذا ما قامت الحرب، وإننا سوف نهزم الجيوش الأمريكية وجيوش حلفائها ونعيد جنودهم إلى بلادهم بالأكفان .

بهذه العقلية كان يفكر صدام حسين، وقد جعل من نفسه القائد الضرورة الذي لم تنجب الأمة العربية قائداً مثله من قبل .

لقد بلغ به الغرور حداً جعله يفاجئ حتى اقرب أصدقاء العراق، في غزوه الكويت، فقد كان من المفروض أن يجري مشاورات مع الاتحاد السوفيتي، الذي تربطه به معاهدة صداقة وتعاون إستراتيجي حول خططه لغزو الكويت، ويقف على حقيقة موقفه من مغامرته تلك، فلا يُعقل أن يُقدم بلد صغير كالعراق على تحدي الغرب، دون أن يكون له سند كالاتحاد السوفيتي، وهكذا فوجئ صدام بأن الاتحاد السوفيتي يقف ضد مغامرته، ولا يؤيده فيها، بل يطالبه بالانسحاب الفوري من الكويت، ويؤيد كل القرارات التي أصدرها مجلس الأمن ضد العراق .

وبدلاً من أن يعيد صدام حساباته، ويتدارك الأمور قبل فوات الأوان، فإننا نجده يصعّد الأزمة أكثر فأكثر، فقد أعلن عن مطالب جديدة، بربط مسألة احتلال الكويت بمشاكل الشرق الوسط، طالباً انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، وانسحاب الجيش السوري من لبنان، وذهب إلى أبعد من ذلك فطالب بتوزيع الثروة النفطية على الدول العربية الفقيرة، وكانت تلك كلمة حق أريد بها

باطل، فلو كان صدام يهتم بمصالح الشعوب العربية إلى هذا الحد، فقد كان الأولى به أن يهتم بمصالح شعبه أولاً وقبل كل شيء، لكنه بدلاً من أن ينهض بمستوى معيشة شعبه، زجه في حرب دموية لا مبرر لها، ولا مصلحة له فيها مع الجارة إيران، دامت ٨سنوات، وأغرق العراق وشعبه بالدماء، وجاءت الحرب على الأخضر واليابس، كما يقول المثل، وخرج العراق منها وهو مثقل بالديون، وقد فقد كل مدخراته، وأصيب اقتصاده بالانهيار التام .

وبدلاً من أن يحاول صدام إصلاح أوضاع العراق الاقتصادية، عن طريق نبذ الحروب، وسياسة التسلح، وتبديد ثروات البلاد، فإنه لجأ إلى غزو الكويت، وأوقع العراق بمأزق جديد، يفوق بمئات المرات، المأزق الإيراني، ولم يحسب أي حساب لما يمكن أن تؤدي مغامرته هذه بالعراق من مآسٍ وويلات .

لقد كان التساؤل على أفواه الجميع : كيف جرأ صدام حسين على تحدي الولايات المتحدة ؟ وهل كان هناك أدنى شك بان صدام يقود العراق إلى معركة خاسرة ؟

لقد كان الناس في تلك الأيام يتساءلون عن سر موقف صدام، وكان في تقديرهم أمران، فأما أن يكون قد أصاب صدام مَسٌّ من الجنون، جعله يقنع نفسه بقدرته على دحر الجيوش الغربية أو كانت لديه القناعة بأن الولايات المتحدة، التي سهلت له الأمر للإقدام على مغامرته، حين التقى بسفيرتها أيريل كلاسبي أعطته الضوء الأخضر لاحتلال الكويت، تعويضاً لخسائره في حربه مع إيران نيابة عنها، وأن ما تفعله من استعدادات حربية ما هو إلا زوبعة في فنجان لا تلبث أن تتلاشى وتزول وليست فخاً نصبته له الولايات المتحدة لتوقع العراق فيه، من أجل توجيه الضربة القاضية له، وتحطيم قدراته العسكرية والاقتصادية وتعيد العراق إلى الوراء عشرات السنين .

وهكذا فبالرغم من أن صداما كان قد آلى على نفسه بأن لا يشهر سلاحه على عربي ولا يدخل في معارك مع الأشقاء، كما تعهد هذا الطاغية بعد الدخول في

المعارك الكلامية مع الكويت أن لا يشن حرباً ضد جارته الكويت الشقيقة، طالما ظلت أبواب الحل مفتوحة بفعل وساطات الاشقاء مثل المملكة العربية السعودية ومصر والأردن، لكنه قد فاجأ العالم بشن عدوانه على الكويت مع مئة ألف جندي وأكثر من ثلاثة الاف عجلة وناقلة ودبابة متحدياً إرادة الجميع ومحكما لإرادة العدوان والشر وقد قام النظام العراقي بإعدام ١٢٠ ضابطاً عراقياً كبيراً بسبب رفضهم وعدم مشاركتهم في هذا العدوان ومن أبرزهم اللواء الركن ناظم عمر توفيق والعميد عامر على السعدون والعميد الركن حسين على سليمان والعقيد سعدون وصفي كامل والعقيد يحيي مراد صفوان.

هناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى احتلال صدام الكويت نسردها بإيجاز لتعرف حقيقة وماهية هذا الغزو الوحشي الهمجي وهذا الاعتداء الصارخ على بلد له كيان مستقل وسيادة تامة وبلد معروف بالتعايش السلمي مع أبنائه ومع سائر البلدان العربية والإسلامية.

- كان صدام نتيجة لطبيعته السلطوية وحالته الاستعلائية ونزعته الشرسة يطمح من زمن بعيد ان يتولى حراسة المنطقة وأن يصبح شرطياً كفئا لحماية امن الخليج لإشباع غرائزه من حب الجاه والمقام والسيطرة على أكبر قدر من البلاد العربية ولبسط سلطانه وقدرته وكبريائه على هذه الدول ودول أخرى إن أمكنه ذلك ولمصالحه الخاصة.

- نهب ثروات الكويت هذه الدولة التي كانت مورداً للحسد من قبل النظام العراقي لما يتمتع به هذا الشعب من سعادة وحياة مفعمة بالخير والسلامة وانسجام بين الحكام والمحكومين و عدم وجود مشاكل اقتصادية و غيرها.

ولابتزاز الدول العربية في المنطقة باستمرار لاعتقاده بأنه حارب ودافع عنهم طيلة ثماني سنوات للحفاظ على حكوماتهم من تصدير الثورة الايرانية ووصولها إلى داخل بلادهم، و قد أزهقت في هذه الحرب العدوانيد على إيران أرواح عشرات

الآلاف من العراقيين ضحية لنزوة صدام فكان يرى طاغية بغداد أن على دول الخليج وخصوصاً الكويت أن يدفعوا الثمن الباهظ الذي كان يطلبه أجر حمايته لهم، وكان يرى صدام أن من حقه نهب جميع ثروات الكويت، فقد قام الجيش العراقي بسرقة أموال الكويت المنقولة فقط بما يقدر بأكثر من ٦٠ مليار دولار عدا السيارات والمحال التجارية والأسواق المختلفة للذهب وغيره والتي يصل مجموعها اكثر من ٢٠٠ مليار دولار.

- تصدير أزماته الداخلية ومشاكله المتفاقمة التي أصبحت تهدد النظام الحاكم في بغداد إلى البلدان المجاورة كي يبقى النظام في الداخل مستقراً وبعيداً عن الاخطار المحتملة به ولكي يعيش في داخل العراق بأمن وسلام وطمانينة ولأجل خلق الأزمات وافتعالها فإن صداما لا يمكنه ان يعيش إلا في أجواء قلقة وغير طبيعية فهو لا يحب الأمن والسلام واحترام حقوق الإنسان بل هذه الأمور تعتبر عند صدام موادا قاتلة له.

- العامل الاقتصادي حيث خرج العراق من حربه الظالمة ضد الجمهورية الإسلامية صفر اليدين اقتصاديا بحيث أصبح الجوع يسود الشعب العراقي المظلوم. فلأجل جمع الأموال وعلاج حالته الاقتصادية المنهارة والاختناق الاقتصادي القاتل الذي بدأ يعانيه النظام بعد فراغه من الحرب مع إيران ومحاولة الإفلات من مصير مدمر مجهول، والبطالة وأرقام التضخم والديون المتراكمة التي تقدر بمئات ملايين الدولارات جعل صدام يغزو الكويت و قد اعترف طارق عزيز بهذه الحقيقة في مقام رده على انتقادات وزير الخارجية السعودي للغزو العراقي للكويت قائلا: لقد وصل الاقتصاد العراقي إلى مرحلة سيئة جدا ولم يعد لدينا أي خيار آخر .

وقد استخدم صدام أسلوبا نفسيًّا منظما لتهيئة الرأي العام العراقي لتبرير هجومه على الكويت، فقبل الغزو الغاشم على الكويت بيوم واحد كرر التلفزيون

العراقي عشرين مرة هذه العبارة : "ايها العراقيون الشرفاء إن ما أصابكم من جوع و فقر في زمن الحرب و بعدها كان سببه حكام الكويت ".

- كان صدام يرى أن من حقه القيام بأي عمل يساعد على تحقيق أهدافه العدوانية التوسعية لأنه غير مقتنع بحكم ثمانية عشر مليونا ضمن أراض محدودة بل نظرة صدام هي أن تتسع جغرافية نظامه الحاكم في العراق وأن يصبح هو بطلا قوميا وأن يسلم نفط الخليج بل مفاتيحه إليه وأن يتزعم العرب إلى مالا يقف عند حد معين، و لأن طبع صدام هو الخيانة ونقض العهود والمواثيق مع شعبه وجيرانه فلم يكن يرى مانعاً من تحقيق رغباته الشيطانية أن يقوم بأي عمل عدواني بالإضافة إلى نزعته الميالة إلى إثارة الأزمات وتحريكها بما يخدم بروزه كرجل فاعل وحساس في المنطقة. وقد نبه الزعيم الإيراني الراحل آية الله الخميني إلى هذه النزعة العدوانية التوسعية لصدام ١٥ مرة مخاطبا حكام دول المنطقة : " بأن طاغية بغداد صداما كلب مسعور لا يتورع عن إلحاق الضرر والأذى بأصحابه ".

ويمكن القول إن الولايات المتحدة قد وجدت فعلا ضالتها المنشودة في إقدام صدام على غزو الكويت، لتنزل قواتها، وطائراتها الحربية و تملأ الخليج بأساطيلها الحربية، بالتعاون مع حلفائها الغربيين، بغية توجيه ضربة قاصمة للعراق، مستخدمة كل الوسائل العسكرية المتاحة لها، ومن أحدث ما أنتجته مصانعها من تكنولوجيا الأسلحة، لتنزل أقصى ما يمكن من الدمار بالبنية الاقتصادية والعسكرية للعراق، وإلحاق أبلغ الأذى بالشعب العراقي،وفرض الحصار الاقتصادي عليه لتجويعه وإذلاله وإفراغ العراق من كوادره وعلمائه ،والعودة به خمسين عاماً نحو الوراء .

لقد ورط صدام جيشه وشعبه،ووطنه ،في حرب كانت نتائجها محسومة سلفاً لصالح الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين ،أصرّ على البقاء في الكويت، وبدا الأمر وكأن صداما يريد حقاً إنزال الكارثة بشعبه ووطنه، فلم يشك اثنان في عدم قدرة صدام على الصمود بوجه أعتى وأقوى الدول الإمبريالية، بما تملكه من أفتك

أنواع الأسلحة، وأشدها تدميراً .وهكذا وقعت الواقعة، وحلت الكارثة التي توقعها الجميع، ودفع الشعب من جديد ثمناً باهظاً من دماء مئات الألوف من شبابه، وإنزال أقصى ما يمكن من الدمار بالبنية الاقتصادية ،والعسكرية للعراق وجرى إذلال جيشه وشعبه .

وقد أوقدت تلك النتائج المفجعة للحرب نار الحقد والغضب العارم على النظام الصدامي، لدى الجنود المنسحبين من الكويت، تحت وابل القذائف التي كانت ترسلها الطائرات الأمريكية والحليفة على رؤوسهم لإنزال أقصى ما يمكن من الخسائر البشرية بين صفوفهم .

لقد كان ذلك الغضب العارم لدى الجنود ينذر بالانفجار ليطيح بالنظام ورأسه صدام ،الذي سبب تلك الكارثة ،واستمر على الرغم من ذلك يتشبث بالبقاء في السلطة ،وهو الذي يتحمل كل نتائجها .

ومما زاد في خيبة أمل الجنود العائدين من الحرب ،أن قوات التحالف لم تتعرض للنظام ورأسه صدام ولا كان في حساباتها إسقاطه، فكان لابد وأن يتحرك الشعب، في ظل تلك الظروف التي أنضجت الانتفاضة، لتسقط هذا النظام الذي سبب كل المآسي والويلات للعراق وشعبه .

ومن أغرب ما تم الكشف عنه من أسرار استعدادات صدام لغزو الكويت هو أنه كان يأمر قادته العسكريين بإشاعة أخبار بين جنوده تفيد بأنهم يتدربون استعدادًا للتحرك لتحرير القدس .

وبالطبع جاء ذلك الزعم من جانب صدام في إطار متاجرته المعتادة بالقضية الفلسطينية، والتي وضحت أكثر بعد الغزو، حيث وعد الفلسطينيين بجزء من كعكة الكويت . ولعل موقف الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات المؤيد لصدام في غزوه الكويت، رغم وقوفها زمنًا طويلا إلى جانب الفلسطينيين، قد عزز تلك الأنباء.

وهناك مقال مهم لمحمد المشاط سفير صدام السابق في واشنطون وقت غزو الكويت . أهمية المقال أنه يعبر عن حقيقتين : الأولى تحول مسؤولي صدام عن الاستمرار في تأييده بعد سقوطه، بعد أن كانوا يروجون لأكاذيبه و يغطون على جرائمه، والثاني أنه يكشف بعض الأسرار عن فترة الغزو، ومواقف الأطراف المعنية .

والدكتور محمد المشاط هو سفير صدام في واشنطن حلال حرب الكويت والذي كان يدافع عن الاحتلال بقوة، ويطل على المشاهدين في البرامج التلفزيونية ليمدح صداما . وبعد حرب الكويت تقاعد وأقام في كندا بعد أن عاد إلى الاضواء من خلال مقال نشره في جريدة " الشرق الأوسط " شتم فيه صداما والفلسطينيين واتهم صدام بالعمالة لإسرائيل . و فيما يلي مقال المشاط نقلا عن جريدة الشرق الأوسط :

"من الأمور المحزنة جداً أن نجد شريحة كبيرة من العرب وبضمنهم بعض الفصائل الفلسطينية ما زالوا يعتقدون بأن صدام حسين كان يعمل للقضية الفلسطينية ويهمه خير العرب ووحدتهم. والحقيقة الدامغة أن صدام حسين قد استعمل القضية الفلسطينية كدعاية رخيصة يحتمي وراءها لخدمة إسرائيل" .

وأما سياسته العربية فإنه كان يتكلم بالوحدة وبالتنسيق العربي ولكنه في واقع الحال كان يعمل على إبعاد العراق عن النهج الوحدوي وفي خدمة أمريكا سواءً كان ذلك بالحرب التي أعلنها على إيران وبدفع من أمريكا أو في قيامه بغزو الكويت مما مكَّن الأساطيل الأمريكية وجيوشها من الدخول وبشكل سافر، ليس فقط في الخليج العربي ولأول مرة، وإنما غطت جيوش أمريكا دول المنطقة بأكملها.

إن الوقائع التي سأسردها والمتعلقة بأفعاله لا بأقواله، لا بد أن تثبت للذين ما زالت في عيونهم غشاوة والذين لم يكن لهم مصلحة شخصية مع النظام أو لم يتسلموا الرشاوى منه بأن صدام قدم أكبر خدمة لإسرائيل ولأمريكا. نعم، إن

الوقائع التي سأسردها والتي عشتها خلال عملي داخل العراق وخارجه ستظهر بشكل لا يقبل الشك بأن سياسة صدام وقراراته وتوجيهاته كانت تصب في النهاية لمصلحة إسرائيل وأمريكا.

أفعال صدام فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والوطن العربي:

- كان صدام ينادي بالقضية الفلسطينية بالقول فقط وليس بالفعل. وبالعكس فإن أفعاله وسياسته كانت على الضد من الحق الفلسطيني. تعالوا نستعرض سويا ما قام به منذ تسلمه رئاسة الجمهورية في ١٧ يوليو ١٩٧٩:

أ ـ كان أول عمل قام به هو اغتيال الرئيس أحمد حسن البكر وذلك بزرقه حقنة دواء إضافية من (الإنسولين) لمرض السكري الذي كان يعاني منه البكر والتي أودت بحياته فجأة.

ب ـ سارع صدام في اغتيال عدد من أعضاء قيادة حزبه . وقد شمل الإعدام كلا من غانم عبد الجليل وعدنان حسين الحمداني ومحمد عايش وعبد الحسين الشمري ومحمد محجوب. وكان هؤلاء أعضاء في القيادة القطرية لحزب البعث والذين كانوا يؤيدون الرئيس البكر في نهجه العربي الوحدوي في أواخر أيام رئاسته للجمهورية.

- وفي الوقت الذي كانت أدبيات الحزب تعتبر القضية الفلسطينية العمود الفقري لنضال الحزب وأساس قضية العرب، أقدم صدام على غزو إيران والدخول في حرب طاحنة دامت ثماني سنوات، تلك الحرب التي استنزفت القسم الأعظم من طاقات العراق العسكرية والاقتصادية والبشرية. وبالتأكيد فإن هذه الحرب لم تصب بأي شكل من الأشكال في صالح القضية الفلسطينية، ولم يستفد منها سوى إسرائيل، لأن هذه الحرب أضعفت وأهدرت طاقات العراق لسنوات طويلة.

- بعد توقف الحرب العراقية ـ الإيرانية والتي دامت ثماني سنوات، أقدم صدام على غزو الكويت بدلاً من الانصراف إلى إعادة بناء ما هدمته الحرب. فماذا كانت نتيجة هذا الغزو؟

والجميع يعرف أن هذا الغزو قد أدى إلى شق الصف العربي وأدى إلى قيام أمريكا بالتمركز في جميع دول الخليج العربي وأدى أيضاً إلى قيام بعض الدول العربية إلى الاصطفاف بجانب أمريكا حيث أرسلت بعض هذه الدول بعضا من جيوشها إلى الخليج بغية إخراج العراق من الكويت .

والمعروف أيضاً أن قرارات مجلس الأمن الدولي بعد قيام العراق بغزو الكويت قد طالبت العراق بالانسحاب من الكويت وعندما رفض صدام الانصياع أقر مجلس الأمن حصاراً على العراق لم يسبق له مثيل، إذ لم يكن بالإمكان استيراد أو تصدير أي شيء من وإلى العراق بما في ذلك تصدير النفط واستيراد أي شيء من المواد العسكرية (والتي كان يعتمد عليها خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية) أو المواد الاقتصادية أو المعيشية، إذ كان العراق يستورد من المواد الغذائية قبل غزو الكويت بما يزيد على ملياري دولار سنوياً.

وفي فترة الغزو واحتلال الكويت قام صدام ليس بنهب البنوك وأرصدة الكويت المخزونة من الذهب فحسب وإنما أصدر توضيحاته إلى الوزراء بضرورة الذهاب إلى الكويت وأخذ ما يحتاجونه من أجهزة ومواد لوزاراتهم، أي أنه أمرهم بنهب الكويت، إضافة إلى السماح لأتباعه بنهب المخازن والبيوت الكويتية.

كل هذا يحدث وصدام يدعي أن الكويت هي المحافظة رقم ١٩ بعد أن قرر ضم الكويت إلى العراق. تساءل القارئ إذا كانت الكويت هي المحافظة رقم ١٩، فلماذا أصدر قراره بنهبها بهذا الشكل؟ إن التفسير المنطقي يقول إن صداما كان ينوي الانسحاب من الكويت. ولكنه لم ينسحب حتى بعد صدور قرار مجلس الأمن المرقم ٦٧٨ في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠ والذي منح العراق مدة شهر ونصف للانسحاب من الكويت تنتهي في ١٩٩٠/١/١٥. وفي حالة رفضه الانسحاب حاول مجلس الأمن استعمال القوة لإخراج العراق من الكويت.

ولكن صداما لم ينسحب خلال فترة الشهر والنصف بالرغم من النصائح التي قدمت له من الاتحاد السوفيتي وفرنسا والأمين العام للأمم المتحدة خافير ديكويليار بضرورة الانسحاب لتجنب العراق الكوارث المتوقعة.

ومن ناحيتي كسفير في واشنطن وما يفرضه عليّ واجبي وحرصي على تجنيب العراق أهوال الحرب كنت أبرق بضرورة الانسحاب، لأن العراق سيدمر إذا لم ينسحب قبل ١٥ يناير عام ١٩٩١ولكن صداما لم يكترث برأيي هذا.

وعندما سنحت لي الفرصة أثناء اجتماع السفراء العراقيين المعتمدين لدى دول مجلس الأمن مع صدام حسين وذلك في نهاية ديسمبر ١٩٩٠، عرضت رأيي بكل صراحة بالقول بأن المستهدف هو العراق أي أن العراق سيدمر إذا لم يتم الانسحاب قبل ١٥ يناير عام ١٩٩١.

واشتاط صدام غضباً عليّ وقال بالحرف الواحد «دكتور... إذا كان للأمريكان جرأة في ضرب العراق فهذا العراق أمامهم... إن أم المعارك ستدمر أمريكا ومعها ستتساقط الأنظمة العربية الموالية لأمريكا. إن النصر سيكون لأم المعارك وهذه ستكون بداية لنهضة العرب».

وظهر صدام كان مصراً على المضي في المعركة ويعلم علم اليقين بأن الخسارة ستكون حتمية وستكون النتيجة تدمير العراق وهذا هو ما حدث .

فقد قامت قوات التحالف بإيعاز من أمريكا و تحت قيادتها بتدمير كل شيء بالعراق، البنى الاقتصادية والعسكرية ووسائل الاتصالات والمواصلات ولم تسلم من القصف الشامل حتى منشآت تنقية المياه ومنشآت صرف المياه القذرة مما أدى إلى تسريب القاذورات إلى نهر دجلة. وعندما تم تدمير منشآت تنقية مياه الشرب، اضطر سكان العراق إلى شرب مياه دجلة بدون تصفية والمليئة بالقاذورات، الأمر الذي تسبب في انتشار الأمراض المعوية وغيرها.

لقد اعترف الأمريكان بأنهم أرجعوا العراق إلى القرون الوسطى بتدميرها جميع الصناعات والبنى التحتية، أي أن نتيجة رفض صدام الانسحاب، خلال الفترة التي حددها مجلس الأمن، من الكويت أدت إلى تدمير العراق من شماله إلى جنوبه ومن

ثم تعرض الشعب العراقي بعد توقف الحرب إلى حصار اقتصادي شديد وشامل أدى ليس فقط إلى إفقار الشعب العراقي وإنما إلى تدمير بنية المجتمع وقيمه. أما خارج العراق فقد عانى عشرات الألوف من الفلسطينيين في الدول العربية حيث تم إخراجهم من الكويت وبعض الدول العربية.

- أليس من المحزن حقاً أن تنطلي بعض قرارات صدام على بعض العرب وعلى الفلسطينيين بشكل خاص ومن ذلك عند قيام صدام بإرسال صواريخه لضرب إسرائيل والشيء الغريب لم يتبادر إلى ذهن هؤلاء أن هذه الصواريخ لم تحتو على أية متفجرات. وكانت النتيجة أن دفع العراق مئات الملايين من الدولارات إلى إسرائيل كتعويض عن هذا القصف الكاذب.

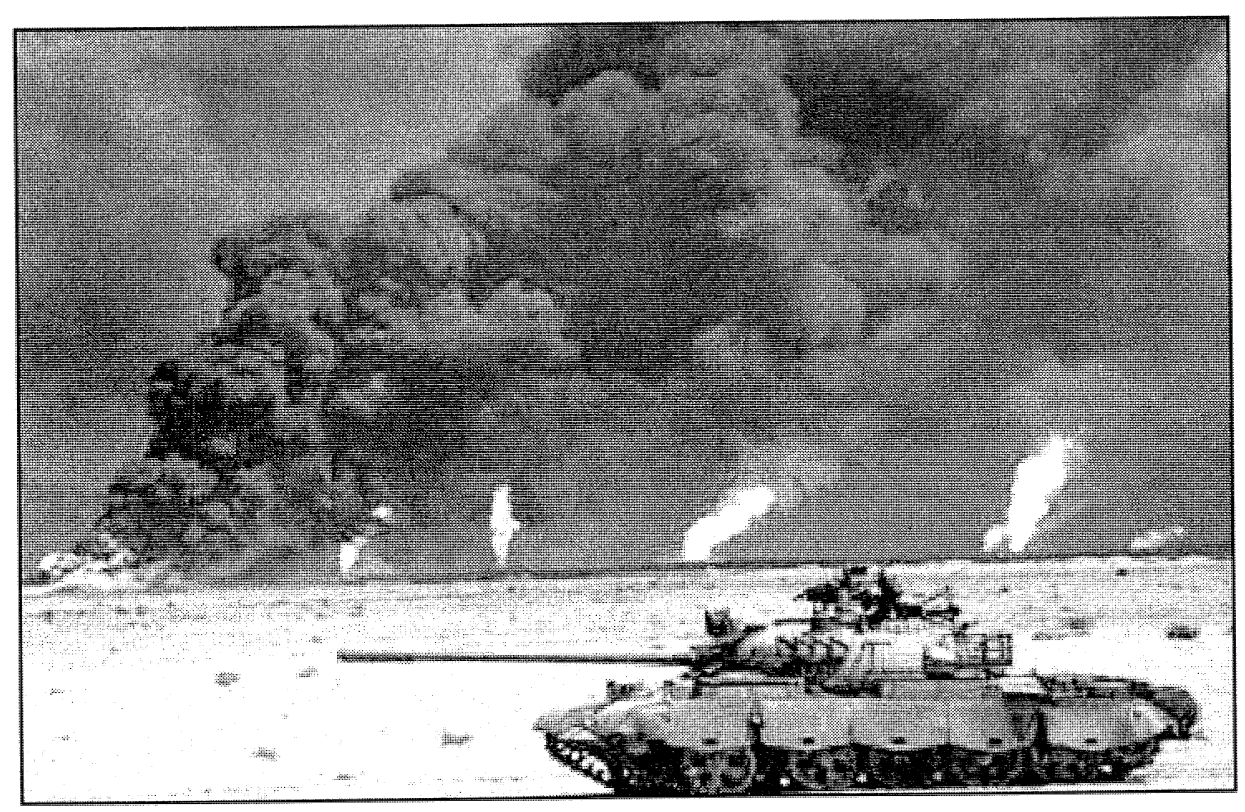
- إن زيف صدام في دفاعه عن القضية الفلسطينية قد أصبح مكشوفاً بعد تعييني سفيراً للعراق في واشنطن عام ١٩٨٩، إذ قبل مغادرتي إلى العاصمة الأمريكية استدعاني طارق عزيز وكان وقتها وزيراً للخارجية ليبلغني توجيهات صدام حسين وقال بالحرف الواحد «عليك أن لا تتطرق إلى مشكلة فلسطين وذلك بانتقاد إسرائيل» وقال أيضاً بما معناه عليك أن لا تتحرش بإسرائيل، والإشارة إلى الأعمال التي تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين. ثم أشار إلى أن توجيهات الرئيس صدام حسين تقضي بالتغاضي عن القضية الفلسطينية والامتناع عن انتقاد إسرائيل. هذا وإن السيد نزار حمدون الذي كان يشغل منصب وكيل الوزارة آنذاك، استدعاني وقدم لي قائمة بأسماء بعض أعضاء الكونغرس الأمريكي وطلب مني بضرورة الاهتمام بهم ولقائهم باستمرار وتمتين العلاقة بهم مع ضرورة عدم التطرق إلى موضوع إسرائيل خلال أحاديثي معهم. كما أكد عليّ بضرورة الامتناع كلية عن توجيه أي انتقاد لها، هذا وكانت الأسماء التي قدمها لي هم من الموالين جداً إلى إسرائيل كما اكتشفت ذلك بعد وصولي إلى واشنطن بأسابيع قليلة.

- لقد كان صدام وراء تأسيس منظمة فلسطينية جديدة أسماها جبهة التحرير العربية، إذ لو كان صدام مخلصاً للقضية الفلسطينية لعمل كل ما في وسعه

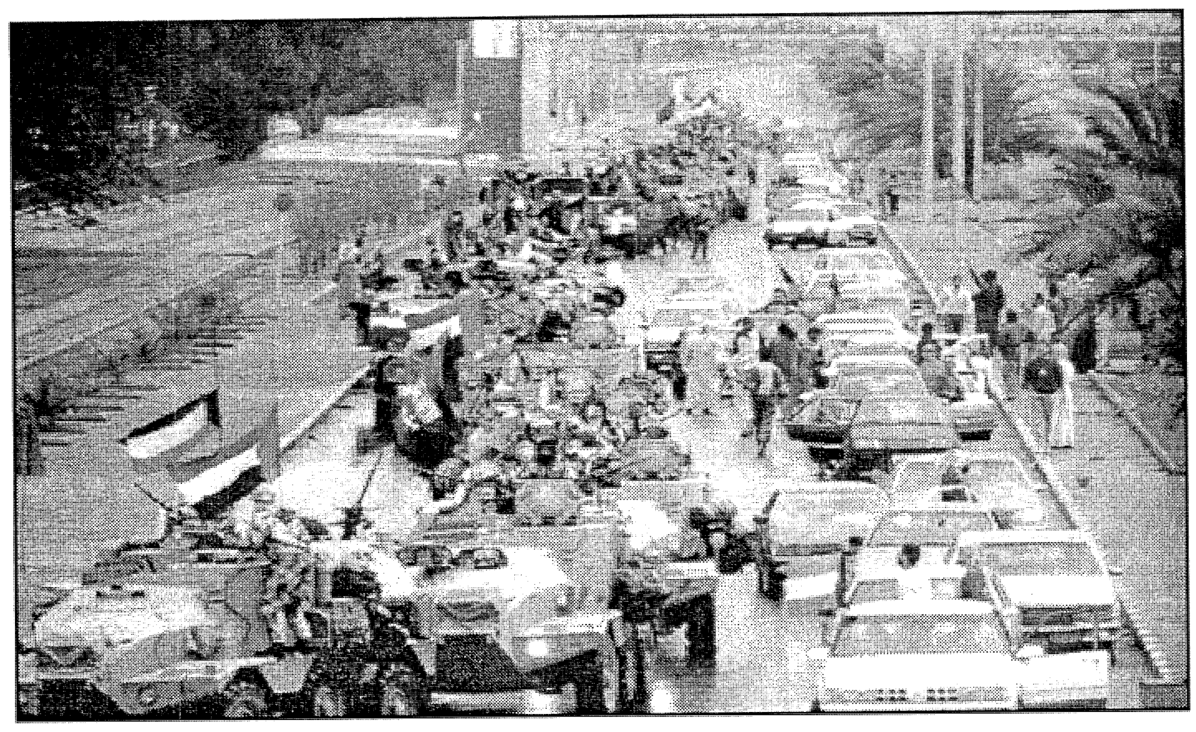
لتوحيد المنظمات الفلسطينية لا أن يقوم بتأسيس منظمة أخرى. لذا فإنني أعتقد جازماً بأن الهدف من خلق جبهة فلسطينية جديدة هو الإمعان في شرذمة النظام الفلسطيني وإضعاف دور منظمة فتح. إنني على يقين بأن صداما كان يستخدم القضية الفلسطينية لإشباع غروره الشخصي وتحقيق طموحاته القيادية الواهية. إن المساعدات المالية التي قدمها صدام لبعض الفلسطينيين كان الهدف منها بناء شعبية له في صفوف الفلسطينيين وفي صفوف بعض العرب. وفي نفس الوقت كان صدام يدمر نسيج المجتمع العراقي ويبدد ثروات العراق لإشباع نزواته الفردية في بناء القصور وفي شراء الضمائر والذمم لبعض العرب والأجانب لتلميع صورته في الخارج، سواء كان من رجال الإعلام أو السياسيين في الوقت الذي كان فيه الشعب العراقي يعاني من الجوع والمرض بسبب الحصار الاقتصادي الذي استعمله صدام لإحكام سيطرته على رقاب الشعب العراقي.

- أليس من الانحراف الكبير أن يقوم صدام وهو القيادي الأول في القيادة القطرية لحزب البعث وأحد أعضاء القيادة القومية بإصدار أوامره إلى السفارات العراقية بضرورة طرد كل المستخدمين من العرب والأجانب وإحلال العراقيين محلهم، وكانت الغالبية العظمى من المستخدمين العرب هم أعضاء في حزب البعث وقد تسبب هذا القرار الغريب الذي أدى إلى تعطيل أعمال السفارات بشكل كبير جداً علماً بأن دور العرب كان أساسياً إذ أنهم كانوا يضطلعون بالترجمة والطباعة والسكرتارية. لقد أحدث هذا القرار بلبلة كبيرة أدى إلى انحسار أعمال السفارة خاصة إذا علمنا أن هؤلاء العرب الأعضاء في الحزب كانوا يتقنون اللغات الأجنبية بسبب تحصيلهم العلمي في هذه البلدان. لقد أبلغت الخارجية العراقية جميع السفارات بأن قرار الرئيس صدام مبني على خطته في تعريق السفارات أي جعل جميع العاملين فيها وبضمنهم جميع القائمين على الخدمات المساعدة كقيادة سيارات السفارة وأعمال إدامة السفارة ومنشآتها بما في ذلك الأعمال الخدمية من العراقيين. إن تعريق السفارات أي جعلها عراقية صرفة بدون الاستعانة بغير

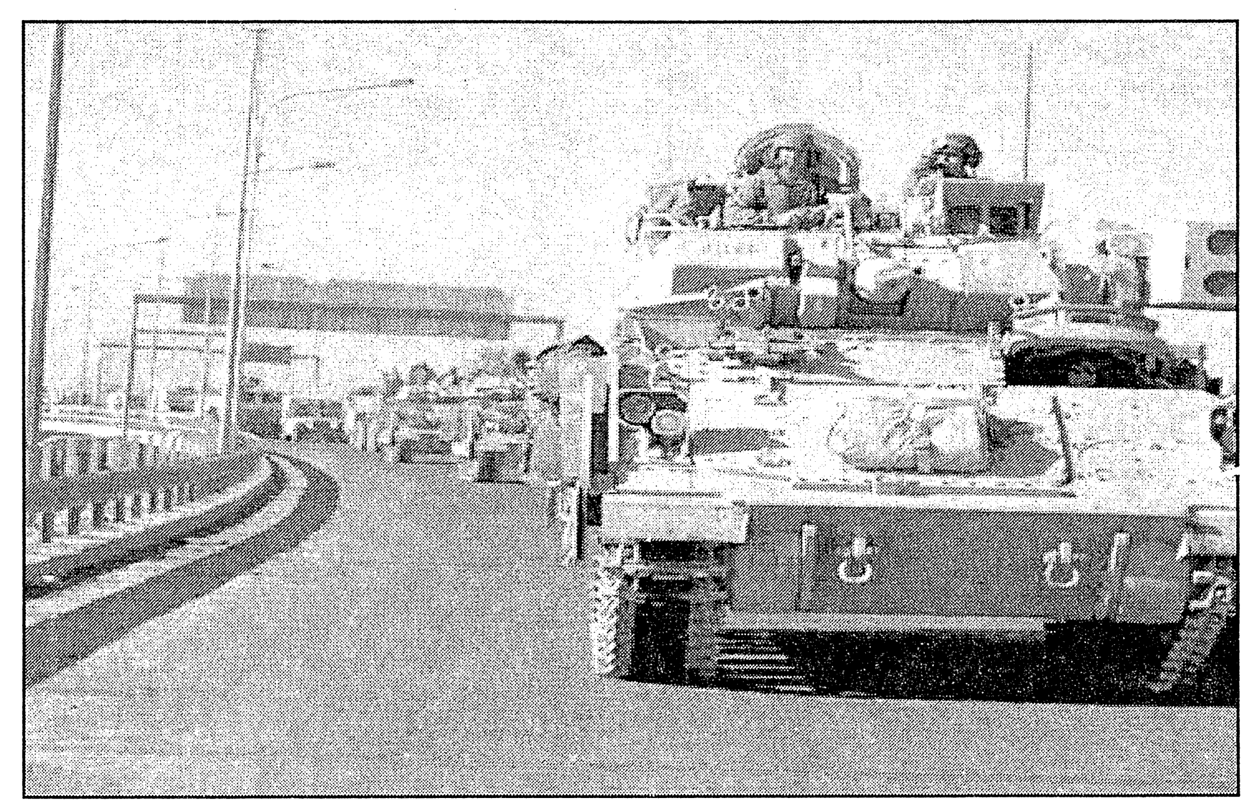
العراقيين وشمول ذلك العرب أعضاء حزب البعث فيه انحراف خطير عن المبادئ الأساسية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي جعل الوحدة العربية أول وأساس مبادئه. لقد أوردت الخارجية العراقية تفسيراً مكملاً لهذا الإجراء وذلك بالقول إن الناحية الأمنية كانت احد العوامل التي أنتجت قرار التعريق. ومعنى هذا أن الشك قد دب في أذهان الرئيس صدام وبطانته بأن استخدام العرب يكون خللاً أمنياً على أعمال السفارات. علماً بأن جميع السفارات التابعة للدول العربية وسفارات دول العالم أجمع تستعين بالمستخدمين المحليين عدا بعض الدول كالصين ".



حرق آبار البترول كان من أخطر جرائم صدام أثناء غزوه الإجرامي للكويت !!



قوات التحالف لدى دخولها الكويت بعد تحريرها .



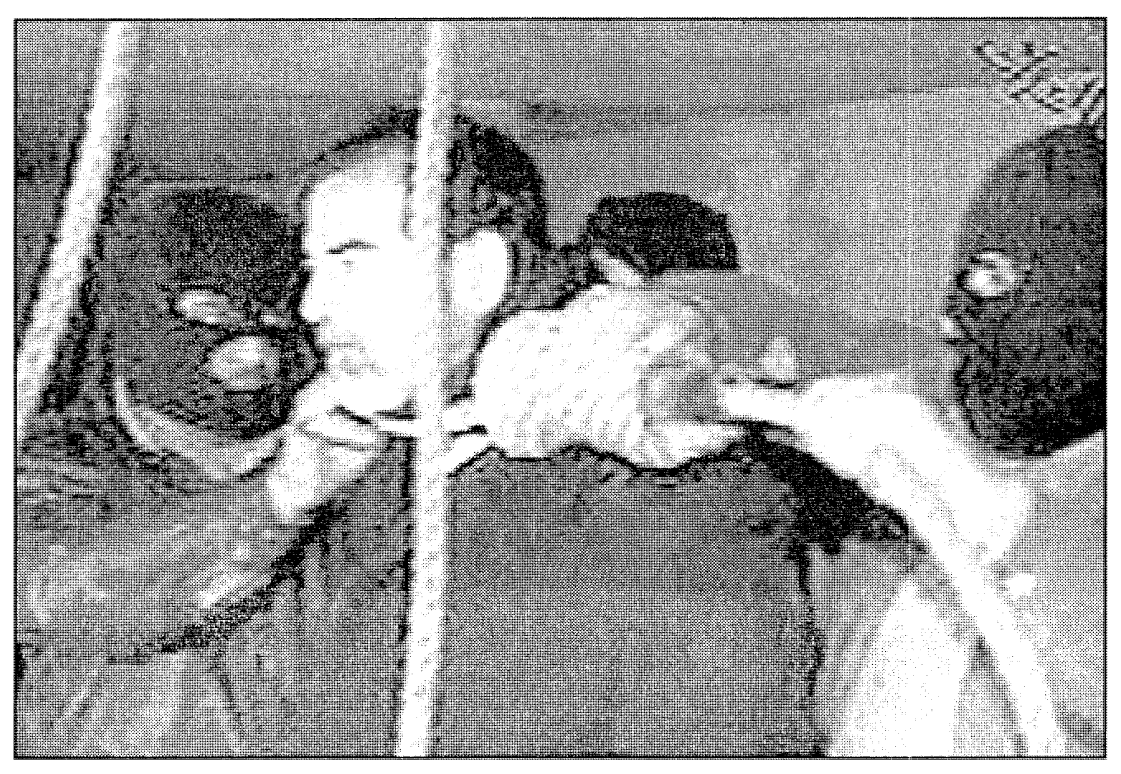
الغزو الأمريكي للعراق و بداية انهيار نظام صدام !!



صدام لحظة القبض عليه في مخبئه التي أطلق عليها اسم " حفرة العنكبوت"!



صدام في قفص الاتهام أثناء محاكمته التي انتهت بإعدامه !!



هكذا كانت النهاية التي كانت بدايتها قرار صدام الذي وصل مرتبة الخطيئة بغزوه الكويت الدولة المسلمة والعربية الشقيقة !!

١٣ - روبسبير.. لم يتعلم الدرس

غلطة قاتلة انتهت بإعدامه !!



اعتبروه في عصره عبقرية فذة .. زعيم ثورة من الطراز الأول .. وليست أية ثورة وإنما الثورة الفرنسية التي غيرت وجه فرنسا و أوربا و ربما العالم .. أجلسوه على كرسي الحكم .. احترموه .. أطاعوه .. وثقوا فيه .. تركوا له زمام أمرهم .. ولكنه تحول إلى طاغية دموي، ارتكب غلطة عمره، الغلطة التي أطاحت بطغاة كثيرين من قبله و من بعده .. أصابه وباء اسمه " جنون العظمة " الوباء القاتل الذي يدفع صاحبه إلى أن تأخذه العزة بالإثم فيتصرف و كأنه يملك البلاد و العباد، له وحده الحكم بمن يحيا منهم و من يموت، ينسي كل ما تعلمه من دروس التاريخ، و متى وثق بأنه امتلك كل شيء، فإذ به يكتشف فجأة أنه فقد كل شيء، حتى رقبته .

وهكذا كان زعيم الثورة الفرنسية روبسبير الذي طارت رقبته تحت نفس المقصلة التي أذهق بها أرواح الخصوم، و كان نفس الشعب الذي أحبه و رفعه على الأعناق هو نفسه الذي طالب برقبته، و جعلها تطير على رؤوس العباد و الأشهاد، وفي نفس الساحة التي شهدت وحشيته و دمويته، عندما انحرف بمسار الثورة !!

بعد أن استتب الأمر تحولت شخصيته إلى مزيج غريب من الريبة و الشك، والتسلط والعداء السافر لكل من يختلف معه، وكان دائمًا يردد أنه لم ولن يُخطئ إطلاقاً، ويرى نفسه كمصدر للقانون، حاله حال كل الطغاة في التاريخ القديم والحديث .

وأصبح روبسبير يردد مع الوقت مقولته القاتلة : " الحرب هي دائماً الرغبة الأولى لحكومة قوية تريد أن تصبح أقوى" . وبالطبع الحرب التي كان يقصدها هنا هى حرب الثورة الفرنسية ضد أعداء الثورة الفرنسية !!

ومع الوقت اكتشف الجميع من أبناء الشعب الفرنسي أن جميع الفرنسيين يمكن أن يحاكموا على يد روبسبير الذي وثقوا به، و في أي وقت باعتبار أي منهم عدوا للثورة، فالمقصلة لم تعد تفرق بين وطني و خائن، بين غني و فقير، و أصبحت الرقاب تحتها تطير متى حكم زعيم الثورة الذي انحرف بها بذلك !!

و يمكن القول إن روبسبير قد أصاب في عدة مواضيع واجهها في البداية، ولكنه أخطأ أخطاء جسيمة، حينما تسلم السلطة، وارتكب من كبائر الأمور ما يتعذر تبريرها أو الدفاع عنها.

لكن المؤلفة روث سكور في ببليوغرافيتها هذه "نقاء خالص: روبسبير والثورة الفرنسية" قبلت هذا التحدي وهذا الالتزام وقدمت ببليوغرافيتها، بشكل خاص، إلى كل أُولئك الذين يعنيهم موضوع إرهاب الدولة وكيف تطور ونما مما يبدو أصولاً مثالية.

ولد روبسبير عام ١٧٥٨ في آراس وترعرع فيها لأم ماتت وعمره ست سنوات وأب عاطل عن العمل ومبذر. و كان " رجلا لم يمر بمرحلة الشباب " كما كتبت شقيقته ذات مرة عنه. إلا إنه كان ذكياً، واختير من بين جميع نظرائه الطلبة ليلقي خطاب تتويج لويس السادس عشر عام ١٧٧٥. في عام ١٧٨٩ أصبح روبسبير محامياً، وممثلاً للطبقة الثالثة في قصر فرساي ووجهه الشاحب وعروقه ذات اللون الأخضر التي لم تترك انطباعاً حسناً لدى مضيّفته مدام دي ستو.

عند سقوط سجن الباستيل برر روبسبير الإعدامات التي جرت في أعقاب الثورة من دون محاكمات قانونية، وكمتطرّف وصفها "بالقضاء الشعبي" !!

كان روبسبير في البداية شخصية راديكالية، ثم تحول إلى قاتل بدم بارد، حيث تسبب في قتل أغلب رفاقه المقربين . روبسبير الذي كان في البداية يطالب بإلغاء عقوبة الإعدام، أصبح بعد امتلاكه زمام الأمور، شديد الحماس لصالح تنفيذ أحكام الإعدام مبررًا ذلك بجملته الشهيرة التي أُطلقها يوم إعدام الملك لويس السادس عشر: "يجب على لويس أن يموت، لأن الأمّة يجب أن تعيش".. تلك الجملة التي بدأت بالملك ثم أصبحت تطبق على كل من يخالف روبسبير من النبلاء إلى الفقراء !!

وفي السابع من سبتمبر ١٧٩٤ مثلا، صدر قانون "التشكيك" المرعب، فيما المقصلة آخذة بقطع رقاب الناس. كان هذا القانون ينص على أن الأشخاص يمكن أن يتعرضوا إلى الاعتقال والمعاقبة بالموت بسبب إما "تصرفاتهم، علاقاتهم، كلماتهم، كتاباتهم".

وكان هذا القانون بمثابة السيف على رقاب أعضاء المؤتمر الوطني الفرنسي.. بمقتضى هذا القانون حرم أعضاء المؤتمر من حصانتهم البرلمانية، وكان يهدف من وراء هذا القانون الإطاحة بكل من يرفع رأسه معارضا إياه، أو مخالفا أفكاره !

وخلال تسعة أشهر من صدور هذا القانون الإرهابي حُكم رسمياً على ١٦ ألف شخص بالموت، من ضمنهم الجيروندیون (وهم المنتمون إلى الحزب الجمهوري المعتدل، أحد أكبر الأحزاب السياسية خلال الثورة الفرنسية)، وكذلك جاك بريسو، عدو روبسبير اللدود، الذي اتهم عام ١٧٩١ روبسبير بإثارة الحروب.

ورغم أنه تولى السلطة ثلاث سنوات، ثم انفرد بحكم فرنسا كحاكم مطلق لمدة عام واحد، إلا أن فرنسا عاشت في ظل حكمه أسوأ عصور الإرهاب والطغيان، وأصبح الإعدام يوميا بالمقصلة من المشاهد المألوفة في باريس، دون أن يهتز لروبسبير ضمير!

ويقول عنه المؤرخ هـ.ج.ويلز: " أصبحت الثورة تحت سلطان زعيم متسلط شديد التعصب هو روبسبير. ومن العسير علينا أن نفضي في هذا الرجل برأي، فإنه كان ضعيف البنية جبانا بفطرته، فقيرا مزهوا بنفسه، ولكنه أوتي ألزم الصفات لبلوغ القوة وهي الإيمان، فراح يعمل على إنقاذ الجمهورية على الصورة التي خيلها إليه تصوره، كما كان يتوهم أنه لا منقذ لها إلا شخصه هو، ومن ثم أصبحت عقيدته الراسخة أن بقاءه في الحكم هو السبيل لإنقاذ الجمهورية !!

ويقول المؤرخ الكبير: وانقضت الأيام يوما بعد يوم، وأسبوعا بعد أسبوع، وهذه الآلة الجهنمية تحز الرؤوس بعد الرؤوس ولسان حال روبسبير يقول هل من مزيد !

ويؤكد المؤرخون أن مصطلح " الإرهاب " لم يكن شائعاً قبل ظهور روبسبير، وأن كلمة "إرهاب "تم استعمالها بقوة وكمصطلح في الثورة الفرنسية، وفي عهد الحكومة التي سُميت بحكومة الإرهاب حيث " روبسبير " ورفاقه كانوا يرون الإرهاب عنواناً للفضيلة إذ قال روبسبير أمام لجنة الصحة العامة التابعة لـ " محكمة الرهبة": " يجب أن يكون الهدف الأول لسياساتنا هو إرشاد الشعب بالمنطق وأعداء الشعب بالإرهاب، والإرهاب ليس أكثر من العدالة الفورية والشديدة وغير المرنة، لذلك فإن عنوان الفضيلة هو تحطيم أعداء الحرية بالإرهاب، وسوف يقدركم المؤسسون للجمهورية " !!

وقد اخترع روبسبير مجموعة فريدة من التهم يعاقب مقترفها بالإعدام:

- التعرض للوطنية بالسب أو القذف.
- بث روح اليأس لدى المواطنين.
- ترويج أخبار كاذبة.
- انتهاك الأخلاقيات.
- إفساد الضمير العام.
- تعكير البراءة والطهارة الثورية، وتعويق طاقة الحكومة.

ومن أجل الإسراع بالإجراءات القانونية صدرت قوانين بمنع محاميي الدفاع أو استدعاء أي شهود. أما المحلفون فكانوا مجموعة من المواطنين الشرفاء الذين كان بوسعهم الوصول إلى حكم عادل دون الاستماع إلى مرافعات الدفاع أو إفادات الشهود.

وكان الحكم دائماً واحداً من اثنين، البراءة أو الموت. وإذا وضعنا في الحسبان مقولة روبسبيير بأن الرأفة مرادفة لقتل الأمهات أو الآباء لعرفنا أن المحاكمة كانت تعني دائماً الموت وارتفع معدل تنفيذ الأحكام إلى ثلاثين حكماً يومياً مع بداية نوفمبر ١٧٩٣.

من ناحية أخرى كان الجيش الفرنسي قد نجح مؤقتاً في حماية الحدود وحقق بعض النجاح في ردع الخطر، وبدأ بعض الجمهوريين يعربون عن عدم جدوى هذا الكم من القوانين والإجراءات والمحاكمات القمعية، وهنا ظهر روبسبيير ليقول (إن أي فرد يعارض هذه الإجراءات لابد أنه عدو للثورة ويخفي في صدره هذا العداء) .

ولذلك بدأ حملة تحقيق واعتقالات جديدة للتعرف على ما في صدور الناس، ولم يدرك وهو يمارس مزيداً من الاضطهاد والقمع أن الجميع يتندرون على "الكائن الأعظم" الذي اخترعه، وصاروا يسخرون منه من وراء ظهره.

وفي السادس والعشرين من يوليو عام ١٧٩٤م، ألقى روبسبيير خطبة عصماء نادى فيها بضرورة السير على درب الفضيلة وأهمية الالتزام بمكارم الأخلاق، وبينما كان يلقي كلمته كانوا يهتفون بحماس بالغ: "إلى الجيلوتين (المقصلة) يا أعداء الثورة".

وفي اليوم التالي، بدأ نقاد روبسبيير وخصومه يتحدثون عن تجاوز روبسبيير لأصول البروتوكول، فلم يعد يتحدث باسم القيادة الجماعية، وإنما أصبح يتكلم باسمه فقط، مما يعني أنه قلبها دكتاتورية خالصة، وكان الكثيرون قد ساورهم

الخوف من أن تبعيتهم لروبسبيير أو انضواءهم تحت قيادته لن يحميهم من تقلبات مزاجه، لذلك ما إن تفوه أحد الحاضرين بالاتهام حتى سارع العشرات إلى تأييده، ومن حسن حظهم أن بلاغة روبسبيير قد خانته، ولم يجد الكلمات التي يمكنه بها أن يرد الاتهام، وتلعثم الطاغية وتردد وشعر بالخوف لأول مرة. هنا صاح أحد الحاضرين:

"انظروا: إن دماء دانتون تخنق عبراته وتمنع كلماته !".

وسرعان ما تحرك خصومه ضده، وأدركوا بغريزة الحياة أنهم إن لم يلتفّوا ويجتمعوا ويتحالفوا ويتحركوا بسرعة، فإنهم موتى لا محالة .

فقد كان إصرار حكام عهد الإرهاب تحت زعامة روبسبير في فرنسا غريباً يتفق مع مزاجهم السوداوي، حيث أن أحد المحكوم عليهم بالإعدام نجح في طعن نفسه بخنجر فمات، ولكن قادة المذابح أعلنوا أنهم يرفضون خداع العدالة، فحملوا جثة الرجل ونفذوا فيها الإعدام على المقصلة بفصل رأسه عن جسده.

وبدأت الثورة تأكل نفسها، فبعد اختفاء الخصوم إما على المقصلة، أو في غياهب الوديان وثنايا الجبال، لم يعد أمام المزاج الدموي إلا تصفية الأصدقاء والحلفاء، فكان إذا أبدى أحد أدنى معارضة لروبسبيير حكم عليه بأن (يطل من النافذة الجمهورية) وهي المقصلة أي أنه سيضع رأسه بين إطارات (الجيلوتين)، وعندما حاول أعظم أبطال الثورة الفرنسية جورج دانتون المحامي المفوه أن يوقف العنف ويتصدى لشلال الإعدام، تم القبض عليه، وأرسل ليحلق له على الموسى الوطني (أحد أسماء المقصلة)، وأعدمت عائلات بأسرها بمن فيها الأطفال الرضع، خشية من ثأرهم إذا ما كبروا، وكان يطلب إلى الأكبر سناً أن يشاهد ويتفرج على الأصغر سناً وهم يعدمون أولاً، ثم يدركونهم في موكب الموت الهمجي الذي أبدع فيه سفاحو فرنسا.

لقد كان السفاح الأعظم روبسبيير متزمتاً دَعِيّاً، متمسكاً حتى الإزعاج بما ظنه مبدأ لايمكن التنازل عنه، وكان يحتقر الآخرين ويعتقد أنه مبعوث العناية الإلهية لإصلاح فرنسا، وكان يؤمن بأن المقصلة هي وسيلته الرئيسية لتنفيذ هذا الإصلاح، وتفاقم شعوره بأنه يمثل الفضيلة القصوى، وبدأ بالانقضاض على مجموعة مروجي الأفكار المخالفة له، وأرسلهم إلى المقصلة.

ومن هنا – و كما يقال- على الباغي تدور الدوائر - وها هو روبسبير يُحكَمُ عليه بالإعدام من خلال إدانة لجنة المحلفين له، وليس من خلال الأدلة. غير أن المفارقة النادرة هي أن نفس هيئة المحلفين هذه قد حكمت في الأخير على روبسبير بالموت.

وقد بدأ سقوط روبسبير منذ اللحظة التي خشي فيها رفاقه في الثورة الذين وعوا دروس المقصلة جيدا.. خشوا على أنفسهم منه بعد أن توحش .

ولذا دبروا مؤامرة ضد روبسبير وأعوانه وعلى طريقته هو، وتزعم كل من "باراس" و " دتاليان " المؤامرة - وهما من رجال الثورة اللذين كانا خائفين على ما يفعله روبسبير – وعقدا العزم على التخلص من هذا الطاغية .. وبدلا من استخدام الخطب والكلمات لإسقاطه استخدما نفس أسلحته !

وأُلقي القبض على روبسبيير ورفاقه وأبرزهم كيتون وسان جوست وهما من عتاة السفاحين الذين عاثوا في الأرض فساداً، إلى جانب خمسة عشر سفاحاً من خيرة مساعديه تم اقتيادهم مقيدين إلى غرفة مجاورة، ولم يستطع أن يطالب بالرحمة أو الرأفة التي حرم الآلاف منها، فأقدم على الانتحار، ولكن محاولته فشلت عندما انقض أحد الحراس عليه وخطف السلاح الناري الذي كان روبسبيير يحمله وأقدم به على محاولة الانتحار التي تركته يتخبط في دمائه حيث أصابه العيار الناري في فكه، وانهمرت دماء غزيرة من الجرح غطت وجهه وثيابه فضلاً عن تهتك فكه.

وصعد روبسبيير مع سبعة عشر من أقرب معاونيه إلى المقصلة وواجه نصل الآلة التي أزهقت أرواح الآلاف بأوامره وتآمره . وكان منظر إعدامه مثيراً، حيث صعد الدرج الخاص بالمقصلة وهو غارق في دمائه، وكان قد وضع ضمادة من القماش على فكه، ورأى الجلاد أن ترك هذه الضمادة قد يعوق عمله، فنزع القماش بقوة صرخ معها روبسبيير صرخة مدوية، ولم يسكت إلا عندما هوى حد المقصلة على رقبته لينهي حياة تمنى الملايين أن تنتهي قبل ذاك الموعد بسنين.

وتنفس الجميع الصعداء لموت روبسبيير وسفاحيه السبعة عشر، وقد راهن الكثيرون على أن موت روبسبيير سيوقف حمامات الدم إلى الأبد، ويعيد لفرنسا بعض السكينة لبناء ما انهار ولترميم الدمار الذي عم البلاد في كافة المجالات، وقد صدق رهانهم، لأن موت مارا وهيبير ودانتون قبل روبسبيير لم يوقف مسيرة القتل، وقد توقف النزف فعلاً بعد موت السفاح الضئيل الجسم الممتلئ ضغينة ضد الحياة نفسها.

وتتفاوت الإحصائيات حول الأعداد الحقيقية لضحايا الثورة الفرنسية عامة، وحكم الإرهاب (حكم روبسبيير ورفاقه) بصفة خاصة، ولكن أقرب التقديرات تشير إلى أن ما يقرب من نصف مليون قد ماتوا، لتغسل دماؤهم تراب بلادهم، ولتبقى إنذاراً في هذا البلد ضد أي تسلط محتمل، حتى إن الفرنسيين أصبحوا أكثر شعوب العالم خوفاً من الدكتاتورية وأحرص الناس على منح شعبهم حقوقه، في الحرية والتعبير وطول إجراءات القضاء.

وبعد كابوس حكم الإرهاب كان التعليق على مصرع القيادات الثورية واحداً بعد واحد هو المقولة الشهيره: إن الثورة دائماً تأكل أبناءها !!

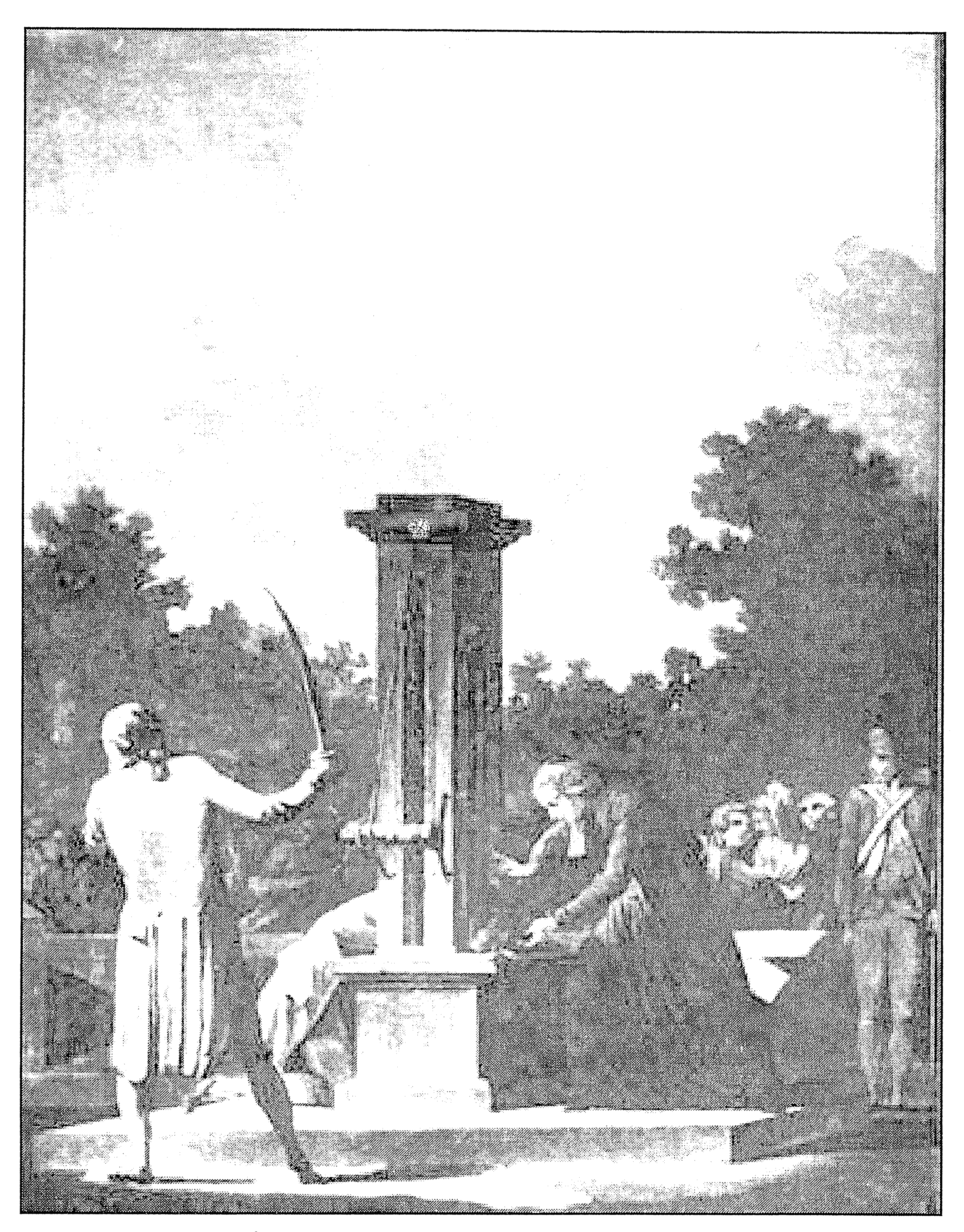
وكمن يذوق من نفس الكأس التي أذاقها الكثير من معارضيه، فقد وجهوا له تهمة الخيانة العظمي، فانفض من حوله أنصاره، وتركوه لمصيره المحتوم، وانتهى

هوان الشعب الفرنسي بتخلصه من حكمه الدموي، وبدت روح الأمل تدب من جديد لإقامة مجتمع الحرية والإخاء والمساواة بعد ظلام ليل طويل !

الغريب، أن روبسبير ظل يردد حتى النهاية أنه : "ما من بريء واحد" مات خلال فترة الإرهاب. وحينما هوت سكين المقصلة على رقبته، غادرته أخيراً نظرة الرياء التي كانت تعلو وجهه عن جمهوريته التي كان يزعم أنه أسسها على " النقاء" و"الفضيلة" .

كل تلك الدماء التي تسبَّب في سفكها هذا الرجل، فكانت معها نهايته، هي بالتأكيد جرس إنذار لكل أُولئك الذين تأخذهم العزة بالإثم، و يرتكبون خطيئة كبرى إذ يعتقدون في نفس الوقت بأنهم "دائماً على حق"!!

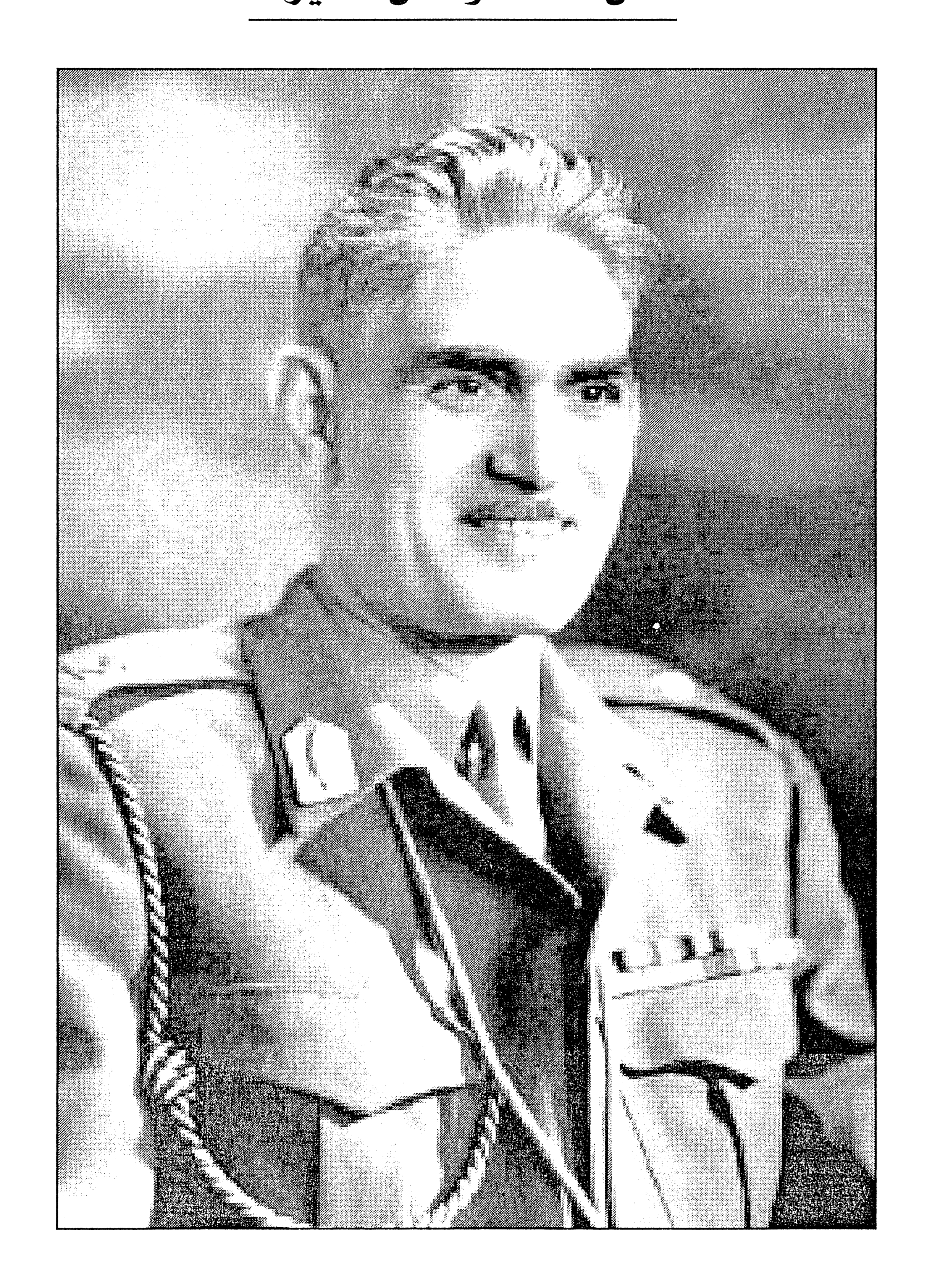
لقد كان روبسبير محاميا، واستطاع أن يبسط نفوذه، وكان متحمسا مثل بقية الثوار لآراء الفلاسفة الذين كانوا سببا في قيام الثورة الفرنسية، ومهدوا للقيام بها بأفكارهم : جاك جاك روسو، فولتير، ديدرو، ومونتسكيو، إلا أنه تنكر لهذه المبادئ، عندما قامت الثورة الفرنسية، و تحول إلى ديكتاتور، فكان الثمن سقوطه، و معه رأسه !!



هكذا كان مصير عشرات الألاف من ضحايا روبيسبير الذين أرسلهم للمقصلة قبل أن يلقى نفس المصير !!

١٤- قاسم والبكر والليندي ..

نفس الغلطة و نفس المصير!!



من أكثر الأخطاء القاتلة التي شهدها تاريخ الانقلابات العسكرية فى العالم هو استعانة زعيم الانقلابيين، عند وصوله السلطة بنفس شركائه في الانقلاب، وتعيينهم في مناصب هامة و حساسة، و منحهم صلاحيات تغريهم مع الوقت بالإطاحة به، و هذا ما حدث مع كثيريين في أنحاء شتى من العالم، ومنهم العراقيون عبد الكريم قاسم و أحمد حسن البكر والشيلى سلفادور الليندي !

وبالنسبة لعبد الكريم قاسم، فقد تداخلت مجموعة من العوامل الداخلية والإقليمية وهيأت الظروف المناسبة للإطاحة بعبدالكريم قاسم فيرى المؤرخون إن ما اعتبره البعض تخبط وفردية قاسم والأخطاء التي ارتكبها بإعدام القادة والوطنيين وأعمال العنف التي قامت بها المليشيات الشيوعية المتحالفة مع قاسم والخلاف مع عبد السلام عارف الذي كان قيد الإقامة الجبرية" عوامل داخلية هامة بينما يرى محللون دورا للإمبريالية العالمية بسبب إصدار قاسم قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي لم يكن في مصلحة الشركات المحتكرة لنفط العراق.

غادر عبدالكريم قاسم مبنى الوزارة إلى قاعة الشعب القريبة من مبنى الوزارة، تحت جنح الظلام، وكان بصحبته كل من فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة، والعميد الركن طه الشيخ أحمد مدير الحركات العسكرية، وقاسم الجنابي السكرتير الصحفي لعبدالكريم قاسم، والملازم كنعان حداد مرافق قاسم.

ومن هناك قام عبدالكريم قاسم بالاتصال هاتفياً بدار الإذاعة، وتحدث مع عبد السلام عارف طالباً منه السماح له بمغادرة العراق، أو إجراء محاكمة عادلة له، لكن عبدالسلام عارف طلب منه الاستسلام وأنه لاعلاقة له مباشرة بالحركة وأنه سيكلم قادتها بمطالبه. عند الساعة الواحدة والنصف من ظهر ٩ شباط ١٩٦٣، اقتيد عبدالكريم قاسم ورفاقه إلى ستديو التلفزيون ووجه كل من عبدالغني الراوي، منعم حميد، وعبدالحق نيران أسلحتهم إلى صدورهم فماتوا لساعتهم، رافضين وضع عصابة على أعينهم، وسارع قادة الحركة إلى عرض جثته على شاشة التلفزيون.

وتشير جميع الوثائق من محاضر جلسات ولقاءات صحفية ومقابلات مسؤولين محايدين بأن حادث إعدام رئيس الوزراء الأسبق عبدالكريم قاسم إبان حركة ٨ فبراير ١٩٦٣ كانت بقرار من قيادة التيار المتشدد داخل حزب البعث الذي تزعمه على صالح السعدي الذي كان له الدور الفاعل في تغيير نظام الحكم وذلك من خلال المحكمة العاجلة التي تشكلت بعد يوم من الحركة في قاعة الشعب المجاورة لوزارة الدفاع حيث مقر عمل قاسم وبعد إتمام المحاكمة التي لم يعلم بتشكيلها عبد السلام عارف إلا بعد انعقادها حيث تم نقل قاسم إلى مقر الإذاعة والتلفزيون فالتحق عارف بقيادة البعث هناك محاولا التوسط لعدم إعدام قاسم.

كما تشير الوثائق المحايدة بأن عارف طلب من قيادة البعث مقابلة قاسم وتم له ذلك حيث دخل عارف في نقاش وعتب مع قاسم حول تفرده بالسلطة وخروجه عن إجماع تنظيم الضباط الوطنيين "أو الأحرار" وعن تلفيق تهمة محاولة الإنقلاب لعارف التي أدت إلى محاكمته ثم سجنه وتشير الوثائق أيضا بأن عارفا بعد هذا النقاش طلب من قيادة البعث عدم إعدام قاسم والاكتفاء بسجنه إلا أن طلبه قد رفض وكان لرفض طلبه الأثر بزرع أولى لبنات الخلاف بين عارف وقيادة البعث التي تفاقمت بعد أحداث الحرس القومي التي قادها على صالح السعدي والتي كانت السبب في قيام عارف بحركته التي سماها التصحيحية في ١٨ نوفمبر عام ١٩٦٣.

وقد أعجبني التشبيه الذي استخدمه الأستاذ الكاتب الكبير مصطفى القرة داغي في مقال له على موقع " الحوار المتمدن " بعنوان " انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ واغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم .. جريمة تلد أخرى " ..حيث كتب يقول : "غلطة الزعيم الراحل التي كانت قاتلة له وللعراق هي في وثوقه بهذه المجموعة المشبوهة وقيامه معها بذلك الانقلاب المشؤوم في ١٤ تموز ١٩٥٨ فهو بعمله هذا أشبه بمن يثق برجل دفعته نزوته إلى خيانة زوجته الأولى التي وقفت معه في الحلوة والمرّة وتطليقها والتضحية بها للزواج من امرأة أخرى أكثر منها جمالاً ودلالاً أو كمن يثق بالرجل الذي يخون ولي نعمته ويضحي به من أجل حفنة من المال.. فمثل هذا الإنسان لن يتورع في المستقبل عن خيانة زوجته الثانية والتضحية بها من أجل أمرأة ثالثة أكثر جمالاً ودلالاً من الثانية دفعته إليها نزوة جديدة كما أن من خان ولي نعمته من أجل حفنة من المال لن يتورع عن خيانة ولي نعمته الجديد واستبداله بآخر من أجل حفنة من المال أكثر بقليل من الأولى ورفاق الزعيم الراحل للأسف هم من هذه العينة من البشر.. فأغلب الضباط الكبار الذين اشتركوا مع الزعيم في تنفيذ انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ بل وحتى الزعيم نفسه كانوا محسوبين على رجالات النظام الملكي الكبار فعبد السلام عارف على سبيل المثال كان محسوباً على رئيس أركان الجيش رفيق عارف أما ناجي طالب فقد كان مرافق الملك فيصل الثاني سابقاً ومن المقربين للقصر في حين كان رفعت الحاج سري من المقربين للأمير عبد الإله إضافة إلى أن اثنين أو ثلاثة من الضباط الكبار الذين شاركوا في هذا الانقلاب الأسود ووقفوا ظهيرة ١٤ تموز ١٩٥٨ يتفرجون على جثة الأمير الشهيد عبد الإله وهي تسحل في شوارع بغداد دون حراك ودون أن يرف لهم جفن كانوا يعتبرون من الأصدقاء الخُلّص بالنسبة للأمير الراحل بل إن أحدهم كان يقضي معه أمسيتين أو ثلاثا كل أسبوع.

لذا لم يكن غريباً ذلك العمل الوحشي الذي قامت به هذه المجموعة في ٨فبراير ١٩٦٣ بحق الزعيم الراحل لأنها سبق وأن قامَت بعمل أشد منه فظاعة

ودموية ووحشية صبيحة ١٤ يوليو ١٩٥٨ بحق العائلة المالكة وهي قد استغلّت طيبة الزعيم وحسه الوطني الطاغي وتمكنت من استدراجه وأقنعته بالانضمام لحركتها المسماة (حركة الضباط الأحرار) التي تشير كل المعطيات التأريخية على أن الزعيم الراحل لم يكن قيادياً ولاعضواً أساسياً فيها " .

وعبد الكريم قاسم و إن كان رجل حَرب درس العسكرية ومارسها في جبهات القتال في حرب فلسطين وغيرها إلا أنه لم يكن رجلا سياسيا محنكا من الدرجة الأولى ومن يقول ذلك فإنما يجافي الحقيقة مبالغة في غير محلها، و غالبًا ما يردد ذلك من لم تفارقهم بعد عقلية عبادة الفرد وهم في الغالب ممن عاصروا الزعيم وكانوا من أتباع الأحزاب الشمولية التي شاركت في صنع مأساة الشعب العراقي قبل نصف قرن من الزمان.

خلاصة القول وبعيداً عن بعض الكتّاب المؤدلجين الذين يريدون فصل الأحداث عن سياقها التأريخي فإن جريمة ٨ فبراير ١٩٦٣ هي تحصيل حاصل ونتيجة طبيعية وسياق تاريخي للجريمة التي حدثت في ١٤ يوليو ١٩٥٨.. فمشكلة المجرم هي في كيفية تنفيذه لجريمته الأولى بسبب وجود حاجز نفسي فطري يمنع الإنسان عن ارتكاب أي عمل سيء لأول مرة ولكن ما أن يقوم بتنفيذها ويسقط الحاجز النفسي الذي كان يقف أمامه حتى تصبح مسألة تنفيذ جريمة أخرى وأخرى بالنسبة له كمسألة شرب الماء وتناول الطعام إن لم تكن أسهل وهذا ماحصل بالضبط مع رفاق الزعيم فمن يقوم بقتل عائلة بريئة بأكملها كالعائلة المالكة جُلّها من الأطفال والنساء بالطريقة الوحشية التي حصلت في ١٤ تموز ١٩٥٨ لن يتوانى عن قتل شخص واحد بالطريقة الوحشية التي حصلت للزعيم عصر ٨ شباط ١٩٦٣ فالمجرمون هم نفس المجرمين والدوافع هي نفسها فما الغرابة في ذلك !!

ولكن مهما يكن وبعيداً عن اختلافنا مع الزعيم الراحل فقد سقط بعد أن قاوم الانقلابيين الذين كان هدفهم الوصول إلى السلطة بأي شكل من الأشكال حتى ولو كان ذلك على حساب مئات الأرواح العراقية التي سقطت في ذلك اليوم وما تلاه

من الأيام في معارك دموية قَتَل فيها الرجل جارَه وأخاه وابن عمه لخلاف بينهم في الأفكار بدلاً من الجلوس إلى طاولة الحوار والاحتكام إلى لغة العقل والمنطق التي تَمَيّزَ بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية .

وينقسم العراقيون بوصفهم لرئيس الوزراء العميد "الزعيم" عبدالكريم قاسم فمنهم من يعتبره بأنه الأكثر عدالة ونزاهة وصدقا من بين حكام العراق الحديث والمخلص وأبو الضعفاء والقائد الفعلي للثورة، ويرى آخرون أنه قد أبرز نفسه على أنه القائد والأب الروحي للثورة والمخطط لها العوامل التي دعته نحو الفردية والديكتاتورية فنادى نفسه بالزعيم الأوحد وجمع السلطات بيده وعطل صلاحيات مجلس السيادة وعلق انتخاب منصب رئيس الجمهورية وألغى تشكيل المجلس الوطني لقيادة الثورة، كما سبق وأن حل مجلسي النواب والأعيان للحكم الملكي ولم يفسح المجال لانتخابات برلمان جديد وألغى جميع الأحزاب وعطل الصحافة واستبدلها بعدد محدود من صحافة الدولة.

ثم بدأت هواجسه بالحذر من منافسيه حتى رفاقه في السلاح وأعضاء تنظيم الضباط الوطنيين الذين لم يسلموا من الاعتقال والتحقيق والإهانة وتلفيق التهم. كما يتهمه خصومه أيضًا بأنه كان يميل لجهة أو حزب على حساب الآخر رغم أنه لم يكن عضوا في أي تنظيم أو حزب بعينه ويستشهدون بإيعازه أو فسح المجال لميليشيات الحزب الشيوعي العراقي التي شاركت الحكم معه منذ عام ١٩٥٩ بارتكاب أعمال العنف في الموصل وكركوك على أعقاب حركة العصيان العسكري المسلح التي قادها العقيد عبد الوهاب الشواف والتي أحيل على إثرها الكثير من المشتبه فيهم من الأبرياء والوطنيين بضمنهم الشخصية الوطنية قائد ثورة مارس ١٩٤١ رئيس الوزراء الأسبق رشيد عالي الكيلاني باشا والعميد "الزعيم" ناظم الطبقجلي وزجهم مع المتهمين في محكمة الثورة التي سميت لاحقا بمحكمة المهداوي. حيث أعلن الكثير من المتهمين أمام المحكمة التي نقلت مباشرة عبر التلفزيون بأنهم قد أهينوا أو عذبوا أو اغتصبوا.

أما على صعيد المحسوبية فقد اتهمه خصومه بأنه آمن بالسلوك الستاليني في الحكم حيث يجب على الحاكم ألا يملك شيئا إلا أنه جزءٌ من الدولة يصرف على نفسه وعائلته دون التملك الشخصي فقد سمح استغلال أخيه المعدم حامد قاسم والذي كان ذا صلاحيات ونفوذ واسعين والذي لقب بالبرنس حامد حيث كان في السابق يعمل كاسباً بسيطا عند التجار من "الخضيري" تمكن بجمع ثروة قدرت بالملايين من إشرافه على توزيع أراضي الإصلاح الزراعي على الفلاحين مع محامي التسجيل عبدالكريم الحاج ثم استغلت تحت مسميات تجارية في بيروت وبعد اعتقاله أحيل إلى محكمة بداءة الرصافة التي أدانته وحكمت عليه بالسجن عامين، خرج بعدها وتوارى عن الأنظار حيث ظهر فجأةً بعد سنتين كواحد من كبار التجار وأصحاب الملايين وقد رشح نفسه عام ١٩٦٩ لمنصب نائب رئيس غرفة تجارة بغداد.

كما وزع قاسم لأفراد عائلته إخوته وأخواته الدور السكنية المجانية في الحي الراقي زيونة مع القادة العسكريين والذين لازالوا يسكنون هذا الحي حتى يومنا هذا. ووزع لأقاربه المناصب مثل ابن خالته المقدم فاضل عباس المهداوي الذي منحه رتبة عميد وعينه رئيسا لمحكمة الثورة.

كذلك يتهمه خصومه بتغيير البنية الديمغرافية لبغداد بتطويقها بأحياء سكنية من الشروقيين على حساب السكان الأصليين لبغداد من الرصافة: حي الأمين والفضيلية والعبيدي والشماعية ثم والثورة والحسينية ومن الكرخ: أبو دشير والدباش والشعلة والحرية والإسكان ودور السود وغيرها وكان أغلبية سكان هذه المناطق من المهاجرين من أرياف الجنوب لأسباب شتى إما هربا من ظلم الإقطاع أو مقتا للحياة الزراعية أو هربا من الثأر القبلي أو هربا من العدالة، حيث كانوا قد استوطنوا مايعرف بمنطقة خلف السدة وهي سد ترابي بارتفاع ١٠ - ١٢ مترا بناها والي بغداد ناظم باشا مطلع القرن العشرين شرق بغداد حفاظا على بغداد من فيضانات نهري دجلة ونهر ديالى وذلك ابتداءً من تخوم ضاحية الأعظمية شمال بغداد وممتدةً حتى منطقة الرستمية على نهر ديالى جنوب بغداد. من

أهم معارضيه في الداخل هي الحوزه العلمية بالنجف لتقربه من التيار الشيوعي والمعسكر الاشتراكي وإبعاد العراق عن محيطه العربي والإسلامي وأهم موقف قامت به الحوزة هو وقوفها ضد قانون الإصلاح الزراعي وقانون الأحوال الشخصية حيث رفعت برقيات التأييد لقادة حركة ٨ فبراير ١٩٦٣.

ويتهمه أكراد العراق بأنه تلاعب بالقضية الكردية ففي عام ١٩٥٨ ومع إعلان الجمهورية العراقية دعى رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم، القائد الكردي الملا مصطفى البارزاني للعودة إلى العراق حيث كان البارزاني لاجئا في الاتحاد السوفيتي عقب انهيار الجمهورية الكردية القصيرة الأمد التي شكلها أكراد إيران في مدينة مهاباد وشغل فيها البارزاني منصب وزير الدفاع إلا أن الحكومة انهارت بعد ١١ أشهر من نشوئها حيث تم القضاء عليها من قبل الحكومة الإيرانية بعد انسحاب القوات السوفيتية من الأراضي الإيرانية حيث دخلت القوات السوفيتية جزءا من الأراضي الإيرانية إبان الحرب العالمية الثانية. كان البارزاني في ذلك الوقت قريبا من الخط الماركسي وعقدت مفاوضات في حينها حول إعطاء الأكراد بعض الحقوق القومية لكن تطلعات البارزاني وتذوق طعم تجربة الجمهورية الكردية في مهاباد جعلته يحلم بتجربة مماثلة في العراق وهذا الطموح فاق ما كان في نية عبدالكريم قاسم بإعطائه الأكراد من حقوق الأمر الذي أدى إلى نشوب صراع بين الطرفين، حيث قام عبدالكريم قاسم بحملة عسكرية على معاقل البارزاني عام ١٩٦١، والتي من تداعياتها، يتهمه الأكراد بأنه اضطهدهم وألب عليهم العشائر العربية في الحويجة والموصل مما أدى إلى وقوع أحداث مؤسفة من إراقة الدماء وتنكيل بين المكونين الاجتماعيين العراقيين.

أما أكثر الناس ارتباطاً به هم من المقربين لديه في الجيش وبعض الشخصيات الشيوعية، أما الآخرون فيتوزع ولاؤهم حسب مواقفه الوطنية ومنجزاته. وكذلك ارتبطت به بعض الطبقات الفلاحية من جنوب العراق والتي وقف إلى صفها، والذين بالغوا بوصفه إلى حد إطلاق الأحاجي والخرافات التي كانت تنشر في الصحافة

يومذاك، فبعضهم ادعى أنه رأى صورة "الزعيم" على بيضة وآخرون نشروا بأنهم رأوا صورته بالمرقب متجلية على سطح القمر. وبقيت هذه الأحاجي يتداولها البسطاء ممن استفادوا من حكمه وبالغ بها الآخرون منهم من المثقفين إلى حد الإطراء وإسناد أحداث غير واقعية لسيرة رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم.

علاقات العراق الخارجية في عهد رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم فقد اتسمت بالعزلة عن المحيط العربي والابتعاد عن العالم الغربي والتقارب من المعسكر الشرقي الاشتراكي بسبب التأثير الشيوعي على مركز القرار في بداية حكومة قاسم حيث وقع اتفاق دفاع مشترك استراتيجي مع الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي ولم تتميز علاقاته مع الرؤساء العرب سوى بالتخبط والخلاف الذي وصل أحيانا إلى حد التجريح .

وكان أخطر قرار اتخذه عبدالكريم قاسم على صعيد السياسة العربية هو إلغاء عضوية العراق من الجامعة العربية وفسر بعدم إيمانه بأي تقارب أو تضامن أو مشروع وحدوي عربي، ذلك القرار الذي وضع العراق في عزلة مطبقة إلا مع إيران ومنظومة الدول الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفيتي.

أما علاقته مع بريطانيا فكانت ظاهريا وإعلاميا متوترة إلا أن دار الوثائق البريطانية أماطت اللثام عن العديد من الوثائق التي تشير إلى وجود تنسيق من نوع مًّا للحفاظ على المصالح البريطانية في العراق والمنطقة منها عدم تأميم حقول النفط في فترة تعالت الأصوات الداعية للتاميم بعد تأميم مصدق في إيران للنفط وتأميم قناة السويس في مصر. كانت لقاسم مطالب عديدة .

نفس الغلطة التي ارتكبها عبد الكريم قاسم، عاد وارتكبها الرئيس العراقي أحمد حسن البكر عندما اتخذ من صدام حسين نائبًا، ومنح له سلطات واسعة، بلغت حد التنازل له عن بعض صلاحياته هو دون أن يدري أن شريكه في الحكم سيحمل له نهايته !!

فقد أصبح اللواء أحمد حسن البكر، وهو من تكريت أيضا ومن أقارب صدام حسين، رئيسا للجمهورية. وكان عمر صدام - آنذاك - ٣١ عاما. عمل البكر وصدام معا وأصبحا القوة المهيمنة على حزب البعث، إلا أن زعامة صدام أخذت في التفوق على زعامة الرئيس البكر.

أجرى صدام حسين، بصفته نائبا للرئيس أحمد حسن البكر، جمهوريته هو، أو دولته داخل الدولة، بتشكيله أجهزة أمنية صارمة، تأتمر بأمره هو.

وقد تمكن صدام حسين من إحكام قبضته على السلطة من خلال تعيين أقاربه وحلفائه في المناصب الحكومية المهمة، بالإضافة إلى مراكز التجارة والأعمال.

وفي عام ١٩٧٨، أصبح الانتماء إلى أي من أحزاب المعارضة جريمة يعاقب عليها القانون العراقي بالإعدام. وفي العام التالي أجبر صدام أحمد حسن البكر على الاستقالة.

وقد أقدم صدام على إعدام العشرات من منافسيه في قيادة الحزب والدولة خلال أيام من وصوله إلى الرئاسة.

وهكذا بدأ يمارس السلطة كما لو أنه الرئيس الفعلي للبلاد رغم وجود الرئيس أحمد حسن البكر على قمة السلطة. وأخذ دوره في حكم البلاد يكبر ويتوسع يوماً بعد يوم ،وخاصة سيطرته على الحزب والأجهزة الأمنية ،والمكتب العسكري .وبدا وكأن صدام يخطط لاستلام القيادة من البكر بحجة كبر سنه، ومرضه .

وفي ١٧ يوليو ١٩٧٩ ،فوجئ الشعب العراقي بإعلان استقالة الرئيس البكر، وتولي صدام حسين قيادة الحزب والدولة ،حيث أعلن نفسه رئيساً للجمهورية ،ورئيساً لمجلس قيادة الثورة، وقائداً عاماً للقوات المسلحة . أما كيف ولماذا تم هذا الانتقال للسلطة ،من البكر إلى صدام حسين فإن هناك دلائل تشير إلى أن ذلك الانقلاب كان قد جرى الإعداد له في دوائر المخابرات المركزية الأمريكية،

وأن الانقلاب كان يهدف بالأساس إلى جملة أهداف تصب كلها في خدمة المصالح الأمريكية، ومنها إفشال أي تقارب بين سوريا والعراق، ومنع قيام أي شكل من أشكال الوحدة بينهما، وتخريب الجهود التي بُذلت في أواخر أيام حكم البكر لتحقيق وتطبيق ميثاق العمل القومي الذي تم عقده بين سوريا والعراق ،حيث أثار ذلك الحدث قلقاً كبيراً لدى الولايات المتحدة وإسرائيل، تحسبا لما يشكله من خطورة على أمن إسرائيل .

وهكذا لم يجرِ الانقلاب ضد البكر بمعزل عن المخططات الأمريكية، فلقد جرى الحديث عن زيارة قام بها مساعد وزير الخارجية الأمريكي لبغداد ،و أجرى محادثات مطولة مع الرئيس احمد حسن البكر ،في مقره بالقصر الجمهوري، وشوهد المُوفَد الأمريكي يخرج بعد الاجتماع متجهم الوجه وقد بدا عليه عدم الارتياح ،ثم انتقل إلى مكتب صدام حسين ،وأجرى معه محادثات أخرى ،خرج بعدها وعلامات السرور بادية على وجهه ،وقد علته ابتسامة عريضة .

وقد بقي ما دار في الاجتماعين سراً من الأسرار ،إلا أن التكهنات والأحاديث التي كانت تدور حول الاجتماعين تشير إلى أن النقاش دار حول نقطتين أساسيتين، الأولى حول تطور العلاقات بين العراق وسوريا، وتأثير هذه العلاقات على مجمل الأوضاع في المنطقة، وبشكل خاص على إسرائيل والنقطه الثانية دارت حول الأوضاع في إيران، بعد سقوط نظام الشاه، واستلام الخميني السلطة، والأخطار التي يمثلها النظام الجديد على الأوضاع في منطقة الخليج، وضرورة التصدي لتلك الأخطار.

وقيل إن الموفد الأمريكي سعى لتحريض حكام العراق على القيام بعمل مَّا ضد النظام الجديد في إيران ،بما في ذلك التدخل العسكري .

وقيل أيضًا بأن الرئيس البكر لم يقتنع بفكرة الموفد الأمريكي، وخاصة وأن البكر رجل عسكري، ويدرك تمام الإدراك ما تعنيه الحرب من ويلات ومآسٍ،

وتدمير لاقتصاد البلاد ،ولذلك فقد خرج الموفد الأمريكي من مكتب البكر وقد بدا على وجهه عدم والارتياح ،على عكس اللقاء مع صدام حسين، والذي خرج بعد لقائه مسروراً .

ويعتقد أن صداما قد أبدى كل الاستعداد للقيام بهذا الدور المتمثل بتخريب العلاقات مع سوريا من جهة، وشن الحرب ضد إيران من جهة أخرى .

ولم تمضِ غير فترة زمنية قصيرة ، حتى جرى إجبار الرئيس البكر، بقوة السلاح، منَ قبل صدام حسين وأعوانه ،على تقديم استقالته من كافة مناصبه، وإعلان تولي صدام حسين كامل السلطات في البلاد، متخطياً الحزب وقيادته، ومجلس قيادة الثورة المفروض قيامهما بانتخاب رئيس للبلاد في حالة خلو منصب الرئاسة .

وقد أحكم صدام حسين سلطته المطلقة على مقدرات العراق ،بعد تصفية كل المعارضين لحكمه ،ابتداءً من أعضاء قيادة حزبه الذين صفاهم جسدياً بأسلوب بشع ،وانتهاءً بكل القوى السياسية الأخرى المتواجدة على الساحة .

لقد أخذت أجهزته القمعية تمارس أبشع الأعمال الإرهابية في حق العناصر الوطنية، من شيوعيين ،وإسلاميين، وقوميين، وديمقراطيين، بالإضافة للشعب الكردي، وملأ السجون بأعداد كبيرة منهم ومارس أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي بحقهم، وقضى العديد منهم تحت التعذيب .

- ورغم مظاهر الاختلاف بين شخصيتي قاسم والبكر من ناحية، والرئيس الديمقراطي الشيلي الراحل سلفادور الليندي، من ناحية أخرى، إلا أنه ارتكب بشكل أو آخر نفس الغلطة .

قصة الليندي هى قصة نضال وحياة حافلة بالكفاح والنضال في سبيل الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في بلده والعالم. . ولكن أكبر خطأ ارتكبه، ودفع هوو بلاده ثمنه باهظًا له هو ثقته غير المبررة في جنرال جامح التطلعات، تشير كل

الدلائل إلى أنه لا سقف لطموحه، و لا حد لتطلعاته الجامحة، و أنه مستعد أن يفعل أي شيء، ويتحالف مع أي شخص، حتى لو كان عدوا لبلاده كالأمريكيين!!

وقد دفع فعلا زعيم أمريكا اللاتينية الكبير، الرجل، الإنسان، و الرمز رئيس شيلي سلفادور الليندي حياته ثمنًا للثقة المفرطة في الجنرالات، و بالأخص أوجستو بينوشيه وزير دفاعه، فكانت الكارثة .. لم يتورع عن تصفيته جسديا، في انقلاب دموي، قبل أن يقتل شعبه كل يوم ألف مرة، كأحد أكبر طغاة العالم في العصر الحديث .. وصحيح غلطة الشاطر بألف .. و إليكم القصة المأساوية، التي لا يزال العالم يضرب بها المثل حتى الآن !!

ولد سلفادور الليندي في ٢٦ يونيو ١٩٠٨في فالبارايشو على ساحل المحيط الهادي من أب محامٍ وأم تدعى لاورا غوسنسي أوريبي.

وقد أقامت العائلة في فالبارايشو بعد سكناها في تاكنا "وكانت آنذاك تخص تشيلي والآن للبيرو"، وإيكيكي وسانتياغو وفالديفيا في الجنوب. انتسب إلى مدرسة إدواردو باترا، وبرز بعلاماته وسلوكه الجيد. في تلك السنين تعرّف على خوان ديمارشي أحد المعارضين من أصل إيطالي الذي تأثر بأفكاره العقائدية الأولى في الماركسية.

وانتسب إلى جامعة تشيلي في عام ١٩٢٦، وهي من أقدم وأشهر جامعات أمريكا اللاتينية، وذلك لدراسة الطب.

١٩٣٠ أصبح نائب رئيس اتحاد طلبة تشيلي، وشارك في النضال ضد ديكتاتورية إيبانس.

وفي عام ١٩٣٢، أنهى دراسته وانتقل إلى فالبارايشو ليتدرب وليكون بقرب والده المريض، بينما كان يحضّر الأطروحة "الصحة العقلية والجريمة".

وفي يونيو من نفس العام، أعلنت الجمهورية الاشتراكية بقيادة مارمادوك غروف، بعد التجربة الاشتراكية الخاطفة، بدأت الحكومة الجديدة بملاحقة التقدميين

ومنهم للجيندي الذي توفي والده وهو في السجن، وقد أقسم على النضال طوال حياته من أجل الحرية في تشيلي.

و في عام ١٩٣٣ حصل على شهادة الطب، وبعد عدة محاولات وظّف طبيباً شرعياً في ١٩ نيسان اشترك في تأسيس الحزب الاشتراكي الشيلي.

في مايو عام ١٩٣٦ اشترك في تأسيس الجبهة الشعبية، وترأس فرع الجبهة في فالبارايشو، وانتخبه رفاقه في الحزب الاشتراكي الأمين المساعد في الحزب.

و في عام ١٩٣٨ الجبهة الشعبية ترشح بيدرو أغييري سيردا لرئاسة الجمهورية، وللجيندي يصبح المسؤول الأول عن حملة الانتخابات في منطقة فالبارايشو.

و في عام١٩٤٢ ، أصبح الأمين العام للحزب الاشتراكي في تشيلي. ثم انتخب في عام ١٩٤٥عضواً في مجلس الشيوخ عن فالديفيا وضواحيها في الجنوب.

وفي عام ١٩٥٢ ، رشحته جبهة الشعب لانتخابات الرئاسة، وحصل على ٥٢ ألف صوت تقريباً.

وقدم في مجلس الشيوخ بالاشتراك مع رفيق النضال إلياس لافيرتي مشروع قانون تأميم النحاس. و في عام ١٩٥٣ ، أعيد انتخابه لمجلس الشيوخ عن أنتوفاغاستا وتاراباكا في شمال البلاد.

وفي عام ١٩٥٧، اتحدت الأحزاب: "الاشتراكي الشعبي والاشتراكي الشيلي والشيوعي" وشكلت "جبهة النضال الشعبي FARP"، ورشحته لانتخابات الرئاسة.

وبعد خسارته الانتخابات ضد خورجي أليساندري اليميني، زار العاصمة الكوبية هافانا، ليتعرف على مراحل الثورة الكوبية، والتقى مطولا بالقائدين فيديل كاسترو وتشي غيفارا. وفي عام ١٩٦٣ رشحته مرة أخرى جبهة النضال الشعبي FARP لانتخابات الرئاسة.

وحصل على مليون صوت تقريباً، لكنه خسر أمام مرشح الحزب الديمقراطي المسيحي إدواردو فراي مونتالبا. و بحلول عام ١٩٦٦، أصبح رئيساً لمجلس الشيوخ.

وفي عام ١٩٦٨ يزور كوريا الشمالية وفيتنام الديمقراطية ويجتمع مع هوتشي مينه، ويتابع زيارته إلى كمبوديا ولاوس. بعد اغتيال تشي غيفارا في بوليفيا، رافق للجيندي المناضلين الأربعة من كوبا الباقين من رفاق غيفارا إلى تاهيتي.

وفي عام ١٩٧٠، أعلنت هذه الأحزاب ترشيحه لانتخابات الرئاسة. و فاز بالأكثرية النسبية، قبل أن يعلن الكونغرس "النواب والشيوخ" فوز سلفادور الليندي برئاسة البلاد.

وعندما وثق الليندي في الجنرال أوجستو بينوشيه دفع الثمن غاليًا !!

ففي نوفمبر من العام ١٩٧٠ وصل الزعيم الاشتراكي سلفادور ألليندي إلى رئاسة تشيلي في انتخابات حرة و مباشرة لم تعجب الولايات المتحدة، ذلك أن أمريكا اللاتينية كانت تمور وقتها بالاشتراكية، والعداء للرأسمالية، لدرجة جعلت الكثير من القسس يتركون وظائفهم الكنسية في معقل الكاثوليكية ويتجهون للاشتراك في الثورة، والتحريض ضد فساد الحكام الرأسماليين المرضي عنهم من الولايات المتحدة، وذلك في فترة المد الاشتراكي العالمي، والحرب الباردة.

اتخذ الليندي طبيب الفقراء سياسات شجاعة ضربت مصالح الإمبراطورية الأمريكية في تشيلي بانتصارها لجانب الفقراء، و ميولها الاشتراكية الواضحة.

وقررت الولايات المتحدة أن سلفادور ألليندي خطر كبير يتهدد مصالحها، لكنها لم تستطع الطعن والتشكيك في شرعيته كحاكم ذلك لأنه فاز في الانتخابات بطريقة شريفة، لذا، قررت الإمبراطورية الكشف عن وجهها القبيح، والقضاء على أحلام الشعب التشيلي، والشعوب الفقيرة في العالم، وكان رجلها المختار لهذا هو

الجنرال أوغستو بينوشيه قائد الجيش الذي استولى على السلطة بإيعاز أمريكي في ١١ سبتمبر عام ١٩٧٣، و حاصر القصر الرئاسي بدباباته مطالباً سلفادور ألليندي بالاستسلام و الهروب .

لكن ألليندي رفض، و ارتدى الوشاح الرئاسي الذي ميز رؤساء تشيلي طوال قرنين من الزمان، ليسقط قتيلاً في القصر الرئاسي رافضاً التخلي عن حقه الشرعي.

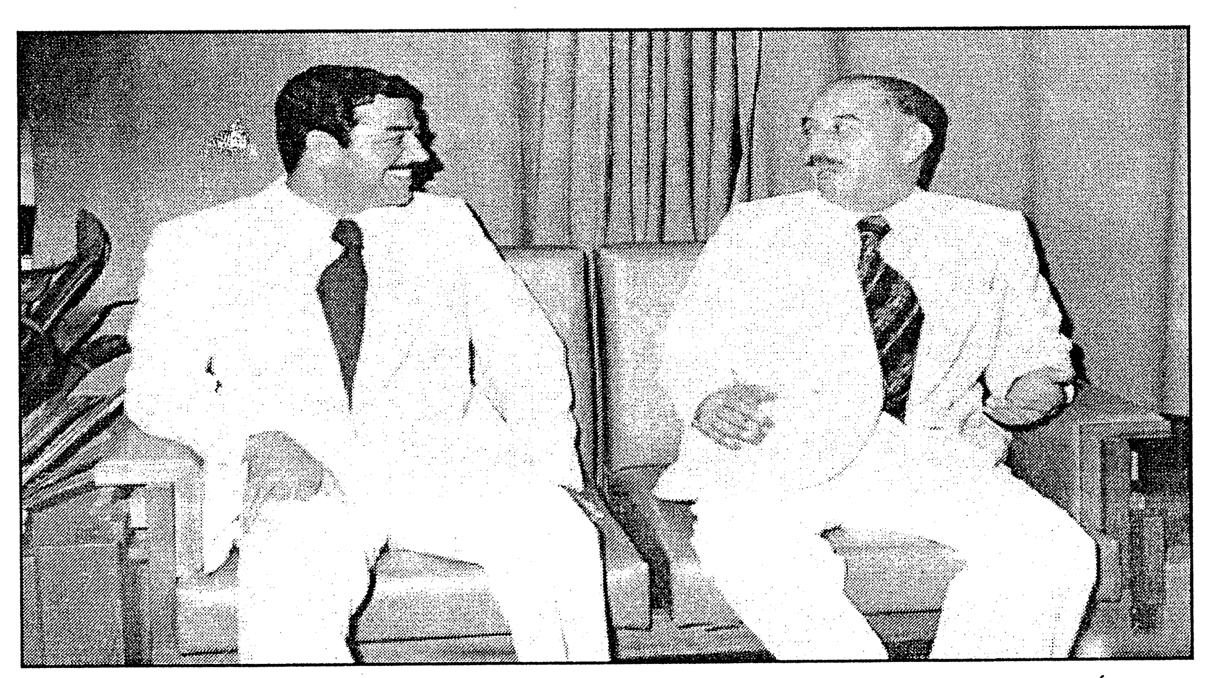
وبدأ بينوشيه عهده العسكري بقتل الرئيس المفضل للشعب، واستمر حاكماً سبعة و عشرين عاماً كان فيها مخلب القط الأمريكي في المنطقة، والعدو الأول لكل مفكري و كتاب وأحرار أمريكا اللاتينية. شهد عهده اغتيال الجنرال عمر توريخوس رجل بنما القوي، والذي كان عائقاً في وجه الهيمنة الأمريكية الشاملة على القناة، وشكل مع نوريجا الحاكم البديل لـ بنما ورافاييل ليونداس تروخيليو حاكم الدومينيكان أسوأ وجوه الديكتاتورية التابعة لأمريكا في عالم شهد ديكتاتوريات عديدة، كـ سالازار في البرتغال، و فرانكو في إسبانيا، و تشاوشيسكو في رومانيا.

غير أن بينوشيه لم ينته في سجن أمريكي مداناً بالاتجار بالمخدرات كما انتهى نوريجا، اللعبة الأمريكية هو الآخر، ولا انتهى مقتولاً على يد شعبه كما انتهى ليونداس تروخيليو – رغم أنه تعرض لمحاولات اغتيال -، بل انتهى مخلوعاً على يد شعبه الذي خلعه رغم قوة نظامه العسكري و أنهى سبعة و عشرين عاماً من خنق الحريات على يد واحد من أسوأ أنظمة العالم الديكتاتورية.

وتم الإعلان في صباح ٣ ديسمبر ٢٠٠٦ أن أوغستو بينوشيه تعرض لنوبة قلبية، وحدث ذلك بعد أيام من وضعه رهن الإقامة الجبرية. وفي ٤ ديسمبر ٢٠٠٦، أصدرت محكمة الاستئنافات التشيلية أمرا برفع الإقامة الجبرية. في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٦ أخذ بينوشه إلى وحدة العناية المركزة، وتوفي بسبب فشل في عمل القلب.



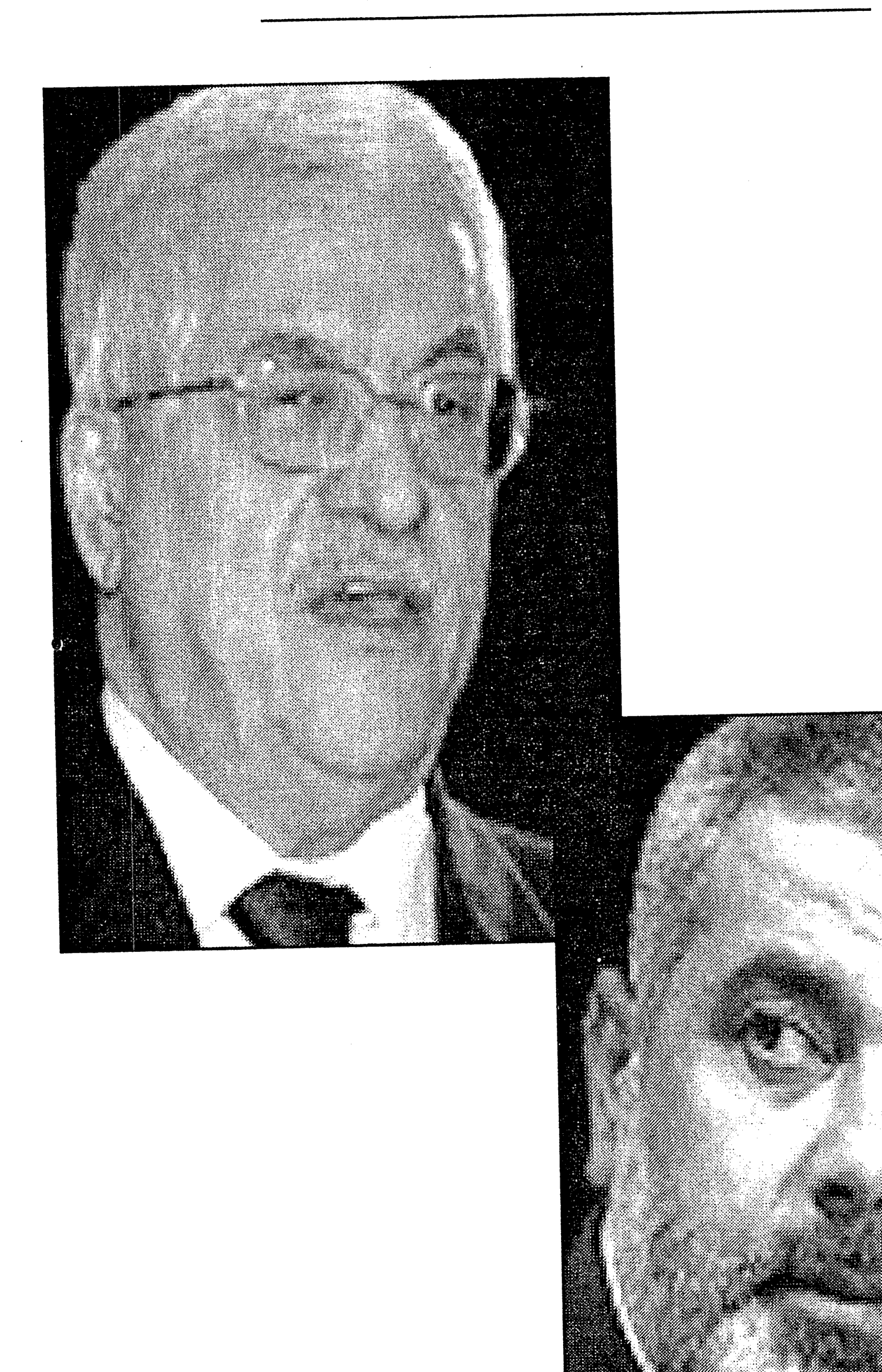
عبد الكريم قاسم بعد عملية اغتياله !!



أحمد حسن البكر و صدام قبل أن يدفع البكر ثمن ثقته غير المبررة فيه !!

١٥ - عباس وهنية ..

محنة العودة بالقضية للوراء !!



في تاريخ الشعوب قد ترتكب حركات التحرر الوطني أخطاء فادحة، إلا أنه يظل الصراع الداخلي على السلطة داخل الحركة، و ما يتمخض عنه من فتنة وفرقة ومن تشرذم وانقسام، من الخطايا الكبرى، التي تحطم كل ما حققته هذه الحركة أو تلك طوال تاريخها، و تتركها فريسة سهلة للمغتصب أو المستعمر !!

وهناك نماذج في التاريخ لحركات وطنية ارتكبت أخطاء، و لكن ليس بحجم الأخطاء التي ارتكبتها الحركة الفلسطينية في السنوات الأخيرة من أخطاء قاتلة بلغت ذروتها مع نشوب الصراع على السلطة بين أقطاب حركة فتح بزعامة محمود عباس أبو مازن، و أقطاب حركة " حماس " بزعامة إسماعيل هنية .

فقد أصبح واضحا أن الصراع بين أنصارحركتي فتح وحماس ليس من أجل برامج سياسية تتعلق بتحرير الأرض وإقامة الدولة، ولكن صراع سلطة، و حرب نفوذ وسيطرة .. حرب حول من سيحكم منهما الأمتار التي ينسحب منها جيش الاحتلال في قطاع غزة، وكيلومترات الضفة، التي يقتل الاحتلال ويغتال ويحاصر ويدمر فيها كما يشاء.

وقد بدأ الصراع بين فتح وحماس في إدارة السلطة الفلسطينية أثناء قيادتهما لمؤسسات الحكم الذاتي، منذ أن فازت الثانية بالانتخابات التشريعية أوائل ٢٠٠٦.

كان إجراء انتخابات تشريعية حرة نزيهة وشفافة كان إنجازاً يحسب للسلطة الفلسطينية، ونموذجاً حضارياً في العلاقة بين القوى والتيارات الفلسطينية المختلفة.

إلا أن "الفرحة لم تتم" عندما بدأت حرارة الاختلاف في التصاعد بين طرف شعر أنه خسر شيئاً يملكه " فتح أبو مازن " ويريد استرداده بأسرع وقت، وطرف آخر شعر أنه حاز على ثقة الشعب ويريد أن يستلم الصلاحيات ويحقق الإنجازات بأسرع وقت " حماس هنية " .

احتفظت فتح بسيطرتها على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى منصب الرئاسة كما احتفظت بسيطرتها عملياً على الأجهزة الأمنية وعلى جهاز الخدمة المدنية، بينما سيطرت حماس على المجلس التشريعي وعلى حكومة السلطة.

ودخل الطرفان في صراع على الصلاحيات، خسر فيه الطرفان وعانى معهما الشعب الفلسطيني، في الوقت الذي سعت فيه إسرائيل والولايات المتحدة لتأجيج الخلاف وتغليب طرف على آخر .

ومنذ اللحظة الأولى لوصول حماس إلى السلطة بدأ الصراع على السلطة والصلاحيات التي يطالب بها كل طرف لنفسه كي تكون له السيطرة الفعلية على زمام الأمور، كانت بوادره الأولى جملة من التعيينات وملء الشواغر والترقيات من قِبَل رئاسة السلطة، وجلسة ختامية للمجلس التشريعي المنتهية ولايته، والذي كانت تسيطر عليه حركة فتح، حيث تم فيها إقرار مجموعة من القوانين التي توسع من صلاحيات الرئيس الفلسطيني، تلتها جلسة افتتاحية "عاصفة" للمجلس الجديد، أعادت كتلة حماس البرلمانية فيها التصويت على قرارات المجلس السابق وألغتها.

الصراع بين فتح وحماس لم ينشأ عن غموض في القوانين، إذ أن القوانين واضحة في تحديد صلاحيات كل من الرئاسة والحكومة، ولكنه وقع لأن من شغل المنصبين سابقاً كان من حركة فتح، أما بعد فوز حماس فقد ظهرت إشكالية تحديد هذه الصلاحيات . حيث سعى الرئيس محمود عباس أبو مازن وحركة فتح إلى إبقاء حالة انفراد فتح بالمناصب، سواء عبر التعيينات والترقيات المختلفة أو حتى بالإضرابات والعصيان المدني .

ثم انتقل الصراع إلى وزارة الخارجية والتمثيل الخارجي، حيث إن القانون الفلسطيني ككل يتجه نحو حصر مهام رئيس الوزراء بالشؤون الداخلية، ويعطي صلاحيات أكبر للرئيس ولمنظمة التحرير الفلسطينية فيما يخص العلاقات الخارجية.

وقد دار الصراع حول وزارة الخارجية على مستويين : الأول داخلي مرتبط بالإشراف على عمل الوزارة والموظفين والسلك الدبلوماسي، والثاني على صعيد التمثيل والمشاركات الخارجية، والذي برز في مناسبات عدة، كان أولها خلال اجتماعات وزراء خارجية دول عدم الانحياز في كوالالمبور أواخر مايو ٢٠٠٦، والتي شهدت صداماً بين الزهار ورئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير فاروق القدومي، إلى جانب الخلاف على تمثيل فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية.

وكان الصراع الأكثر رعبًا في مجال الأمن ووزارة الداخلية، والذي كان محور تنازع الصلاحيات بين الطرفين. و كان من اللافت للنظر أن الرئيس محمود عباس ومعاونيه كانوا دائماً يجدون المبررات لسحب صلاحيات هي حكماً وعرفاً وقانوناً من صلاحيات وزارة الداخلية؛ كمسؤولية حفظ الأمن الداخلي، وإدارة المعابر، بالإضافة إلى الصراع في مجال التعيينات الأمنية، وفي موضوع القوة التنفيذية التي شكلتها وزارة الداخلية التابعة لحكومة حماس، من حيث تشكيلها وعملها والصعوبات التي واجهتها، والجدل القانوني الذي ثار حولها. وكذلك حول الخطة الأمنية التي قدّمها وزير الداخلية في حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت بعد اتفاق مكة هاني القواسمي، والعوائق التي حالت دون تطبيقها دافعة القواسمي للاستقالة؛ إثر شعوره بأن كل الصلاحيات موجودة بيد المدير العام للأمن الداخلي رشيد أبو شباك، وأنه لا يملك أية صلاحية إلا من خلاله، بحسب ما ذكر في استقالته.

ثم جاءت مسألة نقل إدارة المعابر إلى مؤسسة الرئاسة، و تبرير الرئيس الفلسطيني سياسته في هذا الموضوع بأنها كانت في إطار "ما أُكرِه عليه" لتسيير

الأمور، إذ أن الحصار المفروض على حكومة حماس واستحالة أي تعاون بينها وبين الإسرائيليين استدعى من منصب الرئاسة تحركاً تمليه خبرته في المفاوضات وعلاقاته الدولية.

أما موقف كل من الرئاسة وحكومة حماس تجاه فصائل المقاومة وسلاحها، فعلى الرغم من اتفاق الطرفين على إنهاء مسألة فوضى السلاح لما تسببه من تفاقم مشكلة الفلتان الأمني، فإنهما كانا في صراع مستمر في كيفية لجم هذه الفوضى.

حيث كان عباس يصر على حل "المليشيات" ونزع كل سلاح لا يقع تحت سيطرة الأجهزة الأمنية، بينما كانت حماس تتمسك بموقفها الرافض لمسألة نزع سلاح المقاومة، والداعي للتفريق بينه وبين السلاح الفوضوي.

وجاءت دعوة الرئيس عباس إلى انتخابات مبكرة، وهو موضوع كان من أبرز ما أثار الجدل في صراع الصلاحيات، لأن الانتخابات التشريعية المبكرة كانت السلاح الذي طالما هدد عباس وفريقه حركة حماس باستعماله إما تصريحاً أو تلميحاً. وكان السؤال كما في كل مرة : هل يحق للرئيس الدعوة لانتخابات تشريعية مبكرة، وهو ما يعني بالضرورة حل المجلس التشريعي؟ وخلص إلى الإشارة إلى أن الخبراء القانونيين مالوا إلى الرأي القائل إن الرئيس لا يملك هذه الصلاحية.

ثم جاءت إشارة الرئيس عباس إلى إمكانية نشر قوات دولية في قطاع غزة، وحصر مطالبته بهذا الأمر بالقطاع وحده، و كانت هذه الخطوة جاءت في إطار الصراع مع حركة حماس، ومحاولة كسر سيطرتها على غزة بالاستعانة بقوى خارجية.

وقد اتخذ الرئيس محمود عباس أبو مازن مراسيم ثلاثة اتخذها رداً على سيطرة حماس على قطاع غزة منتصف يونيو ٢٠٠٧، والتي نصت على إقالة حكومة الوحدة

الوطنية برئاسة إسماعيل هنية، وإعلان حالة الطوارئ، وتشكيل حكومة برئاسة سلام فياض.

هذه المراسيم كانت فور صدورها مثار جدل ونقاش، وبالأخص مرسوم تشكيل الحكومة، إذ لا يوجد في القانون الأساسي الفلسطيني ما ينص على تشكيل حكومة في حالة الطوارئ التي يفترض أن تكون حالة مؤقتة.

ومن هنا لم يعد هناك من داعٍ للجدل حول إعلان حالة الطوارئ، حتى لو كان الإعلان غير شرعي، إذ أن حالة الطوارئ تنتهي حكماً إذا لم يقم المجلس التشريعي بالمصادقة عليها، لكن إشكالية تحديد "الحكومة الشرعية" العالقة إجابته بين حكومة هنية وحكومة فياض يميل حسبما يظهر لصالح الأولى كـ "حكومة تسيير أعمال" إلى أن تنال أي حكومة أخرى ثقة المجلس التشريعي.

وفي ضوء كل ذلك، فقد انفجرالصراع من داخل كواليس السلطة ومراكز صناعة القرار إلى العلن، مع وجود حكومتين تتولى كل منهما إصدار القرارات، وتعيين وترقية الموظفين، وإدارة الأجهزة الأمنية في منطقتها، مما أوجد انقساماً كبيراً بين الضفة والقطاع، رأى الكاتب أنه ازداد مع حدة المراسيم التي استمر الرئيس عباس في إصدارها.

وقد بلغ الصراع بين حماس وفتح داخل أروقة الأمم المتحدة مع تقديم بعثة فلسطين فيها مشروع قرار يصف حماس بالمليشيات المسلحة الخارجة على القانون، ويطالبها بإعادة الأوضاع في قطاع غزة إلى ما كانت عليه قبل سيطرتها عليه .

وشملت مسألة دعوة المجلس التشريعي للانعقاد في دورته الثانية لسنة ٢٠٠٧ وإجراء انتخابات هيئة مكتب جديدة بالاقتراع السري، وموضوع الدعوة لانتخابات تشريعية مبكرة بناء على تفويض المجلس المركزي لمنظمة التحرير.

إضافة إلى استعراض القرارات والممارسات التي تناولت عمل الإدارات والمؤسسات التابعة للسلطة، والتي كان لحكومتي فياض وهنية حصة فيها، والقرارات الخاصة بالأجهزة الأمنية والقوة التنفيذية التي أصدرها كلا الطرفين، وتلك المتعلقة بالمعابر وفصائل المقاومة وسلاحها، وطلب الرئيس عباس استقدام قوات دولية إلى قطاع غزة والضفة الغربية، خلال زيارته إلى فرنسا أواخر يونيو ٢٠٠٧.

وبسبب كل هذا شهدت الساحة الفلسطينية تفجر حمامات دم فلسطينية فلسطينية، وعودة الحركة الوطنية الفلسطينية عشرات السنين للوراء !!

لأن التصعيد العسكري الأخير بين حركتي فتح وحماس لم يكن عاديا ودخل الأطوار الأولى للحرب الأهلية بعدما قتل فيه ١٠٠ من مقاتلي الطرفين -غير مثلهم من الجرحى في معارك السلطة لا الاحتلال- فمن الضروري فحص "رسائل" الحرب الأهلية التي حرص كل طرف على توجيهها للطرف الآخر من خلال التصعيد الأخير، لأن هذه الرسائل -لو صحت قراءتها هنا- فسيكون لها تداعياتها ومخاطرها مستقبلا وقد تؤدي لعراق آخر.

أولى هذه الرسائل العامة -التي ظهرت من رد فعل الطرفين- أن كلاهما أثبت أن القتال يدور حول السلطة على حساب تحرير الأرض، ما يعني أن حركة فتح تسعى بكل السبل للعودة للسلطة ولو بتعاون أجنحة أمنية منها مع المشروع الأمريكي الإسرائيلي لعزل حماس عن السلطة، وأن تجربة حماس في المشاركة في انتخابات السلطة أصلا والاهتمام بالحفاظ عليها لاحقا كان وبالا على الحركة لأنها باتت تحارب للحفاظ على سلطة وهمية غير حقيقية وتخشى إن تركتها -خصوصا وزارة الداخلية- أن يستغلها صقور فتح في التضييق عليها.

الرسالة الثانية المهمة هي أن التصعيد العسكري بين الطرفين أسقط حواجز العقلانية، و"ثبت" حالة الانفصال بين فريق الصراع: مؤسسات الحكومة التي

تتولاها حماس، ومؤسسات رئاسة الجمهورية التي يتولاها الرئيس أبو مازن وحركة فتح، وهو مؤشر خطير لأنه يحدد معالم طرفي الحرب الأهلية التي ينفخ فيها الإسرائيليون والأمريكان لدرجة حديث الإسرائيليين عن تأجيل الرد الانتقامي على عملية إيلات لكي لا تؤدي أي ضربات إسرائيلية لعرقلة تصاعد الحرب الأهلية الفلسطينية المرحب بها، وإعادة توحيد فتح وحماس ضد الاحتلال مرة أخرى!

وتثبيت حالة الانفصال أو الانفصام بين الطرفين هنا تدفع للتساؤل: هل تنقسم الدولة الفلسطينية إلى قطاع غزة ليكون تابعا لحماس وقطاع الضفة ليكون لفتح، خصوصا أن ما جرى من هجوم انتقامي متبادل على مراكز وتجمعات الطرفين في غزة والضفة من قبل الفريق المناوئ كان أشبه بعمليات التهجير القسري في العراق، وتبادل المواقع بين أحياء السنة والشيعة؟!

الرسالة الثالثة الصارخة كانت انتهاء الحديث المنمق العاطفي عن استحالة الحرب الأهلية في فلسطين بين فتح وحماس أو بين الفصائل وبعضها البعض، فإذا كان هذا الحديث العاطفي عن استحالة هذا الاقتتال الداخلي قد حظي في السابق بقدر من المعقولية لأن فصائل المقاومة كانت حريصة على عدم الانخراط في السلطة ومشاكلها والتركيز على الاحتلال وتحرير الأرض، فقد اختلفت المعادلة الآن بعدما أصبح أكبر فصيل للمقاومة غارقا في مشاكل مَقعد السلطة، وأصبحت بالتالي أكثر حيرة بين التمسك بالسلطة بدعوى عدم السماح لفتح بتمرير اتفاقات باسم فلسطين تتضمن تنازلات صارخة، وبين التمسك بها واستمرار الحصار الدولي والاقتتال الداخلي.

وخطورة هذه الرسالة الأخيرة أن معارك يناير ٢٠٠٧ أثبتت أنه لا حرمة للدم الفلسطيني الداخلي، وأن فلسطين لن تكون أفضل من العراق أو لبنان أو غيرهما من الدول التي ظل الحديث يدور عن حرمة الدم الداخلي بها، وإذا به يتفجر أنهارا بأكثر مما انهمر أمام الاحتلال الإسرائيلي أو الأمريكي!.

أيضا لا يمكن الحديث عن هذه المعارك بين فتح وحماس، والتي استخدمت فيها أسلحة ربما لم تظهر أمام الاحتلال الإسرائيلي حينما هاجم أجزاء كبيرة من غزة، دون الحديث عن مغزى الرسائل التي حرصت قيادتا حماس وفتح - خصوصا تيار محمد دحلان - على نقلها لبعضهما البعض.

التصعيد العسكري بدأ عقب زيارة وزيرة الخارجية الأمريكية كوندليزا رايس للمنطقة وعقب مؤتمر دافوس الذي شهد لقاءات فلسطينية إسرائيلية أمريكية وراء الكواليس بين محمود عباس وشيمون بيريز ومسئولين أمريكيين وتردد أنه بحث أساليب دعم "الرئاسة" الفلسطينية على حساب حكومة حماس، سواء في صورة تسليم ١٠٠ مليون دولار من إسرائيل للرئيس عباس أو في صورة تقديم الرئيس جورج بوش دعما محددا للرئاسة أيضا، وهو ما قد يعتبر نوعا من تسريع سيطرة الرئاسة الفتحاوية على الدولة الفلسطينية وتحييد دور الحكومة الحماسية، لدرجة خروج مدرعات ومصفحات الرئاسة -لأول مرة- في مواجهة مقاتلي حماس، وهي التي لم تخرج أبدا حتى عند الاجتياح الإسرائيلي لغزة.

كل طرف بات يتهم الآخر بأنه عميل لقوى خارجية، وأخذ كل طرف يصنف نوايا الطرف الآخر على أنها تصب في خانة الأعداء الخارجيين.

فحماس تعتبر ما تقوم به بعض القوى الأمنية التابعة للرئاسة خصوصا الأمن الوقائي والقوات الموالية لمحمد دحلان جزءا من مخطط أمريكي إسرائيلي لتصفية حماس واستئناف المفاوضات للتفريط في الحقوق الفلسطينية، وقالت بأن الهجوم على شاحنات خاصة بالرئاسة كان بغرض ضبط أسلحة مرسلة للرئاسة لضرب حماس، وهو ما لم تثبت حماس صحته ولم تعرض صور هذه الأسلحة التي تحدثت عنها.

وفتح تتهم حماس بأنها تنفذ مخططات إيرانية، وبررت هجومها -بمصفحات أمن الرئاسة- على الجامعة الإسلامية وإحراق مكاتبها وأبنيتها بأنها تحولت لوكر

لتدريب متطرفين، وزعمت وجود ٨ خبراء عسكريين إيرانيين (عجزت عن إثبات ذلك ولم تنفذ وعدها بعرض صور هؤلاء الإيرانيين الذين يصعب تصور وجودهم أصلا بسبب الحصار الذي تشهده غزة).

ووسط هذا الصخب وبوادر الحرب الأهلية التي يصعب إخمادها بعد سقوط قتلى وجرحى وأصبحت هناك جراح مفتوحة وثارات بين الطرفين، كان قيام الفصائل الأخرى -خصوصا الجهاد وسرايا القدس- بعمليات في العمق الإسرائيلي (إيلات وسديروت) بمثابة توجيه رسائل مباشرة للطرفين المتنازعين بأن القضية الأهم هي الاحتلال وأنه يجب تصحيح البوصلة وتوجيه السلاح للمحتل.

وربما قصدت هذه الفصائل من ذلك أيضا خلط الأوراق وعرقلة مساعي خطط تصفية حكومة حماس على اعتبار أن رد الفعل الإسرائيلي العسكري المتوقع المعتاد على العمليات سوف يطال إلى الجميع ومن ثم يعيد توجيه حالة الغضب الفلسطيني والانتقام من العدو الإسرائيلي، وهو ما لم يحدث، وتأجل الرد الإسرائيلي طالما أن الهدف الأهم -وهو الحرب الأهلية- يتحقق!.

ووسط هذا الصخب أيضا تبلورت بشكل قوى المبادرة السعودية الرامية لاحتضان اجتماع بين الطرفين المتصارعين في رحاب مكة لعل وعسى تقود أجواؤها الروحانية اتفاقا يوقف عجلة الاقتتال الدامي، و إن كانت المبادرة قد نجحت في وقف نزيف الدماء الفلسطينية الفلسطينية مرحليًّ، إلا أن الانقسام سرعان ما عاد و الصراع على السلطة لا يزال مستمرًّا حتى يومنا هذا !!

وهكذا بات التنافس أو التنازع بين حركتي "فتح" و"حماس"، وهما الحركتان الفلسطينيتان الرئيسيتان، يحتل المشهد السياسي الفلسطيني بأكمله، على حساب التصارع ضد إسرائيل وسياساتها في الأراضي المحتلة.

المشكلة في ما يحصل في الساحة الفلسطينية، هذه الأيام، أنه قد يتعدّى كل التوصيفات السابقة، حيث ثمة تخوفات حقيقية من احتمال تفاقم الأوضاع بين "فتح" و"حماس"، وانتقالها إلى درجة عالية من الخطورة، ربما تهدد المشروع الوطني الفلسطيني برمته، فوق كل التهديدات والتحديات المحيطة به من قبل الطرف الإسرائيلي.

ويكمن مصدر هذه التخوفات في العوامل التالية:

- إن النزاعات والخلافات والتنافسات بين "فتح" و"حماس" لم تعد منحصرة في المساجلات داخل إطار المجلس التشريعي أو في تجاذب الصلاحيات بين مؤسستي الرئاسة في الحكومة والسلطة، أو لجهة حسم مكانة المرجعية والشرعية بين الحكومة وقيادة منظمة التحرير، إذ أن كل هذه المظاهر انتقلت إلى الشارع، والحاصل فإن هاتين الحركتين باتتا وكأنهما تتعمدان تجاوز الحوار السياسي المباشر في القنوات المناسبة في محاولة منهما لشحن العواطف وتجييش الشارع (شارع ضد شارع)، في نوع من استعراض "قوة" متبادلة بينهما.

- المعضلة الأكثر خطورة في المشاكل المقبلة اليوم بين "فتح" و"حماس" أنها أدت إلى صدامات مسلحة، على رغم استمرار هاتين الحركتين بتحريم إراقة الدم الفلسطيني. والواقع أن اللعب بالنار في الساحة الفلسطينية جد خطير، لا سيما في ظل فوضى السلاح الحاصلة، وبالنظر لطغيان الطابع الأمني - الميليشياوي، للفصائل الفلسطينية الفاعلة، على طابعها السياسي، وأيضاً بحكم تدني مستوى العلاقات الديموقراطية، وضعف البنى المؤسسية، والافتقار إلى الوعي بالاحتكام للقانون، وتغليب المصالح الفصائلية الفئوية على المصالح الوطنية والعامة. ويكفي أن نذكر هنا أن عمليات المقاومة الفلسطينية أدت في عام ٢٠٠٥ إلى مقتل حوالي ٥٢ اسرائيلياً، في حين قتل ١٧٦ شخصاً من الفلسطينيين، بسبب فوضى السلاح وبسبب الاحتكام إليه في بعض المنازعات الداخلية! أي أكثر من نسبة ٥٠ في المئة

من عدد الشهداء الفلسطينيين، الذين لقوا مصرعهم برصاص الجيش الاسرائيلي، في ذات العام، والذين بلغ عددهم ٣١١ شخصاً.

- باتت الساحة الفلسطينية تعمل وفق معادلة من الازدواجية السياسية، في إطار من تعادل القوى، بين حركتي "فتح" و"حماس"، وهي معادلة تستمد شرعيتها من نتائج الانتخابات التشريعية، التي أدت في ما أدت إليه، إلى حصول استقطاب فلسطيني، غير مسبوق، لصالح هاتين الحركتين، بما يعنيه ذلك من تآكل حال التعددية والتنوع في البيئة الشعبية الفلسطينية، في ظل ضعف الفصائل الأخرى. ولا شك ان هذا الواقع يهدد التوازن والاستقرار والحيوية في الساحة الفلسطينية، ويضعف من إمكان تطورها السياسي الديموقراطي. كما أن هذا الوضع يجعل هذه الساحة تقبع تحت رحمة التوترات والعصبيات والمزاجات الفتحاوية والحماسية، ويحول دون قدرة أي من الحركتين المذكورتين على الاحتكام للفصائل الأخرى، أو الاتكاء عليها، لترشيد الأحوال والعلاقات السائدة بينهما.

- أدت التوترات الفتحوية - الحماسية إلى تراجع جدول الأعمال الوطني، فبدلاً من التركيز على التناقض الرئيسي ضد العدو، تجري المبالغة بالخلافات الداخلية، الثانوية والآنية، المضرة. هكذا بات الصراع بين هاتين الحركتين يبدو وكأنه أهم من الصراع ضد إسرائيل! لكأن الصراع على حدود صلاحيات الرئاسة أهم من الصراع ضد جدار الفصل العنصري، أو اعتبار التنافس الفصائلي الداخلي أهم من التوحد لمواجهة التحديات، التي يمكن أن تنجم عن المشروع التصفوي الإسرائيلي المتمثل بالحل الأحادي (الانطواء). أو كأن اللجوء للتهدئة ضد العدو ينبغي أن يقابله نوع من التوتير في الساحة الداخلية!

وعلى ضوء كل ما تقدم يخشى الاستنتاج بأن الخلافات الدائرة في الساحة الفلسطينية، في هذه المرحلة، إنما هي تحصيل حاصل للإخفاقات التاريخية لحركة التحرر الوطني الفلسطيني، بمجمل تكويناتها. فبغض النظر عن الرغبات

والشعارات والأمنيات، فإن هذه الحركة، في حقيقة الوضع، لم تحرز النجاحات المناسبة في مجمل الخيارات التي أخذتها على عاتقها، سواء في المقاومة والانتفاضة، أو في التسوية والمفاوضة، كما في مهمات البناء، سواء كانت مهمات بناء الثورة أو بناء الكيان والسلطة، وذلك على الرغم من كل التضحيات والمعاناة والبطولات التي بذلها الشعب الفلسطيني، منذ ما يزيد على أربعة عقود مضت.

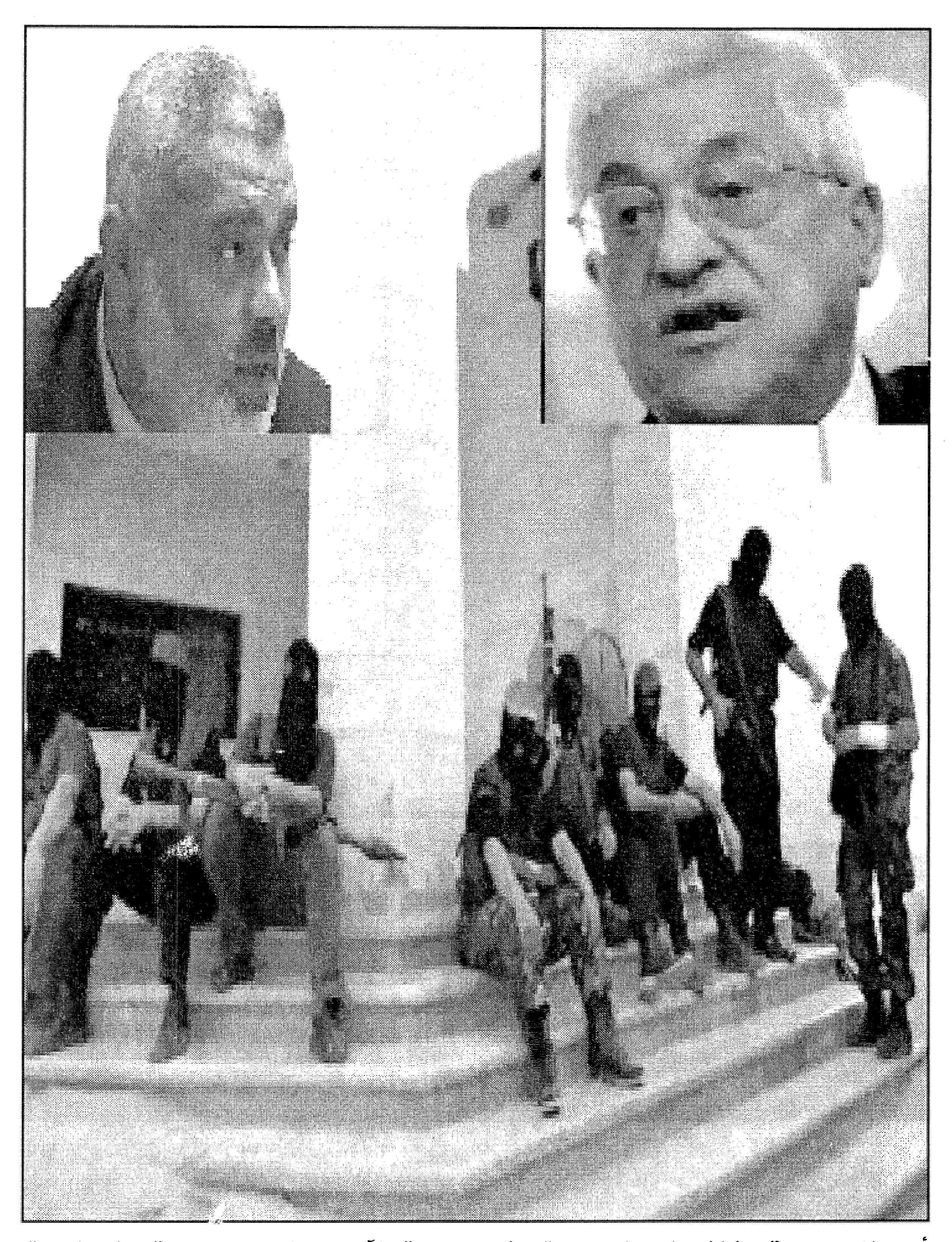
الأسوأ من ذلك، أنه لا يمكن إحالة هذه الإخفاقات فقط إلى حجم التحديات الخارجية (وأهمها الإسرائيلية بالطبع)، التي ظلت تعترض المشروع الوطني الفلسطيني طوال المرحلة الماضية، ذلك أن قسطاً كبيراً من المسؤولية يقع على عاتق العامل الذاتي الفلسطيني وهو ناجم عن تخلف إدارة الفلسطينيين لأوضاعهم ولصراعاتهم ضد إسرائيل، أي إلى خلافاتهم وفوضاهم.

هكذا فإن الفلسطينيين معنيون في حواراتهم المرتقبة، بالبحث جديًّا في العوامل الذاتية لحال التأزم في العلاقات الداخلية ووضع حد نهائي لها، بتغليب لغة الحوار وتحكيم المؤسسات الدستورية والتشريعات القانونية، وتغليب مصلحة الوطن على مصلحة الفصيل. ولكن ذلك يتطلب أساساً عدم استعمال الشارع في الخلافات والتوجه نحو ترشيد العلاقة السياسية مع هذا الشارع عبر الارتقاء بوعيه وتوجيه طاقاته للصمود والتغلب على الملاءات السياسية وإجراءات الحصار الإسرائيليتين.

وفي كل حال لا مناص أمام الفلسطينيين من ابتداع حلول مناسبة للأزمة الحاصلة في نظامهم السياسي على ضوء الازدواجية في السلطة والقيادة والتعادل في المكانة الشعبية بين حركتي "فتح" و"حماس".

ومعنى ذلك أن الفلسطينيين يقفون اليوم في مواجهة أحد الخيارين، لا ثالث لهما، فإما اختيار التوافق بين "فتح" و"حماس"، عبر التوصل إلى قواسم سياسية وميدانية مشتركة، لمواجهة السياسات الإسرائيلية، وإما التحول نحو حسم واقع

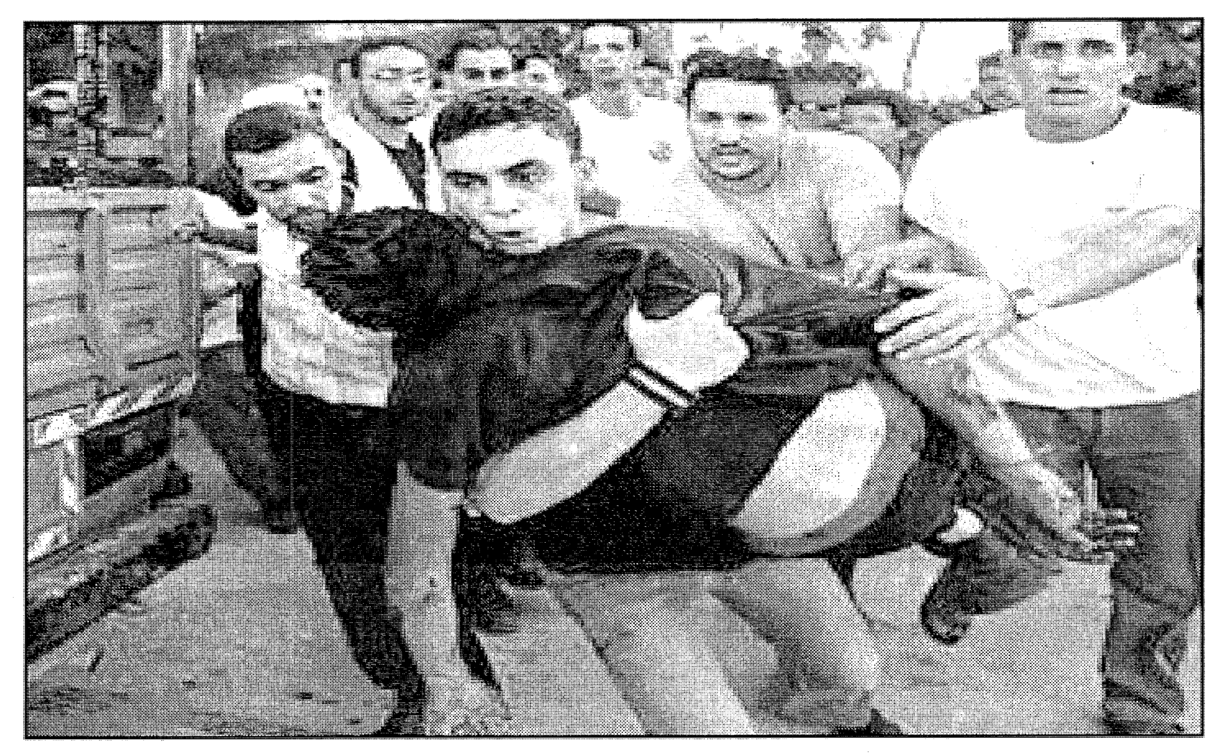
الازدواجية والتعادل بالوسائل الديموقراطية والدستورية، أى بتنظيم استفتاء شعبي للحسم في مجمل القضايا السياسية المختلف عليها بين "فتح" و"حماس"، ما يضمن الحفاظ على الواقع القائم (على رغم إشكالياته)، أو بالتوجه نحو تنظيم انتخابات مبكرة رئاسية وتشريعية في آن معاً، يقرر فيها الشعب الفلسطيني قيادته ومرجعيته السياسية، بما يضمن تجاوز الواقع الإشكالي الناشئ بشكل لائق وحضاري وبما يضمن سلامة المسيرة الفلسطينية أيضاً.



أبو مازن وهنية ..كلاهما مسلح بقواته في مواجهة الآخر بدلا من مواجهة هذه القوات مجتمعة إسرائيل !!



اقتتال فلسطيني فلسطيني !!



وضحايا فلسطينيون برصاص فلسطيني !!

١٦- لويس التاسع .. الغرور سر البلاء !!



أعلن لويس التاسع ملك فرنسا أنه سيقود غزوة صليبية هائلة؛ لاستعادة شرف الصليبيين الذي فقدوه في المنصورة وأنه سيعرف كيف يحقق أهدافه كاملة في الاستيلاء على مصر هكذا زعم لويس المغرور .

ومن أقواله المشهورة عندما أرسل رسالة لنجم الدين أيوب : (إنا نقتل العباد وندوس البلاد ونطهر الأرض من الفساد فإن قابلتنا بالقتال، أوجبت على نفسك النكال، ورميت رعيتك في أسر الوبال، ويكثر فيهم العويل ولا نرحم عزيزا ولا ذليلا) .

فرد عليه نجم الدين أيوب : (تهددنا بجيوشك وجندك وأبطالك وخيلك ورجالك فلا تعلم أننا نحن أرباب الحتوف وفضلات السيوف ما نزلنا على حصن إلا هدمناه ولا طغا علينا طاغ إلا دمرناه وإذا أتاك كتابي هذا فلتكن منه بالمرصاد على أول سورة النحل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ وآخر سورة (ص) ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾) .

ولكن ارتكب لويس التاسع غلطة عمره، عندما فكر في حملته الصليبية، ولم يتعظ من دروس تاريخ الحملات الصليبية السابق، و التي هزمت و طردت شر طردة، رغم أنها كانت جحافل عدة دول مجتمعة !

عقد الملك لويس مجلسًا عامًّا في باريس في خريف سنة ١٢٤٥ حضره كبار رجال مملكته، ورجال الكنيسة، وعدد كبير من أمراء فرنسا ونبلائها.. وفي هذا المؤتمر

أخذ العهود والمواثيق على الراغبين في الانخراط في الحملة، وبدأ بنفسه؛ فكان أول من أدرج نفسه في سجل الحرب الصليبية، وتتابع الأمراء في الاقتداء به.

كانت الاستعدادات تجري في فرنسا على قدم وساق لتجهيز الحملة الصليبية على عجل؛ فقد سرت الحمى بين الفرنسيين للسير في ركاب لويس، وتدفق المتطوعون من أنحاء فرنسا، وتزايدت أعدادهم يومًا بعد يوم.

ودبر الملك لويس المال اللازم لتجهيز الحملة وإمدادها بالمؤن والعتاد من الضرائب والتبرعات التي قدمها الأمراء والنبلاء وكبار التجار في أوروبا.

احتاجت الحملة الصليبية إلى أسطول قوي لنقل الجند والعتاد عبر البحر، وكانت البحرية الفرنسية لا تملك من السفن ما يكفي لنقل تلك الحملة، فاضطر لويس التاسع إلى استئجار عدد من السفن من جنوة ومرسيليا لحملته، بعدما رفضت البندقية تزويده بما يحتاج إليه من سفن؛ نظرًا للعلاقات الودية التي كانت تربطها بمصر والشام، وما قد يترتب على ذلك من اضطراب المصالح التجارية البندقية معهما.

واستعد لويس التاسع بتوفير المؤن والذخيرة للحملة بأن أرسل جماعة من رجاله قبل قيام الحملة بعامين إلى قبرص؛ لشراء ما تحتاج إليه الحملة، لتكون جاهزة عند مرورها بالجزيرة التي أعدت المكان الذي تلتقي فيه الجيوش الصليبية الذاهبة إلى غزو الشرق.

رحل الملك لويس التاسع من باريس في ١٢ أغسطس ١٢٤٨ بعد أن تأخر سيرها زهاء ثلاث سنوات اُستُغرقت في تجهيزها، وأبحر الفوج الأول من الحملة من ميناء "يجور" جنوبي فرنسا في الخامس والعشرين من الشهر نفسه؛ قاصدًا قبرص، ثم أبحر الفوج الثاني من ميناء "مرسيليا" ليلحق بالفوج الأول في قبرص.

مكثت حملة لويس التاسع في قبرص زهاء ثمانية أشهر منذ أن حلّت بها في ١٧ من سبتمبر ١٢٤٨ قبل تحركها، وفي أثناء هذه المدة استقر رأي لويس ومَنْ معه على

ضرورة الاستيلاء على مصر، لدورها الحيوي في ضرب الصليبيين في الشام، كما أن الاستيلاء على دمياط يعطيهم فرصة استغلالها للمساومة بالقدس، في حالة إذا ما عرض السلطان "الصالح أيوب" سلطان مصر شروط الهدنة والصلح.

وفي أثناء فترة إقامته استقبل سفارة مغولية أرسلها "جغطاي" أحد إيلجانات المغول، تعرض عليه المساهمة معه في انتزاع بيت المقدس وفلسطين من أيدي المصريين، ورغبته في التحالف معه ضد المسلمين، وقد رحب الملك الفرنسي بهذا العرض، وأرسل مع السفارة المغولية وفدًا فرنسيًّا للتفاوض في هذا الشأن، غير أن هذا العرض لم يخرج إلى حيز التنفيذ.

علم الصالح أيوب سلطان مصر بأخبار الحملة الصليبية وهو في بلاد الشام من الإمبراطور الألماني "فريدريك الثاني"، الذي كان على علم تام بكثير من تفاصيل مشروع الحملة، وكانت تربطه بسلطان مصر علاقات طيبة؛ فأرسل رسولاً من قِبَله، تنكَّر في زيّ تاجر ليحذر الملك الصالح.

تحرك الملك الصالح بسرعة على الرغم من مرضه، فغادر دمشق محمولا على الأكتاف في مِحَفَّة، ونزل بأشموم طناح التي تُسمى الآن (أشمون الرمان) بمركز دكرنس التابع لمحافظة الدقهلية بمصر، وذلك في ١٨ من مايو ١٢٤٩، وجعل من هذه البلدة الصغيرة معسكره الرئيسي، ومركز عملياته الحربية.

بدأ السلطان في الاستعداد لمواجهة العدو، فعمل على تحصين المدينة؛ لعلمه أنها كانت هدف الصليبيين في حملاتهم السابقة، وتزويدها بالمؤن والعتاد، وعَهِد إلى طائفة بني كنانة وهم قوم مشهورون بالشجاعة والإقدام بحماية المدينة والدفاع عنها، وأرسل إليها جيشًا بقيادة الأمير فخر الدين يوسف ابن الشيخ مقدم العساكر إلى البر الغربي لدمياط حتى يكون في مقابلة الصليبيين عند وصولهم إلى الشاطئ المصري، ليحول دون نزولهم إليه، فعسكر تجاه المدينة، وأصبح النيل بينه وبينها.

وصلت الحملة الصليبية إلى الشواطئ المصرية في صبيحة يوم الجمعة ٤ من يونيو ١٢٤٩ ، وألقت مراسيها، ونزلت إلى البر، وعلى رأسها الملك لويس التاسع، وهو يخوض في الماء رافعًا ترسه وسيفه فوق رأسه، وذلك في فجر اليوم التالي.

ووقعت مناوشات بين الحملة والمسلمين للحيلولة دون نزول الصليبيين إلى الساحل، لكنهم تمكنوا من النزول، ثم انسحب بعدها الأمير فخر الدين بجيشه، وعَبَر النيل إلى دمياط نفسها، ثم غادر دمياط إلى المعسكر السلطاني بأشموم طناح.

ولما رأى أهالي دمياط انسحاب الحامية العسكرية، زلزل الرعب قلوبهم، ففروا هاربين بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم، تاركين بيوتهم ومخازنهم مليئة بالأقوات والمحاصيل، بالإضافة إلى ما تركته الحامية الدمياطية من الأسلحة والمعدات الحربية الثقيلة.

وقد دهش الصليبيون حين رأوا أبواب المدينة مفتوحة وشوارعها خالية من الناس، فخشوا أن يكون في الأمر مكيدة، فتمهلوا في دخول المدينة، حتى أيقنوا خلوها من الناس، فدخلوها بغير قتال.

ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك، واشتعل الجهاد في نفوس المسلمين، وانتهى الأمر بهزيمة الحملة هزيمة مروعة.

وقد كان، الملك الصالح أيوب بدمشق حين وصلت الحملة إلى دمياط فلما علم بأخبارها عاد مسرعاً إلى مصر غير أن المنية عاجلته في طريق عودته، فأخفت زوجته "شجر الدر" خبر وفاته لحين عودة ابنه توران شاه من حصن (كيفا)، وقادت هي حركة المقاومة، ووافقت على الخطة التي وضعها الظاهر بيبرس وبناء على هذه الخط أخفى بيبرس القوات المصرية داخل المنصورة، أمر بمنع التجول وأن يلزم المنصوريون مساكنهم لا يخرجون منها إلا بإذن، كما أمر العساكر المصرية الأيوبية تظل في كمائنها حتى صدور الإشارة إليها.

ثم دخل الصليبيون بقيادة "روبرت ونت ارتوا" المنصورة ظهر ذلك اليوم من الناحية الشرقية فوجدوا مدينة خالية من المقاومة، وظن روبرت أن عسكر المنصورة وأهلها قد هربوا منها، بعد أن سمعوا ما حل بمعسكر جديلة (قرية قريبة من المنصورة في طريق دمياط كان الصليبيون قد استولوا عليها قبل ذلك بأيام) وقويت آماله في النصر القريب.

وانتشر الفرسان الصليبيون بخيولهم في الشوارع والأزقة والحارات تمهيداً لذهاب روبرت بنفسه إلى القصر السلطاني في أقصى الناحية القريبة من المنصورة للتسليم والاعتراف بالنصر الصليبي التام .

غير أن روبرت كان مخدوعاً، إذ لم يكد يقترب من القصر السلطاني حتى صدرت أوامر القائد (بيبرس البندقدارى) بيده حركة تطويقية متفق عليها فأباد الجنود المصريون ورجال المقاومة، أعدادا ضخمة من الخيالة الصليبية المنتشرة في الشوارع والأزقة والحارات، ثم أطبقوا على روبرت وفرقته عند باب القصر السلطاني من جميع الجهات وهرب روبرت كما هرب مئات من الصليبيين أملا في النجاة.

وهنا يتجلى الدور البطولى لأهل المنصورة الذين ساهموا في إبادة الصليبيين؛ إذ كانوا يستبسلون في قتالهم بكل ما تصل إليه أيديهم من أسلحة ونحوها، كما كانوا يطاردونهم أثناء هروبهم..

أما روبرت فقد لجأ إلى بيت قريب من القصر السلطاني، واعتصم به أملا في إيجاد وسيلة للفرار ... لكن أهل المنصورة لم يلبثوا ان اقتحموا هذا البيت، واخرجوا قائد الحملة (روبرت) قتيلاً.

وتذكر المراجع التاريخية أن قتلى الصليبين في معركة المنصورة هذه بلغ حوالي ألف قتيل، على حين أن مصادر أخرى تذكر أن قتلاهم زادت على ألف وخمسمائة قتيل. ..

بداية النهاية..

وصل الملك توران شاه، وتسلم قيادة الجيش العربي، وبدأ أعماله الحربية بالاستيلاء على جميع المراكب الفرنسية التي تحمل المؤن للمعتدين، وبذلك وعرقل خطوط إمدادهم، فاضطرهم إلى التقهقر بعد ان نفدت ذخيرتهم وعتادهم الحربي، وطاردتهم قوات المقاومة الشعبية، وأخذ الفدائيون العرب يغيرون على الجيش الصليبي أثناء انسحابه تجاه دمياط، ثم طوقوهم وسدوا عليهم طريق الانسحاب ودارت المعركة الفاصلة.

بلغ قتلى الصليبين في هذه المعركة - كما يذكر المؤرخون - ثلاثين ألفا، غطت جثثهم وجه الأرض وكان هذا اليوم عظه وعبرة لكل معتد أثيم.

عاقبة الباغي

دارت المعركة الفاصلة عند ميت النصارى (منية النصر) قرب شرمساح، وكانت تعرف هذه البلدة باسم منية أبى عبد الله وبدأت طلائع النصر تقترب، وعندما أيقن لويس التاسع ملك فرنسا ان لا أمل في النصر، فقد رأى فلول جيشه تفر، واستحر فيهم القتل أمام عينيه، عرض على (الطواشي رشيد الدين) والأمير (فخر الدين القيمرى) التسليم، وطلب الأمان لنفسه ولمن بقى معه من خاصة عساكره وحاشيته، فأجابه إلى الأمان الذي طلب.

ولكن بعض الفرنسيين أخذتهم العزة بالإثم، فلقوا ما يستحقونه من مصير مرير على أيدى الوطنيين.

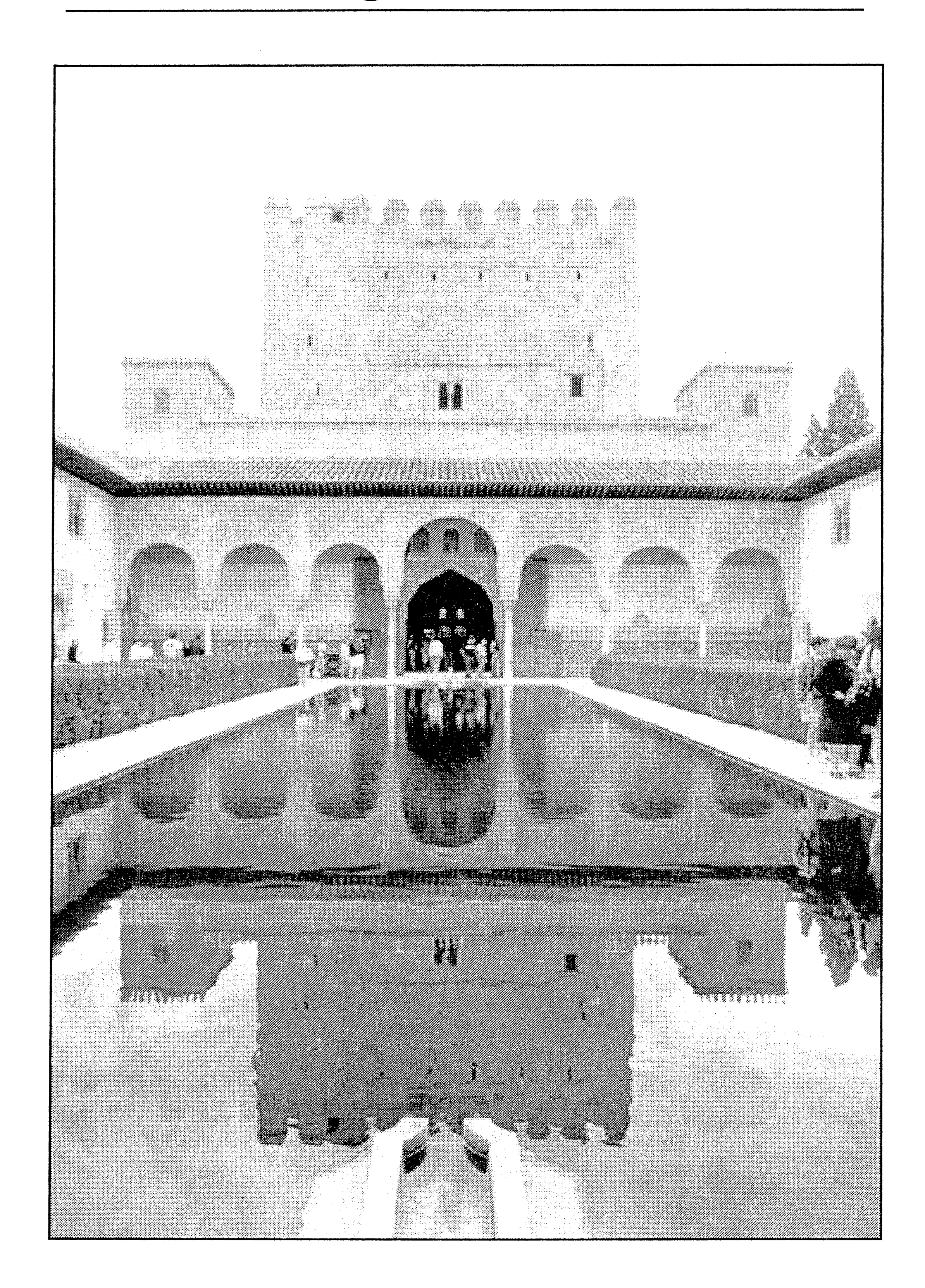
واستسلم لويس الحزين لنهايته الأليمة حيث أرسل أسيرا إلى دار (إبراهيم بن لقمان) قاضى المنصورة، وكاتب الإنشاء فبقى بها سجيناً في حراسة الطواشي "صبيح المعظمى" ينتظر ما يُفعل به.

وامتلأت الدور بالضباط الصليبين الأسرى، وبالقادة من الإنجليز، والفرنسيين، وأنشئ معكسر خارج المدينة لينزل به من بقى من جيش لويس من الأسرى والجرحى.

لقد اشترط أبناء الدقهلية المنصورون تسليم دمياط،، وجلاء الحملة الغادرة عن الإقليم قبل إطلاق سراح الملك الأسير أو غيره من كبار الأسرى، كما اشترطوا دفع فدية كبيرة للملك ولكبار ضباطه، ولم يكن أمام لويس إلا الإذعان لمشيئة المنتصر، فافتدى نفسه وبقية جنده بفدية كبيرة قدرت بعشرة ملايين من الفرنكات!

لقد اسر المصريون البسطاء لويس التاسع في دار ابن لقمان، وتركوه مقيداً في حراسة أحد العبيد، فالعرف العسكري يقضى بأن القواد والملوك عندما يؤسرون لا يقيدون بل يتركون في حراسة ضباط عظام، لقد كان لويس الحزين أسيرا في دار ابن لقمان مقيداً لا يحرسه إلا أحد العبيد مبالغة في إذلاله، والنيل من كبريائه وشعر لويس نفسه بمرارة هذا المصير فلقد ولدت الملكة مولوداً جديداً أثناء المعركة رأى نور الحياة، ونجم أبيه موشك على الأفول لقد سمى لويس وليده "تربستان" ومعنى هذه التسمية وليد الأحزان. ومنذ ذلك الوقت يطلق المؤرخون أحيانا على لويس التاسع اسم الملك الحزين.

١٧ - أبو عبد اللّٰه الأحمر .. ضياع مُلك ونهاية حُلم !!



يعتبر تاريخ دولة الإسلام بالأندلس من أطول و أخصب دول الإسلام عمراً وعبرة وأبلغها عظة وأكثرها دروساً وفوائد فقد امتدت دولة الإسلام بالأندلس قرابة الثمانية القرون . ومن الأخطاء التاريخية القاتلة التي ارتكبها المسلمون في التاريخ ولطالما ندموا وبكوا عليها طويلا تخليهم عن الأندلس، بسبب سماحهم للفتنة والفرقة والانقسام بأن تدب في صفوفهم، فيصبحوا جماعة هشة يسهل اختراقها والإجهاز عليها !!

يعتبر سقوط الأندلس نتيجة لما آل إليه حال العرب هناك من تشرذم و تطاحن بين ملوك الطوائف. فلم يقف الوضع إلى حد الانقسام بل تعداه إلى استعانة كل طائفة بالقوات الصليبية ضد الأخرى بغرض توسيع رقعتها .. وكانت هذه هى الخطيئة الكبرى التي ضاع معها كل شىء !!

لم يكن سقوط غرناطة حادثًا فجائيًّا بل جاء حصاد سنوات من الغفلة والتخاذل من جانب حكام المسلمين في الأندلس .

ومن المهم حتى نتعرف على هذه النكبة، أن نتابع مسيرة العرب في الأندلس من البداية للنهاية، و كيف سارت الأمور بهم حتى انتهت إلى هذه الكارثة .

يعتبر تاريخ دولة الإسلام بالأندلس من أطول و أخصب دول الإسلام عمراً وعبرة وأبلغها عظة وأكثرها دروساً وفوائد فقد امتدت دولة الإسلام بالأندلس قرابة الثمانية القرون مرت خلالها الأندلس بعدة مراحل وأطوار بين قوة وضعف

ووحدة وتفرق ، ولم يكن سقوط الأندلس بالشيء الذي حدث فجأة لطول عمر الدولة الأندلسية ولتقلبها من حال إلى حال ونستطيع أن نقسم حياة دولة الإسلام بالأندلس إلى عشر مراحل كل مرحلة كان لها الأسباب الخاصة بها والتي امتد أثرها طوال حياة الدولة المسلمة وكان لكل مرحلة سماتها وخصائصها والمحصلة النهائية لكل هذه المراحل سقوط الأندلس .

المرحلة الأولى : مرحلة الفتح من سنة ٩٢هـ حتى ١٣٨هـ :

وفيها فتحت الأندلس سنة ٩٢هـ على يد أبطال الفتح الأوائل موسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد العزيز بن موسى بعد معارك هائلة مع الأسبان وأصبحت الأندلس ولاية إسلامية تابعة للدولة الأموية وقد دخلت قبائل عربية كبيرة مع جيش الفتح وقد تعاقب في هذه الفترة الزمنية القصيرة على ولاية الأندلس ثلاثة وعشرون والياً أي بمعدل سنتين للوالي مما يوضح أنها كانت فترة توتر وعدم استقرار وقد اتصفت تلك المرحلة بعدة أمور منها :-

١- استئثار العرب بالمناصب القيادية مما جعل قبائل البربر والتي كانت تمثل الجزء الأكبر من جيوش الفتح تتذمر من هذا الوضع خاصة وأنهم قد شعروا بنوع من التحيز ضدهم والعصبية للعرب فيما بينهم .

٢- شيوع فكر الخوارج الذين فروا من المشرق إلى المغرب تحت وطأة ضربات الدولة الأموية وقادتها الكبار أمثال المهلب بن أبي صُفْرَة وقتيبة بن مسلم وكان دخول هؤلاء الخوارج لبلاد المغرب سبباً لشيوع الاضطرابات خاصة وأن هذا الفكر راج بين قبائل البربر وجعلهم يثورون تحت قيادة رجل بربري اسمه ميسرة ، واضطرابات بربر المغرب جعلت بربر الأندلس يثورون هم الآخرون وعمت الفتنة بلاد الأندلس واقتتل المسلمون فيما بينهم وهذا القتال أدى لأن ينسحب المسلمون من شمال الأندلس عند حدود نهر تاجة وتركوا كل هذه الأراضي غنيمة باردة للصليبيين .

٣- اشتعلت العصبية القبلية الجاهلية بين القيسية عرب الشام والمضرية عرب الحجاز واليمن بسبب الأحقاد القديمة وثارات يوم الحرة سنة ٦٣هـ أيام يزيد ابن معاوية عندما هجمت جيوش الشام على المدينة وقتلت كثيراً من أهلها ورغم المحاولات الكثيرة لرأب هذا الصدع إلا أنه كان يزداد يوماً بعد الآخر لغلبة الهوى على العقول خاصة القادة وضاعت كثير من أراضي الأندلس الشمالية لانشغال المسلمين بأنفسهم واقتتالهم فيما بينهم .

المرحلة الثانية : قيام الدولة الأموية '''عصر الازدهار'' ١٣٨هـ - ٢٣٨هـ:

وفي هذه المرحلة توحدت الأندلس تحت قيادة واحدة وأصبح لها قائد واحد هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالداخل أو صقر قريش كما لقبه بذلك أبو جعفر المنصور ، وقد استطاع عبد الرحمن الداخل أن يؤسس الدولة الأموية من جديد ببلاد الأندلس وقد فاق عبد الرحمن الداخل في تاريخ الإسلام كل مؤسسي الدول فقد دخل الأندلس طريداً غريباً وحيداً فتمكن بصبره وثباته وعزيمته وبإذن الله عز وجل أن يضع لبنة أعظم دول الإسلام مجداً وقد قام الداخل بالعديد من الأعمال الكبيرة من أجل الحفاظ على دولة الإسلام الوليدة منها :-

١- القضاء على العصبيات القبلية بين القيسية والمضرية وقمع ثوراتهم المتكررة .

٢- التصدي لمحاولات العباسيين الرامية لاستعادة الأندلس مرة أخرى .

٣- قمع محاولات الصليبيين من الفرنسيين والأسبان للهجوم على الأندلس خاصة ما كان من شارلمان ملك فرنسا الذي وجد من بعض خونة المسلمين أمثال سليمان بن يقظان الكلبي والي برشلونة الفرصة السانحة للهجوم على المسلمين .

٤- بدأ عبد الرحمن من سنة ١٧٠ هـ في مرحلة الاستقرار و البناء والازدهار فأسس مسجد قرطبة الذي مازال قائماً حتى الآن ولكنه قد تم تحويله إلى كنيسة .

- وقد تبع عبد الرحمن الداخل على نهجه ولده هشام الذي تولى من سنة ١٧٣هـ حتى ١٨٠هـ وكان رجلاً صالحاً فقيهاً وفي عهده انتشر مذهب الإمام مالك بالأندلس كلها وكان الجهاد والديانة هما طابع عهد هشام بن عبد الرحمن .

- تبع هشام بن عبد الرحمن ولده الحكم وكان يحب حياة الترف والرياضة والصيد وجعل من حوله حاشية متكبرة ومتعالية جعلته قاسياً عنيفاً مهملاً لشؤون الرعية لذلك قامت عليه عدة ثورات أشهرها ثورة الربض في ١٣رمضان ٢٠٢هـ وكان يقودها الفقهاء وفيهم يحيى بن يحيى الليثي وعاملهم الحكم بمنتهى القسوة والنذالة وشغلت هذه الفتن المسلمين عن عدوهم الأصلي وهم الصليبيون الذين حققوا عدة انتصارات واستولوا على ثغر برشلونة الكبير الذي أصبح شوكة في جانب الدولة المسلمة بالأندلس بعد ذلك .

- تبع الحكم ولده عبد الرحمن وفي بداية عهده بدأ الترف والدعة والتنعم يتغلغل إلى أوساط الشعب الأندلسي لزيادة الرخاء وهذا الترف عادة مفسدة للشعوب موجب للتفرق والاختلاف لتفرغ الناس بعد أن أمنوا على مصادر دخلهم ، كما أن هذا الترف جعل النصارى أهل ذمة المسلمين بالأندلس يثورون ضد المسلمين فيما عرفت بثورة المستعربين هذا رغم أن عصر عبد الرحمن بن الحكم كان بالخصوص عهد رخاء ونعيم ولم تعرف عن الرجل أي عصبية زائدة أو تحيز ضد النصارى مما يوضح حقيقة نفوس هؤلاء النصارى .

المرحلة الثالثة : عصر التدهور الأول من سنة ٢٣٨هـ حتى ٣٠٠هـ :

وقد تعاقب على حكم الأندلس ثلاثة من الأمراء وهم محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨هـ حتى ٢٧٣هـ والمنذر بن محمد ٢٧٣ – ٢٧٥هـ وعبد الله بن محمد ٢٧٥– ٣٠٠ هـ .

واتسم هذا العهد بكثرة الفتن والاضطرابات وكثرة الخارجين عن السلطة المركزية وكون العرب دويلات داخل الدولة الأم أهمها دولة بني حجاج في إشبيليه

وكونها أبناء قبيلة لخم اليمنية وقد بنى إبراهيم بن حجاج هذه الدولة على منوال الدولة الأموية من قصر إمارة وبلاط وحاشية وحراسة وجيش ليسامي بذلك الأمويين .

وقام البربر بخلع طاعة أمراء بني أمية واستقلوا بالولايات الغربية وجنوب البرتغال ومن أشهر القبائل البربرية التي كونت دولاً كبيرة ذي النون وكان عميد هذه الأسرة موسى رجلاً شريراً مفسداً فرق صف المسلمين وأحدث فتنة عظيمة بالأندلس .

ثم إن هذه الفتن الداخلية مهدت السبيل لقيام ثورة ضخمة بالأندلس عرفت بثورة المولدين وهم الذين ولدوا في دولة الإسلام بالأندلس ولكن كانت أصولهم أسبانية نصرانية وهؤلاء وإن كانوا قد نشأوا وترعرعوا بديار الإسلام ودانوا به إلا أن أورمتهم القديمة ظلت ملأ قلوبهم وظل حلم أسبانيا القديمة يراودهم حتى أتتهم الفرصة فثاروا ثورة عنيفة يقودهم رجل شديد البأس عظيم الكفر والحقد اسمه عمر بن حفصون وكان قد ارتد عن الإسلام وقاد جموع المولدين طيلة ثلاثين عاماً يحارب المسلمين ويمزق في دولة بني أمية الذي انحصر في قرطبة وأحوازها فقط.

المرحلة الرابعة : عودة القوة وإعلان الخلافة ٣٠٠ هـ حتى ٣٨٦هـ :

وهذه المرحلة حكم فيها رجلان لا غير أولهما عبد الرحمن الناصر وهو أقوى وأفضل من حكم الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل وظل يحكم طيلة نصف قرن من الزمان أعاد خلالها الهيبة والقوة لدولة الإسلام بالأندلس وقضى على الأخطار الداخلية المتمثلة في الإمارات المستقلة وحكامها الطامعين فأعاد الجميع للدولة الأم ثم قضى على الثائر الشرس ابن حفصون بعد سلسلة معارك طاحنة واستخدم أسلوب الترهيب والترغيب للقضاء على سلطان الأسر العربية القديمة والعصبيات القبلية .

أما الخطر الخارجي والمتمثل في العدوان الصليبي القادم من الشمال فقد أبدى الناصر قدرة فائقة في التصدي لكل المحاولات التوسعية من جانب الأسبان وظل يواجههم من سنة ٣٠٥هـ حتى سنة ٣٣٩هـ حتى دان له الجميع بالتحالف تارة وبالإجبار تارة أخرى.

وكان عبد الرحمن الناصر هو أول من أعلن نفسه خليفة شرعيًّا من أمراء الأندلس وكان الذي دفعه لذلك ظهور الدولة العبيدية الفاطمية بالمغرب وتلقب حكامها بالخلافة وهم يطمعون في الاستيلاء على العالم الإسلامي بأسره بما في ذلك الأندلس وكانت الخلافة العباسية وقتها تمر بحالة صراع على السلطة وضعف شديد بسبب تسلط الأتراك عليها ومن أجل ذلك أعلن عبد الرحمن الناصر خليفة للمسلمين في رمضان سنة ٣١٦هـ ، ومن أبرز أعمال الناصر الحضارية والعمرانية بناؤه لمدينة الزهراء سنة ٣٢٥هـ .

تولى الحَكم بن عبد الرحمن بعد أبيه وتلقب بالمستنصر وكان محباً للعلم والعلماء وورث دولة قوية ثابتة الأركان من أيام أبيه فتفرغ للعلم وقراءة الكتب وحرص على شرائها من شتى بقاع الأرض وكان يرسل للعلماء من كل الأمصار يستقدمهم بقرطبة التي تحولت لمنارة وجامعة عالمية من كثرة من يفد إليها من علماء وامتلك الحكم مكتبة ضخمة جداً تقدر بأربعمائة ألف مجلد وقد قرأ الحكم أهمها .

المرحلة الخامسة : عصر الدولة العامرية ٣٦٦هـ - ٣٩٩هـ العصر الذهبي:

بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن تولى الأمر بعده ولده الوحيد هشام الملقب بالمؤيد وكان حدثاً صغيراً لا يصلح لهذا المنصب مما جعل الطامعين والثائرين الذين خنست أطماعهم أيام الناصر والمستنصر يبدأون عهد المؤيد بمحاولة انقلاب عليه وخلعه وهذا يظهر على ساحة الأحداث شخصية من أوساط الشعب الأندلسي وهو محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور والذي يعتبر بحق من أعظم

الشخصيات الأندلسية على الإطلاق وكان ظهوره رحمة من الله عز وجل وإنقاذاً منه سبحانه وتعالى لأمة الإسلام بالأندلس **وقام بالعديد من الأعمال الجليلة لنصرة دولة الإسلام منها :-**

١- إفشاله محاولة الانقلاب على الخليفة الصبي المؤيد وتوليه زمام الأمور بعدما رأى عجز المؤيد عن الاضطلاع بأعباء هذا المنصب الخطير فتولى المنصور أمر الوزارة .

٢- قضى على الفساد الإداري الموجود بدواوين الحكم وعزل الوزراء المشكوك في نزاهتهم وقضى على مظاهر الانحراف والفسق التي بدأت تستشري بالدولة .

٣- أعاد تنظيم الجيش على أدق صورة وبكيفية تقضي على العصبية القبلية التي مازالت راسخة في الصدور رغم المحاولات المستمرة على مر العصور لسحقها.

٤- ومن أعظم أعمال المنصور بن أبي عامر حملاته الجهادية والتي بلغت اثنتين وخمسين معركة لم يهزم فيها قط واتبع سياسة الهجوم الكاسح وعدم الهوادة أو المسالمة فكسر بذلك شوكة صليبيي أسبانيا لفترة طويلة استمرت نصف قرن من الزمان .

وأحيت الحمية الإسلامية في قلوب الأندلسيين الذين دب الترف واللين إليهم وبلغت الأندلس في عهد المنصور بن أبى عامر أوج قوتها وكان عهده بحق هو العصر والعهد الذهبي للأندلس .

وبوفاته ذهبت سعود الأندلس ووقعت مرة أخرى في شرك العصبيات المقيتة التي كانت السبب الأول لانهيار الأندلس وتشرذمت الدولة الأم لعدة دويلات صغيرة يقود كل دويلة متغلب أو طامع لا يبالي إلا بمصالح نفسه وعائلته وهذا مهد السبيل لمرحلة هي الأسوأ والأخطر في تاريخ الأندلس .

المرحلة السادسة : سقوط الخلافة الأموية ٣٩٩هـ - ٤٢٢هـ :

خلال تلك الفترة العصيبة تولى فيها حكم الأندلس عدد من الخلفاء الأمويين يزيد عددهم على عدد كل من تولى الحكم منذ قيام الأندلس لوقتها وضاعت هيبة الخلافة وانقسمت البلاد مرة أخرى وبرزت العصبيات والقبليات المقيتة أكثر مما سبق وظهرت لأول مرة فكرة الاستعانة بنصارى أسبانيا الذين وجدوا في ذلك فرصة ذهبية في النيل من المسلمين ، وبموت المعتمد بالله سنة ٤٢٢هـ أعلن وزيره أبو محمد بن جهور انتهاء وسقوط الخلافة الأموية لعدم وجود من يستحقها وأنه سيحكم الدولة جماعة من الوزراء على نظام شبه جمهوري ، وبانتهاء هذه الفترة انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة واستقل كل أمير بمقاطعته وأعلن نفسه ملكاً عليها ، ودخلت الأندلس النفق المظلم الذي لم تخرج منه بعدها أبداً .

المرحلة السابعة : عصر ملوك الطوائف ٤٢٢هـ - ٤٨٣هـ :

لم تكد الخلافة الأموية تسقط حتى انفرط عقد الدولة الأم وانقسمت لدويلات صغيرة وتقاسم العرب والبربر والصقالبة أوصال الأندلس وقد حكم تلك الفترة العصيبة نحو عشرين أسرة مستقلة ومن أشهر ملوك الطوائف ما يلي :-

١- دولة بني جهور حكمت قرطبة وأهوازها .

٢- دولة بني عباد في إشبيليه .

٣- دولة بني الأفطس في بطليوس .

٤- دولة بني النون في طليطلة .

٥- دولة بني حمود في مالقة والجزيرة .

٦- دولة بني هود في سرقسطة .

٧- دولة بني سناد في غرناطة .

٨- دولة الفتيان الصقالبة في ناحية الشرق و مرسية / ألمرية / دانية / بلنسية، ولقد اتسم هذا العصر بعدة صفات أدت في جملتها إلى انحراف وجرح غائر في جسد الأمة الأندلسية لم يندمل قط حتى بعد السقوط .

من هذه السمات :-

١- حالة الترف الشديد والتنعم المفسد الذي ضرب في كل طبقات الشعب الأندلسي من كبيرهم إلى صغيرهم من غنيهم إلى فقيرهم وما استتبع ذلك من ضعف القوى الأندلسية حتى صار رجال الأندلس أنعم من الكواعب الغواني وأصبح جل هم الرجال والنساء إنشاد الأشعار والغناء للأسحار والسعي وراء الأبكار .

٢- اقتتال الدويلات فيما بينها وقيام المعارك الطاحنة بين المسلمين بعضهم بعضاً من أجل أطماع شخصية ومكاسب مادية لا تساوى عند الله عز وجل بعوضة.

٣- شيوع المنكرات والمجاهرة بأنواع الفسوق وانتشار عادات مذمومة مثل شرب الخمر وظهور نساء الطبقة الراقية سافرات الوجوه بالطرقات والسرقة التي أخذت شكل العصابات المنظمة .

٤- التوسع في مسألة الاستعانة بنصارى أسبانيا في شمال الأندلس وذلك بسبب كثرة الاقتتال الداخلي بين المسلمين وكل فريق من المتنافسين يستعين بإمارة صليبية بعد التنازل عن بعض أملاكه وهي في الواقع أملاك المسلمين كلهم للصليبيين مع دفع أموال طائلة وكل ذلك من أجل أن يهزم أخاه المسلم .

لقد كان ملوك الطوائف ملوكاً ضعافاً في كل شيء ضعافاً في دينهم وفي وطنيتهم غلبت عليهم الأثرة والأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود ونسوا في غمارها دينهم ووطنهم بل نسوا حتى الكرامة الشخصية واستساغوا لأنفسهم أن يترامو على أعتاب ملوك النصارى لا لشيء إلا لهوى من اقتطاع بلد أو حصن من جاره المسلم، إضافة أنهم كانوا مع رعيتهم طغاة مستبدون في منتهى القسوة مع الخسف بالمغارم والضرائب .

ولنترك الإمام ابن حزم الأندلسي وقد عاصر هذا العهد ورأى ما كان عليه ملوك الطوائف فكتب بقلمه اللاذع يقول : "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه" وقد استجاب الله عز وجل لدعوة ابن حزم الأندلسي فسلط عليهم يوسف بن تاشفين كما سنرى .

المرحلة الثامنة : عصر المرابطين ٤٨٤ – ٥٣٩هـ :

أظهرت الحالة المتردية بالغة السوء التي وصلت إليها الأندلس ومدى الفساد المستشري في أوصال الشعب الأندلسي خلال حكم ملوك الطوائف الفاسد أن إنقاذ الأندلس لن يأتي من أهلها خاصة من هذا الجيل المتميع المستهتر بأحكام الدين العاري من كل فضيلة وجاء سقوط مدينة طليطلة العريقة كصاعقة مدوية للشعب الأندلسي كله حكاماً ومحكومين فلقد استولى ملك قشتالة الصليبي ألفونسو السادس على طليطلة في ١ صفر ٤٧٨هـ في ظل تخاذل وجبن وإحجام ملوك الطوائف عن مواجهته مما مهد السبيل للاستعانة بالمسلمين من الناحية الأخرى للبحر .

في نفس الفترة التي كانت تشهد فيها الأندلس أسوأ مراحلها وتحيا أفسد عصورها نشأت ببلاد المغرب دولة جديدة من قبائل البربر عرفت باسم المرابطين ، وكانت كأي دولة جديدة في بدايتها قوية فتية لم تتلوث بعد بأنواع الترف والدعة والجور

المفضي دائماً لهلاك الدول وكان أصل فكرة تجميع وقيام هذه الدولة الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام وكان يقودهم رجل توافرت فيه كل مقومات القائد الصالح وهو يوسف بن تاشفين وكانت الأنظار قد توجهت للمرابطين عند سقوط طليطلة واضطر ملوك الطوائف تحت ضغط شعوبهم وخوفاً من انقضاض الصليبيين عليهم لأن يراسلوا يوسف بن تاشفين ليعبر بجيوشه البحر لإنقاذ الأندلس ، وبالفعل عبر يوسف بن تاشفين بجيوشه الكبيرة ومعظمها من البربر وحقق انتصاراً هائلاً على الصليبيين في معركة الزلاقة ١٣رجب وهي المعركة التي أجلت سقوط الأندلس أربعة قرون .

لم يكن في نية يوسف بن تاشفين البقاء بالأندلس وبالفعل كر راجعاً إلى المغرب بعد أن حقق الانتصار المدوي على الصليبيين بالزلاقة ولكن بعدما تكشفت له حقيقة ملوك الطوائف ومدى انحرافهم وفسادهم وتميعهم الديني الشديد إضافة للاستغاثات الكثيرة التي جاءت من المسلمين بالأندلس للمرابطين بإنقاذهم من عدوان الصليبيين وطغيان ملوك الطوائف وتلك الأمور شجعت القائد العظيم يوسف بن تاشفين لأن يعبر إلى الأندلس ويزيل حكم ملوك الطوائف ويوحد الأندلس من جديد تحت حكم المرابطين .

خلف يوسف بن تاشفين ولده على وكان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً فاشتغل بالعبادة من صيام النهار وقيام الليل عن شؤون الحكم مما شجع الطامعين من ولاة الأندلس القدامى منذ أيام ملوك الطوائف لأن يتسلطوا مرة أخرى على الأمور وبدأت المنكرات في الظهور علانية مرة أخرى وجهر الفساق بفسقهم واختلف القادة فيما بينهم وكل ذلك يجرى وعلى بن يوسف منقطع في عبادته وتبتله وهذا مهد السبيل لقيام ثورة داخلية ببلاد المغرب يقودها رجل ادعى أنه المهدي المنتظر اسمه محمد بن تومرت فكثر أتباعه وتضخمت حركته حتى أسقط في النهاية الدولة المرابطية بالمغرب وكان من الطبيعي جدّاً أن تسقط معها الدولة بالأندلس .

المرحلة التاسعة : عصر الموحدين ٥٣٩ - ٦٢٠هـ :

الموحدون هم أتباع حركة محمد بن تومرت الذي ادعى المهدية والذين استطاعوا إسقاط دولة المرابطين بعدما دب الضعف في جسدها الكبير ، وقد سموا أنفسهم بالموحدين لاعتقادهم أنهم هم المؤمنون حقًّا الذي يوحدون الله عز وجل التوحيد الصحيح وأن ما سواهم هو مشبه وضال ومبتدع وعقيدتهم هي خليط من الاعتزال والجهمية ونفي الصفات مع فشو البدع المنكرة عندهم لذلك فقد كانوا أضل الناس في باب العقائد ولكنهم ركبوا أسباب النجاح والتمكين والقوة فكان لهم ما سعوا له لحكمة يعلمها الله عز وجل وحده .

لم يكن أهل الأندلس وهم على عقيدة السلف الصالح ليتقبلوا هذه العقيدة المخترعة بسهولة فمكث الموحدون معظم وقتهم بالأندلس في قتال أتباع المرابطين وإرغام المخالفين لهم على قبول عقيدتهم المخترعة ولكنهم مع ذلك انتصروا على الصليبيين في معركة الآراك التي أعادت للأذهان ذكرى الزلاقة وذلك سنة ٥٩١هـ .

ولكن أصحاب العقيدة الفاسدة مهما علت رايتهم وقويت شوكتهم فإن زوالهم سريع وهلاكهم قريب لذلك انتصر الصليبيون عليهم في معركة كانت قاصمة الظهر لهم وهي معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ وانهارت قواعد الموحدين الواحدة تلو الأخرى سريعاً وانفرط العقد بالمغرب والأندلس واقتتل أمراء الدولة فيما بينهم واستعانوا بالصليبيين على بعضهم البعض حتى بلغ الحال ببعضهم لأن يرتد عن الإسلام ويتنصر من أجل الدنيا الفانية .

المرحلة العاشرة : دولة بني الأحمر "مملكة غرناطة" ٦٢٠ - ٨٩٧هـ :

بعد الانهيار المروع لسلطان الموحدين بالأندلس سنة ٦٢٠هـ أخذ الصليبيون في الاستيلاء على قواعد الأندلس الكبيرة ومدنها العريقة الواحدة تلو الأخرى إشبيليه سنة ٦٤٦هـ / بطليوس ٦٢٦هـ / بلنسية ٦٣٦هـ / بياسة ٦٢٥هـ / جيان ٦٤٤هـ /

قلعة جابر ٦٤٥هـ / شاطبة ٦٤٧هـ / قرطبة ٦٣٣هـ / قرطاجنة ٦٤٠هـ / مرسية ٦٤١هـ / ميورقة ٦٣٠هـ وفقدت دولة الإسلام بالأندلس معظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عاماً فقط في وابل مروع من الفتن والملاحم .

بعد هذا الانفراط المروع لعقد الدولة انحازت دولة الإسلام في الأندلس إلى الجنوب وتحديداً في مملكة غرناطة وفكر عدد من زعماء المسلمين في كيفية تثبيت الوجود الإسلامي بالأندلس والمنحصر في مملكة غرناطة وبالفعل نجحوا في ذلك واستمرت مملكة غرناطة قائمة ومتحدية للضغوط الأسبانية المتعاقبة ويرجع صمود مملكة غرناطة لهذه الفترة الطويلة من الزمان.

لعدة عوامل منها :-

١- وجود قيادة قوية ومحكمة من ملوك بني الأحمر وكان أولهم محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر ويرجع أصله إلى الأنصار وبالتحديد للصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان محمد بن يوسف أول من أنشأ دولة غرناطة وقد استمر الملك في سلالة بني الأحمر حتى سقوط غرناطة وكان الرعيل الأول منهم على مستوى المسئولية ووصلت لأوج قوتها حتى عهد محمد الخامس سنة ٧٦٣هـ وبعد موته لم يكن خلفاؤه على نفس المستوى فبدأت المملكة في الانحدار .

٢- التجاء كثير من المسلمين في الأندلس إلى مملكة غرناطة والتي كانت تمثل دار الإسلام وقتها بعد أن سقطت مدنهم الأصلية في يد الصليبيين وقد انحاز هؤلاء لغرناطة وهم موتورون حانقون على الصليبيين وكان منهم العلماء والأدباء والصناع والزراع وأرباب المهن والحرف فعمرت بهم غرناطة عمراناً حافلاً فلم يبق شبر من أرضها إلا استغل أحسن استغلال حتى وصل عدد المسلمين بتلك المملكة ستة ملايين مسلم وهو عدد ضخم.

٣- مساعدة ملوك دول المغرب العربي لإخوانهم الأندلسيين وخاصة ملوك الحفصيين وملوك بني مرين وكلاهما قد قام بوراثة دولة الموحدين وكان ملوك بني مرين خصوصاً يكثرون من إرسال المساعدات الحربية والجيوش لنصرة مسلمي الأندلس كلما ضغط الصليبيون على غرناطة .

٤- حالة الصراعات الداخلية والتفكك الذي ساد ممالك أسبانيا النصرانية في هذه الفترة من الزمان حيث سادت الانقسامات داخل مملكة قشتالة أكبر ممالك أسبانيا النصرانية ودخلت في صراعات دموية مع مملكة ليون وأراجون ، هذه الصراعات قد ساعدت مملكة غرناطة على تثبيت أركانها وتقوية قواعدها والتفرغ للعمران والبناء وربما التوسع في بعض الأحيان .

استمر وضع مملكة غرناطة ثابتاً ومستقراً لفترة طويلة حتى بدأت أسباب القوة والاستمرار والتي ساعدت على قيام المملكة وقوتها في الزوال شيئاً فشيئاً فترك ملوك بني مرين المغاربة نصرة مسلمي الأندلس لانشغالهم بالحروب الداخلية مع الخارجين عليهم بالمغرب وبدأ الصليبيون في توحيد رايتهم واجتمعت مملكة ليون وقشتالة تحت راية واحدة بعد أن تزوج فرديناند ملك ليون وأراجون إيزابيلا ملكة قشتالة وأعلنوا قيام تحالف قوي ضد المسلمين ، وفي نفس الفترة لم يكن ملوك بني الأحمر على مستوى خطورة المرحلة فانشغلوا بالصراعات الداخلية على الملك حتى إن معظمهم قد قتل في الصراع على الملك والأدهى من ذلك أن الترف واللين والتنعم قد استشرى في الشعب الغرناطي وتفرغوا لسفاسف الأمور وانتشر الفسق مرة أخرى وكل ما سبق كان ينذر بقرب السقوط .

أفاق المسلمون من غفلتهم المؤلمة على جيوش الصليبيين بقيادة فرديناند وإيزابيلا تملأ عليهم الوديان والسهول وخاض المسلمون معارك طاحنة هائلة دفاعاً عن وجودهم وكيانهم الأخير ولكن هيهات هيهات لقوم قد فقدوا كل أسباب الانتصار وتقلدوا كل عوامل الهزيمة أن ينتصروا وبالفعل سقطت غرناطة في ٢١محرم سنة ٨٩٧هـ كآخر معقل للإسلام بالأندلس وعقد آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله معاهدة

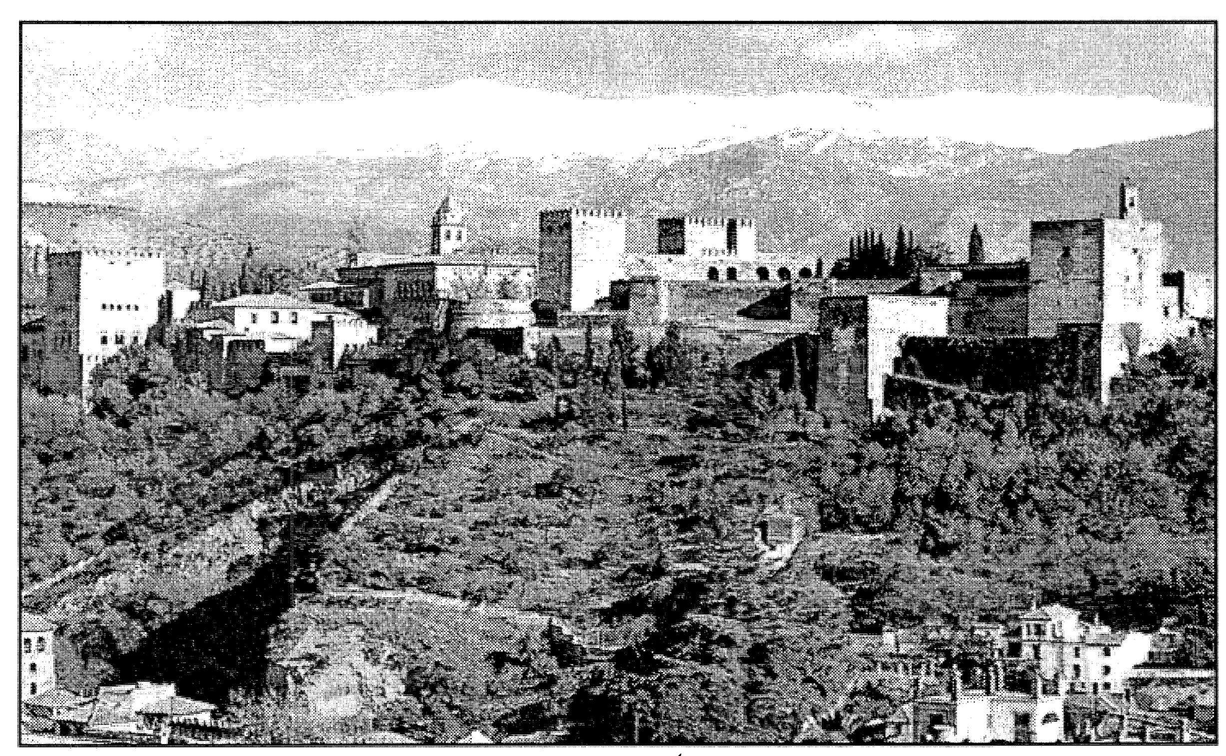
التسليم مع الصليبيين وهي مكونة من سبع وستين شرطاً منها تأمين المسلمين على دينهم وأموالهم وعقيدتهم وحرياتهم مع العلم أنه لم يتم تنفيذ شيء من هذه المعاهدة وكان آخر العهد بأبي عبد الله أن وقف بسفح جبل الريحان حيث سلم فرديناند وإيزابيلا مفاتيح المدينة يبكي على ملكه الضائع هنا قالت له أمه عائشة الحرة المقولة الشهيرة: "إبك مثل النساء مُلكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال ".

بقي أن نقول إن مأساة الأندلس، تتكرر في حياتنا وفي واقع المسلمين، يوما بعد يوم مرت مآس. مأساة المسلمين في فلسطين، وفى أفغانستان، وفي إريتريا، وفي الفلبين، وفى العراق و وفي لبنان أيضا، وهلم جرا، ما دام هناك تشرذم وانقسام!!

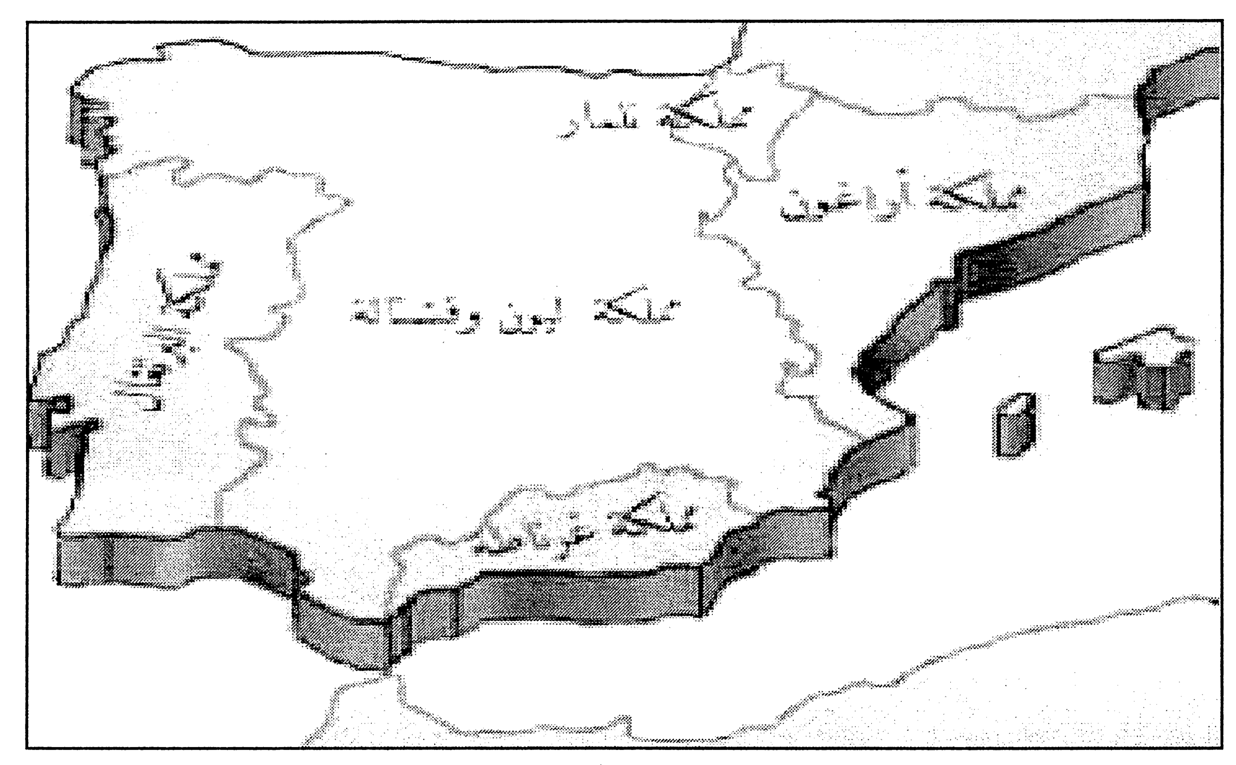
وفيما يلي قصيدة " أبو البقاء الرندي " في رثاء الأندلس وهي من أجمل القصائد التي قيلت في رثاء الأندلس :

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ ... فلا يغر بطيب العيش إنسانَ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ ... من سرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شانُ
يمزق الدهر حتمًا كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ
أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلك ... كما حكى عن خيال الطيفِ وسنانُ
دار الزمان على دارا وقاتله ... وأم كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصعب لم يسهل له سببٌ ... يومًا ولا مَلك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزانُ
وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالإسلام سلوانُ
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له ... هوى له أُحدٌ وانهد نهلانُ

أصابها العينُ في الإسلام فارتزأتْ — حتى خلت منه أقطارٌ وبلدانُ
فاسأل بلنسيةَ ما شأنُ مرسيةٍ — وأين شاطبةٌ أمْ أين جيَّانُ
وأين قرطبةٌ دارُ العلوم فكم — من عالم قد سما فيها له شانُ
وأين حمصُ وما تحويه من نزهٍ — ونهرها العذب فياض وملآنُ
قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما — عسى البقاء إذا لم تبقَ أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف — كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
حيث المساجد قد أضحتْ كنائسَ ما — فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ — حتى المنابرُ ترثى وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ — إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظانُ
وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ — أبعد حمصَ تَغُرُّ المرءَ أوطانُ
تلك المصيبةُ أنْسَتْ ما تقدَّمها — وما لها معْ طولِ الدهرِ نسيانُ
يا راكبين عتاقَ الخيلِ ضامرةً — كأنها في مجالِ السبقِ عقبانُ
وحاملين سيوفَ الهندِ مرهفةً — كأنها في ظلام النقعِ نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ — لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ — فقد سرى بحديثِ القوم ركبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهمْ — قتلى وأسرى فما يهتزَ إنسان
لماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ — وأنتمْ يا عباد الله إخوانُ
ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هممٌ — أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلةِ قوم بعدَ عزِّهمُ — أحال حالهمْ جورٌ وطغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم — واليومَ هم في بلاد الضدِّ عبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهمْ — عليهمُ من ثيابِ الذلِّ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ — لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ
يا رُبَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما — كما تفرقَ أرواحٌ وأبدانُ
وطفلة مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت — كأنها من حسنها ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً — والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ — إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

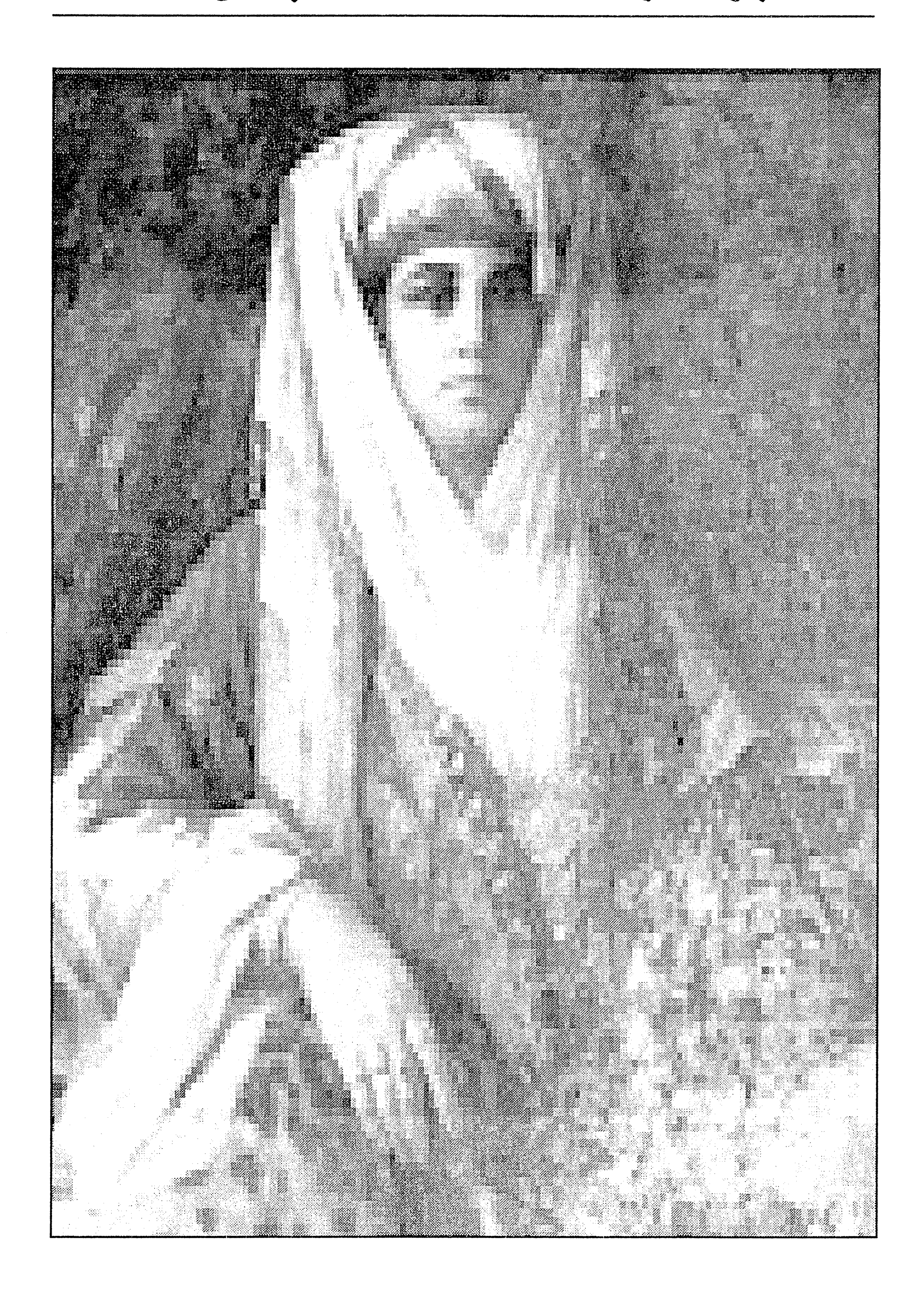


غرناطة الجميلة قبل سقوطها، إيذانًا بنهاية حلم رائع للمسلمين انتهى بكابوس !!



مملكة غرناطة التي شهدت نهاية سلالة بني الأحمر و نهاية العهد الإسلامي في الأندلس !!

١٨-شجرة الدر .. العاطفة عندما تتغلب على الحكمة !!



أحيانًا تبتسم الدنيا لرجل أو امرأة فينتقل أو تنتقل من حال إلى حال .. و ربما تتسع ابتسامتها أكثر فترتفع به أكثر و أكثر، فيصل إلى قمة السلطة في بلاده على نحو غير متوقع، بالنظر إلى بداياته أو بداياتها المتواضعة .

وربما تكشف الأيام عن موهبة سياسية كانت خفية لديه أو لديها، فيبلي أو تبلي في الحكم بلاء حسنا، فيُشْهَد له أو لها بالكفاءة و الحكمة و الحنكة .

ولكن ورغم كل ذلك فقد ينسى أو تنسى هذه الشخصية في لحظة ضعف نفسها، وتنساق وراء عواطفها فتسقط عن عرشها، وربما تلقى حتفها في ميتة مذلة. لم تكن أبدًا في الحسبان .. وهذا هو ما حدث مع ملكة مصر شجرة الدر و لهذا قصة لا يزال الناس يتكلمون عنها !!

شجرة الدر هى أول امرأة استطاعت أن تحكم بلدًا مسلمًا وتقوده في أحلك الظروف، وأصدق وصف لهذه المرأة أنها المرأة الحديدية، هي الجارية المملوكة التي استطاعت بحزمها ودهائها وشدة عزمها أن تصل إلى عرش مصر، وهي أيضًا التي قادتها غيرتها وحماقتها النسائية لأن تُقتَل شَرَّ قتلة !!

شجرة الدر، جارية من جواري الملك الصالح، اشتراها الملك نجم الدين. اختلف المؤرخون في تحديد جنسيتها، فمنهم من قال إنها تركية ومنهم قال إنها جركسية ،أو رومانية. ولكن لم تكن شجرة الدر كباقي الجاريات، بل تميزت بالذكاء الحاد، والفطنة، والجمال كما أنها نالت الإعجاب بفتنتها وفنها، إذ كانت متعلمة، تجيد القراءة، والخط، والغناء.

أعجب بها الملك نجم الدين واشتراها، ولقبها بشجرة الدر. انفرد بها، وحظيت عنده بمنزلة رفيعة، بحيث أصبح لها الحق في أن تكون المالكة الوحيدة لقلبه وعقله، وصاحبة الرأي ثم أصبحت الشريكة الشرعية، وأم ولده.

أُرسل الأمير نجم الدين بأمرٍ من والده، إلى حصن كيفا، لولاية وحكم هذا الحصن (وهو حصن من حصون المشارق يقع على حدود تركستان). ثم وردت إليه أنباء من القاهرة، تقول بان أباه الملك الكامل قد عين أخاه الصغير أبا بكر (الملك العادل) ولياً للعهد بدلاً منه، وكانت أمه أقرب إلى قلب الملك من أم الأمير نجم الدين. غضب الأمير نجم الدين من تصرف الملك ؛ لأن أخاه كان طائشاً، ولأن الدولة كانت في خطر من كل الجوانب، ويتربص بها الأعداء من الصليبيين والمغول. أقسم الأمير نجم الدين أن الخلافة لن تكون لغيره بعد أبيه. وبدأ بالمقاومة، لأنه أرشد من أخيه، وأحق منه في الخلافة.

وفي هذه الأثناء كانت شجرة الدر نعم الزوجة، حيث قامت بتشجيع وتأييد زوجها، فساعدته في الوصول إلى حقه المغتصب. وفي هذه الفترة أنجبت له ولداً أسماه خليلا. توجه الأمير نجم الدين إلى القاهرة، ومعه زوجته شجرة الدر، وابنهما، وبطانته المؤلفة من عشرات الجنود فقط، وبعض المماليك، وعلى رأسهم (بيبرس، وأيبك، وقلاوون، وآق طاي). وبينما هم في طريقهم انقض عليهم جيش الملك الناصر داوود، وهو ابن عم نجم الدين والي إمارة الكرك والشوبك، وما يليهما من أرض الأردن. وأسرهم في قلعة الكرك عام (٦٣)هـ، ثم أرسل إلى الملك العادل يخبره بما حدث ويطلب منه ثمن جلوسه على عرش الشام. استمر سجنهم سبعة أشهر، كان الملك الناصر خلالها يساوم الملك العادل في القاهرة على الأمير نجم الدين، أما زوجته شجرة الدر فقد وفرت له كل أسباب الراحة، وبثت التفاؤل في نفسه، خلال مدة الأسر.

قامت بوضع خطة مع زوجها، وذلك باتفاق زوجها مع خصمه الملك الناصر، على أن يطلق سراح نجم الدين ليستولى على عرش مصر ومن ثَم، يقدم له عرش

الشام ونصف الخراج. ثم سار الملك الصالح زوجها إلى القاهرة وهزم أخاه العادل نجم الدين، وأسره في قلعة صلاح الدين. وهكذا بلغت شجرة الدر مرادها، حيث قاسمت زوجها المجد والسلطة.

كانت شجرة الدر قادرة على تسيير الجيوش للحرب، وذلك عندما تعرضت مصر لحملة الصليبيين. يقال إن الملك لويس التاسع شن الحملة، ليوفي بنذره، حيث نذر بأنه إذا شفي من مرضه، فسوف يشن حملة على مصر. فجهز جيشاً وأبحر من مرسيليا عام ١٢٤٩. وفي هذه الأثناء كان الملك الصالح مريضاً، إلا إنه استعد للأمر، واتخذ من المنصورة مركزاً للقيادة العامة، وولاها للأمير فخر الدين نزولاً عند رغبة شجرة الدر، التي أثبتت على أنها قادرة على مواجهة الصعاب، وأقسمت لزوجها على أن الصليبيين سيقتلون في حملتهم. وبعد وصول الغزاة إلى مصر عام ١٢٤٩.

ظهرت حكمة وذكاء شجرة الدر، حيث أخفت نبأ وفاة الملك، لعدة أسباب أهمها الخوف من حدوث البلبلة في الدولة، وبخاصة صفوف الجيش، وحتى تتغلب على العدو، وكذلك حتى لا ينصرف اهتمام أمراء بني أيوب والمماليك إلى تولي العرش، وساعدها على ذلك الأمير فخر الدين.

واستمر الحال في القصر الملكي، كالسابق. ولكن عندما لاحظت شجرة الدر ،أن خبر وفاة زوجها أوشك أن ينكشف وأن العدو أيضاً على وشك الانهزام. قامت باستدعاء، ابن زوجها تورانشاه وأمرت رجال الدولة والجيش أن يحلفوا له يمين الولاء، وأن يدعى لها على المنابر في المساجد؛ وذلك لتبقى السلطة في يدها، وتصرف أمور الدولة كما تشاء. وذلك إن دل فيدل على ذكائها ودهائها.

وقبل وصول تورانشاه، قامت شجرة الدر بوضع خطة حربية مع القوات، وأمراء المماليك وظلت تشرف على تنفيذها، ومراقبة سير المعركة في المنصورة عن قرب. وبلغ من حماسها أنها كانت تعاون الأهالي مع الجنود، في صد هجمات الأعداء والرد عليهم. حتى انتصر المسلمون عام ١٢٥٠.

لم يدم حكم تورانشاه أكثر من شهرين، وذلك لفساده وطغيانه.

وقام بإبعاد رجال الدولة الأكفاء، وأخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر، ويطلب ما تبقى من ثروة أبيه ولم يكتف بذلك بل قام باستفزاز مماليك البحرية، حتى لقي مصرعه على يد بيبرس. وافق الكل في مصر على تولي شجرة الدر العرش، بعد مصرع توران شاه.

كان عهد شجرة الدر زاهياً وزاهراً، أظهرت خلاله قدرتها وجدارتها في الحكم. وتنعم الفقراء بحسناتها، إذ كانت ملكة عاقلة لبيبة، على علم تام بنفسية الشعب ومتطلباته. لم تكن حكومتها استبدادية، لا تشرع في عمل من الأعمال حتى تعقد مجلس المشاورة، ولا تصدر قراراً إلا بعد أخذ رأي وزرائها ومستشاريها. وقامت بنشر راية السلام أيضاً، فأمن الناس خلال فترة حكمها. في عصرها نبغ العديد من الأدباء والشعراء المصريين مثل، بهاء الدين زهير، وجمال الدين بن مطروح ،وفخر الدين بن الشيخ.

عرفت شجرة الدر بعدة ألقاب خلال حكمها مثل الملكة عصمة الدين، والملكة أم خليل، وأخيراً الملكة شجرة الدر أم خليل المستعصمية، نسبة إلى الخليفة المستعصم، وذلك خوفاً من أن لا يعترف بها الخليفة العباسي، الذي كان يجلس على عرش العباسيين في بغداد آنذاك. ودُعي لها على المنابر، كعادة الخطباء كل جمعة في المساجد. كما أصبحت الأحكام تصدر باسمها، ونقش أسمها على الدراهم والدنانير.

ولم يرق للعباسيين أن تتولى امرأة عرش مصر. مما أدى إلى نشوب الكثير من الخلافات بين الأمراء والزعماء في مصر والشام ولذلك اتخذت من الأمير عز الدين أيبك مقدماً للعساكر، ثم تزوجته، وبفعلتها هذه أمنت كلام الناس واعتراض العباسيين لها. وقبل أن يعقد عليها اشترطت عليه أن يطلق زوجته ويتخلى عن ولده المنصور علي، حتى لا ينتقل العرش إلى ابنه، وأطلق عليه اسم الملك المعز.

مرت الأيام إلى أن أصبح زمام الأمور داخل مصر وخارجها، في يد زوجها الملك المعز. وبلغها أن زوجها يريد خطبة ابنة الملك بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل. فساءت العلاقات بين شجرة الدر وبين الرجل الذي وثقت به، وجعلته ملكاً. وكادت تفقد عقلها من شدة الحقد والغيرة. وعلمت أيضاً أنه ينوي، إنزالها من قصر القلعة إلى دار الوزارة في القاهرة، وذلك ليتفادى الجدل والخصام معها، وحتى يتم تهيئة القلعة، لاستقبال العروس الضرة. غضبت شجرة الدر غضباً شديداً، لما فيه من جرح لمشاعرها وكبريائها. وخاصة بعد تأكدها من عزيمته في التخلص منها. فكان لابد من التخلص منه. فدعته ذات يوم واستقبلته بصدرٍ رحب وبشاشة، وكأن شيئاً لم يحدث بينهما، حتى شعر بالطمأنينة ودخل الحمام، وانقض عليه خمسة من غلمانها الأقوياء، وضربوه إلى أن مات. ثم أذيع بأن الملك المعز توفي فجأة، ولكن لم يصدق الناس هذا النبأ.

حاولت شجرة الدر أن يجلس أحد الأمراء المماليك على العرش لكي تحتمي بهِ، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، والتجأت إلى البرج الأحمر في القلعة عام ١٢٥٧. ولكنها لم تنجُ بفعلتها، حيث تم القبض عليها من قبل الأمراء المناصرين لزوجها القتيل، وفرض عليها السجن المنفرد، ولاقت فيه ألواناً مختلفة من العذاب والهوان. ومن ثم تدخلت ضرتها أم على وهي زوجة الملك المعز الأولى، وحرضت ابنها علياًّ على قتلها انتقاماً لأبيه. وهناك مراجع أخرى تقول بأنه، تم قتلها على يد الجواري اللاتي واصلن ضربها بالقباقيب الخشب إلى أن فارقت الحياة.

وهكذا عاشت شجرة الدر، مكرمه وجليلة، ذات نفوذٍ وقوة، ولكنها ماتت ميتةً ذليلة ومهينة.

إن سيرة شجرة الدر، لاتزال تروى، وهناك العديد من النساء من تتمنى إحداهن أن تقوم بشخصية شجرة الدر، وذلك لقوة نفوذها، وذكائها ودهائها،

وقدرتها العجيبة في الحكم. وقد خلد التاريخ ذكراها، وذكر الخدمات التي قدمتها للمسلمين ومصر. إلا أن غيرتها على كبريائها وكرامتها، كانت السبب الذي دفعها لارتكاب تلك الجريمة، التي أسقطتها من قمة الشهرة وقضت عليها .

مصادر ومراجع

١-الجنرال الروسي شتاء - فهد عامر الأحمدي – اليوم - ٤ أبريل ٢٠٠٧.

٢- معركة ستالينجراد - خالص جلبي - ٢٠٠٧/٧/١٩ - مجلة " الاقتصادية ".

٣- خطة نابليون – برنامج أحداث من التاريخ - قناة المجد الوثائقية – أول يوليو ٢٠٠٨.

٤- كيف أسقطت الثورة العراقية الخيارات الجيوستراتيجية الكونية الأمريكية ؟ - صلاح المختار - شبكة البصرة - ١٠ آيار ٢٠٠٤.

٥- الخروج من فيتنام في الذكرى الثلاثين - العميد المهندس الركن (م): سبأ باهبري – مجلة الحرس الوطنى – أول يونيو ٢٠٠٥.

٦- قراءة أولية في استراتيجية الحرب والعنف الأمريكية - جليل نعمة العبادي– الرأي الآخر - العروبة نت – ١٣ أكتوبر ٢٠٠٨.

٧-كتاب "التاريخ الشخصي للقنبلة النووية" - لي زيلارد.

٨- قصة بيرل هاربر - منتدى الأحرار – ٢٣ يونيو ٢٠٠٨.

٩-السياسات الأميركية بعد ١١ أيلول - موفق محادين – الجزيرة - ٣ فبراير ٢٠٠٧.

١٠- إحياء التنظيم المسلح للإخوان ! - كرم جبر - نقلاً عن مجلة روز اليوسف.

١١-الإخوان في وجه السادات - عبدالمنعم محمود. الجزيرة – ٨ أكتوبر ٢٠٠٦

١٢-كتاب حرب الخليج. محمد حسنين هيكل.

١٣- تحرير الكويت.. ماذا بعد هذه السنوات؟ - غسان الشهابي – موقع " أوان " على الإنترنت - أول مارس ٢٠٠٨.

١٤- ابريل غلاسبي: حذّرت صدّام لكنه خدعنا- رندة تقي الدين - الحياة - ١٥ مارس ٢٠٠٨.

١٥- غزو الكويت: سقوط البعث في أوهام التاريخ؟ - داود البصري - إيلاف- ٣١ يوليو٢٠٠٧.
١٦- النتائج والدروس المستفادة من الغزو العراقي لدولة الكويت منذ أغسطس ١٩٩٠ إلى وقتنا الحاضر - لواء د. محمد جمال مظلوم – مجلة الحرس الوطني السعودي -- أول ديسمبر ٢٠٠٤.
١٧- كتاب " مأساة بوش " - جاكوب ويزبيرج.
١٨- "واشنطن بوست": بوش أسوأ رئيس في تاريخ الولايات المتحدة - ١١ يونيو ٢٠٠٨.
١٩- ماذا سيكتب التاريخ بحق الرئيس بوش ؟!! -- وجدي أنور مردان - شبكة النبأ المعلوماتية - ٣ مايو ٢٠٠٨.
٢٠- بوش أسوأ رئيس في العالم - أ. د. سليمان صالح - ٢٠ يُونْيُو ٢٠٠٨ .
٢١- أخطاء إدارة بوش - "آدم جارفينكيل" مقالة مجلة "شؤون خارجية " الأمريكية -عدد مارس/ أبريل ٢٠٠٨ "- ترجمة و عرض شيرين حامد فهمي - إسلام أون لاين .
٢٢- ملامح الإستراتيجية الأمريكية للتضليل الإعلامي - محمد جمال عرفة – إسلام أون لاين .نت - ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤.
٢٣- لماذا فشلت ثالث مسئولة عن تلميع صورة أمريكا؟ - نفس المصدر السابق
٢٤- مصالحنا ومصالحهم.. كيف؟ وأين؟ - سميرة رجب- المحرر - ١٩ يونيو ٢٠٠٦.
٢٥- الصعود إلى الهاوية حكاية شعب يواجه طاغية - د.محمد يوسف عدس.
٢٦- حرَّاس السلطة: أسطورة وسائل الإعلام الليبرالية - دافيد إدواردز، دافيد كروميل ترجمة: آمال الكيلاني - عرض وتعليق: أحمد التلاوي - مكتبة الشروق - ٢٠٠٧.
٢٧- سقوط غرناطة – مفكرة الإسلام – ٩ يوليو ٢٠٠٨.

٢٨- أدب وفن: روبسبير .. رجل الثورة النقي وجلاد السلطة - نامق كامل .
٢٩- باسْم الشرعية الثورية! – دكتور فيصل القاسم – مآرب برس -١١ سبتمبر ٢٠٠٧ .
٣٠- الرئيس الديمقراطي سلفادور الليندي - شاكر حارس - موقع النور .
٣١ - انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ أغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم .. جريمة تلد أخرى - الحوار المتمدن – ٩ فبراير ٢٠٠٥.
٣٢- كتاب لمحات من تاريخ العراق الحديث - جعفر الخياط .
٣٣- خط ماجينو- طاهر عبد مسلم - جريدة " الزمان " - ٩ يوليو ٢٠٠٥.
٣٤- من خط ماجينو إلى خط بارليف- فشل استراتيجية خطوط الدفاع الثابتة - د. محمد عزت محمد على – مجلة كلية الملك خالد العسكرية – أول مارس ٢٠٠٨.
٣٥- بعض أسباب انهيار الاتحاد السوفييتي - عبد الكريم أبو زيد- دار الينابيع- ستوكهولم ٢٠٠٦.
٣٦- الاتحاد السوفيتي؟ - ستيفان اف كوهن - ذي نيشن - ١٨ ديسمبر ٢٠٠٦.
٣٧- د. صباح محمود محمد - الأمن القومي الأمريكي (رؤية جيوبوليتكية للأهداف الكونية الأمريكية .
- مجلة قضايا دولية - ٢ أبريل ١٩٩٥ .
٣٨- وكالة المخابرات المركزية - دكتور حازم الببلاوي - الأهرام ٦ يوليو ٢٠٠٨.
٣٩- كتاب " تركة من الرماد"– تيم وينير .
٤٠- دبلوماسي بريطاني : بلير ضخّم خطر نظام صدام وكان يعلم انه ليس جاداً في تهديداته - الحياة – ١٦ ديسمبر ٢٠٠٦.
٤١- مأساة توني بلير - باتريك سيل- صحيفة الحياة .
٤٢- كلير شورت .. بلير خدعنا! – صحيفة صنداي تايمز - أول يونيو٢٠٠٣ .

٤٣- نهاية توني بلير - يحي أبو زكريا – إيلاف - ١٢ مايو ٢٠٠٧.

٤٤- توني بلير في قفص الاتهام - برنامج العين الثالثة - أحمد عبد الله - العربية - ٢٦ مايو٢٠٠٦ .

٤٥- كتاب " يا سكان الأرض اتحدوا " - عصام الدين حواس - ١٩٨٩. - ٢ نوفمبر ٢٠٠٦.

٤٦ - الأزمة الفلسطينية بين "فتح" و"حماس" - ماجد كيالي .

٤٧ – كتاب" صراع الصلاحيات بين فتح وحماس في إدارة السلطة الفلسطينية ٢٠٠٦-٢٠٠٧ - د. محسن محمد صالح- عرض حسن ابحيص - الناشر: مركز الزيتونة -٢٠٠٨ .

٤٨- رسائل الحرب الأهلية بين فتح وحماس - محمد جمال عرفة – إسلام أون لاين – ٢ يونيو ٢٠٠٦.

٤٩- صراع فتح وحماس على التمثيل الخارجي!! د. أحمد أبو مطر – الجزيرة ١٣ يونيو ٢٠٠٧.

الفهرست

اقرأ فى هذا الكتاب

غلطة الشاطر بألف.. هكذا يقول المثل.. والمقصود بـ "الشاطر" هنا هو الشخص المُحَنَّك الذي يفترض أنه تعلم من تجاربه السابقة، و كذلك تجارب الآخرين، كيف يتخذ القرار المناسب في اللحظة المناسبة، بحكمة وعقلانية، أو بشجاعة وجرأة. الشاطر أيضاً هو من يحسن تقدير الأمور، فيحسن التعامل معها دون عصبية أو انفعال، ودون مغالاة أو شطط، ودون الانسياق وراء عواطفه، مع حسن توقعه أو تنبؤه بتبعات كل قرار يتخذه وعواقبه. وإذا كان "الشاطر" – أو هكذا يُفترض أن يكون – من عامة الناس فإن تبعات ما يتخذه من قرارات تكون محدودة، حيث تحمل السعادة أو التعاسة لدائرته المحيطة وغالباً ما تكون محدودة، أما إذا كان الشخص ممن يشغلون منصباً سياسياً أو عسكرياً كبيرا فإن قراراته تمس عشرات أو ربما مئات الملايين من شعبه والشعوب المجاورة، وربما العالم أجمع إذا كان زعيماً أو حاكماً لدولة عظمى، أو دولة حتى صغرى أقدم على خطوة غير محسوبة أشعلت حرباً، أو وَلَّدَت أزمة دولية . فغلطة الشاطر في عالم السياسة غالباً ما يكون ثمنها فضيحة سياسية مدَوِّية، أو هزيمة عسكرية مروِّعة، أو حرباً عالمية أو إقليمية مدمرة تنتهي بتدمير بلاده وتدميره.

غلطة الشاطر إذا كان كبيراً قد تغير أيضاً مسار التاريخ فتسقط بسببها إمبراطوريات، أو تفنى بسببها ثروات، أو تذهب بسببها منجزات ومكتسبات لطالما قدمت الشعوب من أجل بلوغها الغالي والنفيس. وقد تؤدي غلطة الشاطر إذا كان سياسياً إلى تجريده من ألقاب خلعها عليه شعبه عرفاناً له وتقديراً قبل أن يذل ويسقط، لتحل محلها ألقاب جديدة مهينة ومذلة.. وقد لا تتوقف الأمور عند هذا الحد، فقد علمنا التاريخ أن هناك من الكبار من يدفعون حياتهم ثمناً لغلطة كبيرة ارتكبوها في لحظة سقوط صاحبها أسيراً لغطرسة القوة في تعامله مع جيرانه، أو سلوك إجرامي تجاه خصومه ومعارضيه، أو انفلات أخلاقي في لحظة طيش، أو نزوة عابرة!!

وفي هذا الكتاب، نتعرف سوياً عزيزي القارئ على أكثر الأخطاء التاريخية التي ارتكبها سياسيون كان يفترض فيهم ألا يفكروا حتى في الإقدام عليها نظراً لخبراتهم وتجاربهم ودروس التاريخ المستقاة من حصيلة تجارب من سبقوهم.. شخصيات وشخصيات في هذا الكتاب كل منها كان يحمل لقب "شاطر" ولكن بغلطة واحدة كبرى، وربما بخطيئة من العيار الثقيل أضاع من يده كل شيء ، أو طمس كل ما سطره من تاريخ أو سمعة !!

I.S.B.N. 977-376-425-7



